محمود السعدني

أحلام العبد لله

أحــــلام الـعـبـدلـلــه

بـقـلـم

محمود السعدنى

دار الهلال

الغلاف والرسوم
الداخلية للفنان :
طـــــوغان

كـــــدة ولاإيـه ؟

عفوا .. ساتحدث مباشرة الى السيد وزير الداخلية . ووزير الداخلية فى بلدنا خصوصا شخصية استثنائية ، فهو ليس مثل وزير التموين أو وزير الثقافة او وزير الإعلام او وزير مجلس الشعب ! فهؤلاء جميعا اذا عقدوا مؤتمرات صحفية او ادلوا باحاديث للجرائد ، فنحن نغفر لهم عدم اهتمامهم بتقديم مستندات تؤيد كلامهم ، لإنهم غالبا لايملكون مثل هذه المستندات . اما السيد وزير الداخلية فهو رجل يملك فى يده مقاليد السلطة بالفعل .. وتحت يده اجهزة وملفات وشرائط وصور ومستندات ، ولذلك فهو اذا اتهم احدا فلابد ان يزن كلامه بميزان الذهب وليس بميزان الطوب والدبش ! واللواء احمد رشدى وزير الداخلية صرح فى الأسبوع الماضى للصحفيين بان بعض الكتّاب فى الخارج ضد مصر ، وناشد الوزير هؤلاء الكتّاب ان يتقوا الله فى امهم مصر حماها الله ، حماها الله ! وقال الوزير فى أسف شديد .. ان على هؤلاء الكتّاب الذين يهاجمون مصر فى الخارج ان يتقوا الله فى امهم مصر ، وعليهم أن يدركوا ان مصر اغلى من كل الدنانير والريالات والدولارات التى يقبضونها ثمنا لمقالاتهم التى يكتوبنها خارج الحدود !..

وأنا مع وزير الداخلية فى أن مصر أغلى الف مرة من كل كنوز الأرض . ومعه ايضا فى ان الهجوم على مصر خارج الحدود أو داخل الحدود ايضا ليس جريمة فقط ، ولكنه خيانة ، ويلقى مرتكبها جزاء الخائن وعلى الفور ! ولكن كان على وزير الداخلية أن يقدم لنا نموذجا من الهجوم على مصر ، أو يقدم لنا أسما واحدا لكاتب واحد هاجم مصر .

والعبد لله على يقين بأن الوزير لو فعل هذا لما احتاج الى القبض على هذا الكاتب أو محاكمته ، وبالتاكيد فان الجماهير كانت ستتولى معاقبة الكاتب الذى يهاجم أمنا مصر .. وعلى الفور !! ولكن السيد الوزير – حماه الله – اكتفى بالكلام ، واطلق التصريحات دون مستندات ، واتهم "بعض" الكتّاب بأنهم يهاجمون مصر .

وكلام السيد وزير الداخلية ذكرنى بايام مضت وارجو الا تعود . ايام كبير العائلة المصرية والعيب وأخلاق القرية . عندما كان الهجوم على السيد المحافظ

جريمة ، والمساس بالسيد الوزير جناية ، ونقد تصرفات السيد الرئيس خيانة عظمى باعتباره مصر ! وفى أيام اللواء النبوى أسماعيل اصبح الهجوم على وزير الداخلية خيانة ، والهجوم على السيد المحافظ جناية ، والهجوم على السيد السكرتير العام خيانة ، أما المساس بالسيد رئيس الدولة فهو كفر ويستحق صاحبه دخول النار ! فهل يريد اللواء أحمد رشدى العودة بنا الى تلك الأيام ؟

مبلغ علمى ان الرئيس حسنى مبارك ليس مثل سلفه .. الله يرحمه ! وفى البلد الآن ديمقراطية وحرية ، وهى تفرد جناحيها على الجميع من أول ضباط الشرطة والى باعة الجملة فى سوق روض الفرج . فكما ان من حق ضباط الشرطة - فى ظل الديمقراطية ، ضرب المتهمين فى اقسام الشرطة ، فأيضا من حق تجار الجملة اخفاء السلع او رفع سعرها فهكذا تفرض ديمقراطيتنا .. حماها الله !!

واعتقد أن الكتّاب من حقهم الاستمتاع بهذه الديمقراطية ، ومن حقهم ان يهاجموا تصرفات الشرطة ، أو تصريحات السيد الوزير . او ممارسات السيد المحافظ ، او سلوك الحزب الحاكم ! فهل حدث من بعض الكتّاب شيء من هذا القبيل ؟ وهل هذا هو الذى جعل السيد الوزير يتصور ان الكتّاب يهاجمون مصر ؟ وأنا - يعلم الله - غلبت وغلب حمارى لكى أعرف مصر التى يقصدها بعض السادة المسئولين ! ان مصر حكمها ألف ملك ورئيس ووال وسلطان ونائب سلطنة ، وكلهم ذهبوا الى رحاب الله وبقيت مصر ! وتولى أمرها مائة ألف وزير ومحافظ وسكرتير عام وسكرتير مساعد وصول وشاويش ومخبر وخفير ، ولكنهم ذهبوا الى رحاب الله وبقيت مصر ! ومصر اجتاحها ألف مستعمر وألف غاز وألف سفاح ، وكلهم ذهبوا فى ستين ألف داهية .. وبقيت مصر ! فهل هؤلاء الذين حكموها من الملوك والطغاة كانوا مصر ؟ وهل كل الوزراء الذين تولوا أمرها على مر السنين من أول الوزير قراقوش الى الوزير ابوسحلى ، هل هؤلاء جميعا هم مصر ؟ وهل كل شاويش وكل مخبر وكل مرشد هو مصر ؟ وهل اذا تجرأ الكاتب وانتقد تصرفات سعادة البيه المعاون .. أو سعادة البيه الملازم .. او سعادة البيه البلوكامين ، يكون قد هاجم مصر ، وعندئذ يحق رجمه بالحجارة ودفنه بدون احتفال ؟!

هذه المسألة - صدقونى - ينبغى الوقوف عندها والتفكير فيها ، قبل أن ينجح احدهم فى جرجرة البلاد والعباد الى أيام كئيبة مضت .. وأرجو الا تعود ! وأقترح للوصول إلى هذه الغاية تكوين لجنة لتقصى الحقائق ، لمعرفة وتحديد ماهى مصر على وجه التحديد ، هل الملك هو مصر ؟ اذا كان الأمر كذلك ، فعلينا بمحاكمة كل من سمح ووافق على عرض جثة الملك توت عنخ آمون فى المعارض للحصول على العملة الصعبة بتهمة الاتجار بمصر !! هل مصر هى رئيس الوزراء اذا كان الأمر

كذلك ، فعلينا أن نحاكم كل من هاجم شاور وضرغام ، وكلاهما كان رئيسا لوزراء مصر ، وأحدهما أشعل النار فى العاصمة بدعوى ابعاد الصليبيين عن ابوابها ! هل مصر الخديوى ؟ لقد حكم مصر عدد منهم كانوا - ولا مؤاخذة - أجهل من دابة ، وأحدهم انضم الى المستعمر ضد شعب مصر !

هل السيد الوزير هو مصر ؟ اذا كان الوزير - فى نظر السيد وزير الداخلية - هو مصر ، فأنا أول من يعلم وقوفه ضد مصر . ويستطيع اللواء أحمد رشدى لكى يدرك خطأ هذه النظرية ، ان يلقى نظرة على اللوحة المعلقة فوق رأسه وسيكتشف وجود أكثر من ثلاثين وزير داخلية جلسوا على مقعده من قبل . ولو كلف نفسه وعاد الى الملفات القديمة ، فسيكتشف أيضا أن بعض هؤلاء السادة الوزراء دخلوا السجن ، وحكم على بعضهم بالاعدام ، وعلى بعضهم بالسجن المؤبد . فهل يجوز فى عرف السيد الوزير إعدام مصر أو سجن مصر ؟

يالها من نغمة نشاز ، كما أنها قديمة ومعادة ومكررة ، واستمعنا اليها من قبل ، وكانت سببا فى كوارث ومصائب أرجو أن لاتتكرر فى تاريخ مصر . فنهاية الدول تبدأ عندما يتصور بعض الموظفين انهم الأمة نفسها ، وأن الزمان لن يجود بمثلهم ، وأن على الكتّاب الذين لم يتربوا كفاية ولم يتعلموا الأدب ، ان يسبحوا بجهدهم ليل نهار ، وان يمجدوا اسماءهم ، وأن يعددوا مآثرهم ، ولا بأس من الدعاء لهم بطول البقاء وواسع الرزق !

وليس لدى العبد لله مانع من الدعاء للسيد أحمد رشدى بطول البقاء وعلو الذكر . فقط .. ارجوه وأتوسل اليه أن يضرب لنا مثلا واحدا على كاتب واحد هاجم مصر ، أو خان مصر ، أو باع مصر ، اللهم إلا هذا كان أحدهم كان يملك قطعة أرض فى "مصر" الجديدة ، أو فى "مصر" العتيقة .. وباعها للغير !

هل يستطيع وزير الداخلية ان يضرب لنا هذا المثل ؟ اذا كان الوزير يستطيع فأنا أول من سيرجم الكاتب الذى تجرأ وهاجم مصر . أم أن الوزير قد أخذته الجلالة فى عيد الشرطة .. فاتهم الكتّاب بدون وجه حق .. فأنا ارجو أن يلجأ الكتّاب الذين يكتبون خارج مصر الى مقاضاة وزير الداخلية ، لكى يزن كل مسئول كلامه فى المستقبل فلا يتهم الناس بالباطل وبدون حق ! لأنه اذا كان مطلوبا من الكتّاب أن يتحسسوا كلماتهم قبل أن يتهموا المسئولين أو يهاجموهم ، فأولى بالمسئولين ايضا ان يتحسسوا كلماتهم قبل ان يتهموا الكتّاب أو يهاجموهم .

كده .. والا ايه ..؟

اخشى أن يكون الرد .. ايه !

وعلى رأسه قنديلان !

اذكروا هذا الاسم (مغدوشة) واحفظوه ، وهى قرية عربية دخلت التاريخ من اوسع الابواب ، وهى دخلت من نفس الباب الذى دخلت منه ستالنجراد والعلمين وبرلين وجزيرة ابو جيما ، وهى مفاتيح النصر فى الحرب العالمية الأخيرة .

ولكن مغدوشة فاقت الجميع ، وتقدمت على الجميع ، فعلى ارضها دارت أعظم معركة ليس فى القرن العشرين وليس فى التاريخ ، وليس فيما قبل التاريخ ولكنها أعظم معركة حربية منذ الأزل والى الابد ، ولأنها معركة عربية وبجيوش عربية وأسلحة عربية لا شرقية ولا غربية ، ولكنها منبثقة من ارضنا ومنبخعة من تراثنا ومنبعجة من ترابنا ! والذين انتصروا فيها عرب ، والذين انهزموا فيها عرب والذين جرحوا فيها عرب ، والذين اسروا فيها عرب ، كلهم عرب ، وامجاد يا عرب ، وكله عند العرب بلوبيف !

والحمد لله الذى كتب لنا الحياة حتى عشنا عصر مغدوشة ، الحمد لله لأن العرب بعد مغدوشة فى خير ما بعده خير ، رايات النصر ترفرف فوقنا ، وآيات العز تحوم حولنا ، جانبنا مهاب ، وكلمتنا مسموعة ، وأسهمنا عالية ، والدنيا كلها تنظر الينا وتنصت لنا وتغبطنا على النعمة التى نرفل فيها ، وتحسدنا على بحر السعادة الذى نسبح فيه !

ففى مغدوشة انتصرنا نحن العرب مرتين المرة الاولى حين استطاعت القوات الفلسطينية العربية تحرير القرية واستخلاصها من ايدى قوات الشيعة العرب ، والمرة الثانية حين استطاعت قوات الشيعة العرب انتزاع قرية مغدوشة من ايدى الفلسطينيين العرب ، ودار القتال داخل مغدوشة فى المرتين من بيت الى بيت ومن صالة الى صالة ومن مطبخ الى مطبخ وسقط فى المعركتين وعلى الجانبين الف قتيل تناثرت جثثهم فى الشوارع ، وجرى دمهم انهارا فى العطوف والحوارى ، ووقع فى الاسر مائة شيعى عربى بينهم قائد كبير ، ومائة فلسطينى عربى بينهم قائد كبير ، ووصفت الدوائر العسكرية الاجنبية معارك مغدوشة بانها فتح جديد فى التكتيك العسكرى واثنت على اداء جميع المتحاربين العرب ، واكدت بأن هذا الاداء الرائع جاء نتيجة تدريب شاق وجاد ورفيع المستوى ، واشادت الدوائر الاجنبية بدقة التصويب من الجانبين ، فقد سقطت كل قذائف الفلسطينيين العرب على بيوت الشيعة ، بينما كانت كل قذائف الشيعة العرب تتساقط على مخابىء الفلسطينيين العرب واذا كان الفلسطينيون العرب قد حققوا انتصارهم باحتلال

المنزل رقم ١٣ بحارة مسلم ابن عقيل ، فان الشيعة العرب قد حققوا انتصارهم باستعادة المنزل رقم ١٣ بحارة مسلم ابن عقيل .

وهكذا سقطت قرية مغدوشة مرتين فى ايدى العرب ، مرة فى ايدى الفلسطينيين العرب ، ومرة فى ايدى الشيعة العرب وتحققت على ايدينا معجزة عسكرية بكل المقاييس ، وهى اننا نحن العرب فى برج عزنا ، وفى قمة سعدنا ، فقد نصرنا الله فى الاول وفى الآخر ونصرنا فى البداية وفى النهاية ، مرة على ايدى الفلسطينيين العرب ومرة على ايدى الشيعة العرب ، ليصبح نصرنا نصرين وعزنا عزين وفخرنا فخرين ! ويا عربى يانور العين يابو وردة على الخدين ، يا محقق الانتصارين ! وهكذا .. وباعتبارنا عربا فى عرب ، المنتصرون عرب والمنهزمون عرب ، والجرحى عرب والاسرى عرب ، نصبح نحن أول امة على ظهر الأرض تحقق نصرا على هذا المستوى ، ومن هذا النوع النادر الفاخر الثمين !

نصر فى الذهاب والاياب ! نصر فى الرايحة والجاية ! واصبحنا فى الحرب كالمنشار طالع منصور نازل منصور ! وينبغى فى حالات مثل هذه وهى حالة لم يذكر لها التاريخ مثيلا ينبغى ان نحشد كل مؤلفينا ، وان نستنفر كل ملحنينا ، وان نستعدى كل مطربينا ، ليعدوا لنا ما استطاعوا من اغانى النصر ، ويا نصر يا نصر من المسا للعصر ، وم الكوخ للقصر ! والحمد لله لاتزال المعارك مستمرة والقتال على ودنه ، والتراشق بالصواريخ على ودنه ، وامجاد يا عرب ، اعدتم الى الاذهان ، عصر هارون الرشيد ، ورحمة الله عليه بلغ ملكه مدى فى الاتساع ، جعله ينظر الى اى سحابة صايعة ويقول لها فى ثقة لعيب كورة محترف ! امطرى حيث شئت فسياتينى خراجك ! ولكن عصر السحاب انتهى ، كان عصرا رومانسيا خياليا خرافيا ونحن الآن والحمد لله فى عصر الواقع والكمبيوتر والقنبلة النووية ، وتطورنا مع التطورات ، وتغيرنا مع التغيرات ، واصبحنا ننظر الى اى معركة تدور فى اى بقعة من بلادنا ونقول لها ، انته الى اى وضع ، فنحن المنتصرون على كل حال . شيعة عرب ، سنة عرب ، اكراد عرب ، موارنة عرب ، فلسطينيون عرب ، لبنانيون عرب كلنا عرب ، اسرى عرب ، جرحى عرب ، قتلى عرب ، وكله عند العرب بلوبيف !

والاكادة ان المعارك دائرة فى مغدوشة على مرمى حجر من حدود اسرائيل ، ولكن يبدو ان عقولنا اصيبت بخبل ، وبنادقنا أصيبت بحول ، فلم تعد تنطلق إلا نحونا ، ولم تعد تنفجر إلا فى صدورنا ولا تشرب إلا من دمنا ، بينما اسرائيل تقف عن كثب تشاهد وتضحك ، وتشاهد وتصفق ، وتشاهد وتدعو للجانبين بالنصر المبين !

والحمد لله الذى أحيانا لنشهد عصر مغدوشة وهو عصر فاق كل عصور العرب السابقين ، اين نحن من العرب الاشاوس ؟ والعرب الاقحاح ؟ والعرب العاربة ؟

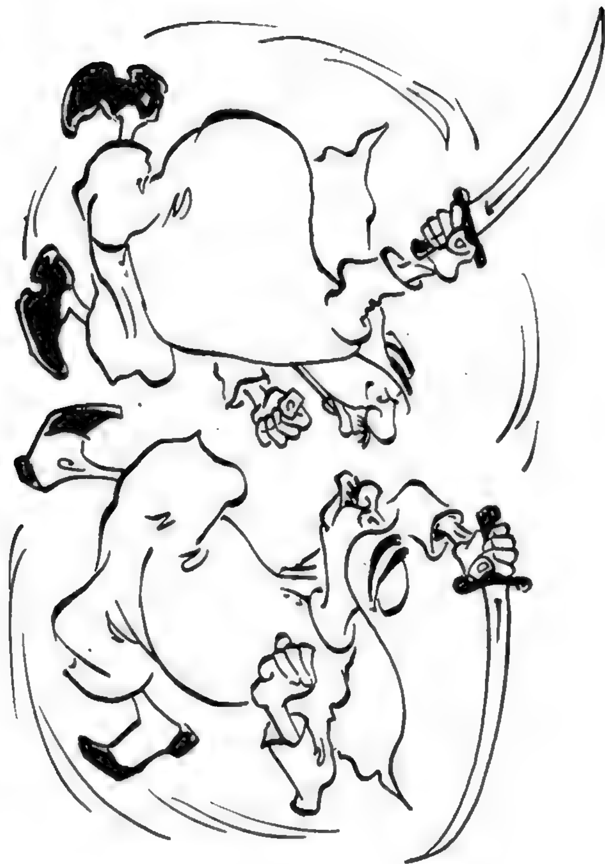

والعرب المستعربة ؟ اين منا عنتر العبسى ورجاله الشجعان ؟ اين القعقاع وجيشه المقدام ابن خالد وسيفه المسلول ؟ واين سعد بن ابى وقاص وحصانه الاشهب ؟ واين ابو عبيدة ابن الجراح ولثامه الاسود ؟ اين موسى ابن نصير وخادمه طارق بن زياد ؟ اين صلاح الدين وجنوده وبنوده ؟ اين الظافر قطز والظاهر بيبرس ؟ اين السيد البدوى واتباعه ؟ اين الكبير على بيه واين ابو الدهب محمد ؟ اين محمد على وابنه ابراهيم ؟ وهل عرب اليوم هم حقا احفاد عرب الامس ؟ وهل تحققت بالفعل بطولات الامس ؟ ام هى مجرد اساطير وحكايات ؟

الحق أقول بعد معركة مقدوشة وما جرى فيها من انتصارات وفتوحات ، اصبح من العسير اثبات أننا نحن عرب اليوم ورثة عرب الامس ، فلم يحدث فى التاريخ عمى حيسى من هذا النوع ، اصبحت ظهورنا لاسرائيل ، وفوهات مدافعنا مصوبة لصدورنا وعبقريتنا العسكرية لا تتالق إلا عندما تكون الحرب ضد اهلنا عرب يموتون ، وعرب يجرحون ، وعرب يؤسرون ، ولكن وبرغم ذلك فالنصر لنا ! لاننا اصبحنا بفضل الله كالمنشار طالع منصور نازل منصور ، واذا كانت الخيبة بالويبة فى لبنان فالخيبة فى حرب الخليج على أوسع ، انكشفت اللعبة القذرة واذا بامريكا تغذى آلة الحرب على الجانبين ، امريكا تبيع السلاح لايران ، واسرائيل تنقله ورغم انكشاف اللعبة وظهور اللعبة على المسرح مازالت الصواريخ تفرقع فى المدن الاسلامية على الجانبين ، ومازالت الطائرات تدك بيوت المسلمين على الضفتين والاستنزاف على ودنه فى الناحيتين ، والخراب على أشده فى الجانبين واسرائيل تشاهد وتعترف ، وتشاهد وتضحك ، وتشاهد وتدعو للجانبين بالنصر المبين !

رواية ولا أسطورة ، وحكاية ولا اللغز ، ولن تنته الحرب حتى تكون قد أكلت اموال المسلمين والعرب وهدت قوى المسلمين والعرب ومسحت مدن المسلمين والعرب ولكن ايا كان الوضع الذى ستنتهى اليه حرب الخليج فالنصر سيكون حليفنا نحن المسلمين ولا شىء يهم ، اذا كان القتلى مسلمين ، والجرحى مسلمين ، والاسرى مسلمين ، فالمهم النتائج ، والعبرة بالخواتيم والنصر ياهوه سيكون . والحمد لله من نصيب المسلمين ، عرب ، او فرس مسلمين ، ما الفرق ؟ خصوصا ونصف العرب مع العرب ، ونصف العرب مع الفرس ؟ خصوصا جبهة الصمود والتصدى ، وهى بدون فخر جبهة صمود امام الغزاة العرب ، وتصد للمعتدين العرب ، أما اسرائيل وعساكر اسرائيل ، فلا صمود امامهم ولا تصدى لهم ، باعتبار ان البيت له رب يحميه ! والعبد لله من اشد المعجبين بجبهة الصمود والتصدى ، وإن شئتم الدقة فالعبد لله من دراويش الصمود ومن مجاذيب التصدى ، خصوصا وانه صمود ضدنا ، وتصد لنا ! وسر حبى وايمانى بالجبهة ، أننى رجل شعبى . والجبهة تطبق المثل الشعبى زيتنا فى دقيقنا ، وتطبق المنهج العربى ، اللى يحتاجه البيت يحرم على الجامع ! ثم ان التصدى للعرب أسهل ، والصمود امامهم أيسر ! ومصيبتنا نحن العرب فى الماضى القريب ، أننا كنا مصابين بعقدة الخواجة ، وجبهة الصمود والتصدى قامت لازالة هذه الصفة

الرذيلة ، ومحو هذه الوصمة الثقيلة ، فالجبهة ـ الحمد لله ـ لا تتصدى لخواجات ، ولا تصمد امام اجانب ! وأنا معهم من أجل هذا المعنى ، وفى صفهم لتحقيق هذا الهدف ! فصنف العرب نماريد وينبغى تأديبهم ! والجبهة والحمد لله تؤدى هذه المهمة خير أداء ، فى لبنان ، وفى حرب الخليج ، ومستعدة لتوصيل الخدمات الى المدن العربية ، والشواطىء العربية ، من طنجة والى صنعاء ! ولكنى ، وبالرغم من انحيازى لهم ، وانتظامى فى صفهم . ارجو ان اسأل سؤالا ، وارجو عدم المؤاخذة ولا ملام ، لاتصمد امام اسرائيل ، موافق ، لا تتصدى لعساكر اسرائيل ، ماشى ، نتقطقط (نتحول الى قطط) امام الخواجات ، مافيش مانع ، نستأسد امام العرب ، عظيم ! ولكن نتحالف مع اسرائيل ؟ ندخل فى حلف مع اسرائيل ؟ هذا هو الموقف الجديد . والسؤال لامؤاخذة من صامد ومتصد حديث العهد بالمهنة ، فلاح ولامؤاخذة يصدق الشعارات والبيانات ! والسؤال موجه للجماهيرية الشعبية الليبية التى قررت وصممت وتوكلت على النظرية الثالثة للقضاء على امريكا واسرائيل . والسؤال ولامؤاخذة موجه ايضا الى حزب البعث السورى الذى يؤمن بالوحدة اللى ما يغلبها غلاب ، وأنا واقف عند الاهرام وقدامى بساتين الشام ! والسؤال ولامؤاخذة ، ليس من باب الاستنكار أعوذ بالله ، ولكن من باب الاستفسار والحمد لله . والسؤال هل جبهة الصمود والتصدى فى حلف مع إسرائيل ؟ اذا كان الجواب بالنفى ، فكيف يتفق هذا النفى مع الحقائق التى ظهرت . والاسرار التى انكشفت ، امريكا تزود ايران بالسلاح وإسرائيل تنقل السلاح الى ايران . والجبهة حليفة ايران وبالتالى فهى حليفة للولايات المتحدة وتابعها قفه !

أما اذا كان الجواب بالايجاب فيا الف مرحب ، ويا ألف نهار ابيض فهكذا يكون الجموح فى الوضوح والتفنن فى الطموح . وإصابة الهدف بكل شفف ، وحصد الكلا أمام الملا ، المهم الصمود ولو باسلحة امريكا ، والمهم التصدى ولو بمساعدة إسرائيل ! ومادمنا نضرب فى اهلنا . ونطقطق المدافع داخل بيوتنا ، فالانتصار آت واكيد ولاريب فيه اذا انتصروا .. انتصرنا .. فكلنا عرب ، وكلنا احفاد عنترة وخالد والقعقاع !

ولكن الاحفاد أثبتوا لحسن الحظ أنهم اعظم من الاجداد ، فهم حققوا النصر البسيط ، وحققنا نحن النصر المركب ، وكانوا ينتصرون مرة ، وننتصر نحن مرتين ، نصر طالع ونصر نازل ، تحولنا الى منشار فى ساحات المعارك ، طالع منصور نازل منصور ، والحمد لله لان العرب فى خير ما بعده خير خصوصا هذه الايام ، الحمد لله ، فرايات النصر ترفرف فوقنا ، وأيات العز تحوم حولنا ، جانبنا مهاب ، وكلمتنا مسموعة ، وأسهمنا عالية والدنيا كلها تنظر الينا وتستمع لنا ، وتغبطنا على النعمة التى نرفل فيها ، وتحسدنا على بحر السعادة الذى نسبح فيه !

وأمجاد يا عرب أمجاد .

وحظنا المهبب ان شيخنا دكتور ، ودكتورنا عقيد ، وعقيدنا عقيم ، وعقيمنا سيدخل القدس محررا وعلى رأسه قنديل وقيل قنديلان .. والله أعلم .

العـــرب وجائـــزة نـــوبـــل

ماحدث لمصنع الرابطة الليبى هو بالتأكيد من تدبير أجهزة المخابرات فى الغرب . وإذا كنا لا نستطيع تحديد الجهة التى قامت بالتدمير ، فإننا وبالتأكيد - نستطيع تحديد الجهة صاحبة المصلحة فى التدمير ، وليس هناك غير إسرائيل . وهذا المصنع بالذات ثارت حوله ضجة منذ فترة فى الدوائر الغربية ، وصرحت مصادر أمريكية بأنها ستضرب ليبيا ضرب غرائب الإبل إذا لم تسارع ليبيا إلى إغلاق هذا المصنع الذى يمثل خطراً على السلام العالمى . ياسلام !!

المصنع الليبى وحده هو الذى يهدد سلام العالم !

طيب ومصنع القنابل الذرية فى إسرائيل ؟ ومصنع الأسلحة الكيماوية فى أمريكا ؟ ومصنع الأسلحة الكيماوية فى روسيا ؟ ومصنع الأسلحة الكيماوية فى بلجيكا ؟ كل هذه المصانع لنشر الرفاهية وتعميم الخير على سكان المعمورة ، ولكن المصنع الليبى وحده هو مصنع الشيطان الذى يجب تدميره ونسفه من الأساس ! ليه ؟ لأن المصنع الليبى مصنع عربى ، وسلاحه سيكون سلاحا فى يد العرب ، وممنوع على العرب ان يكون لديهم سلاح رادع فى معركتهم ضد إسرائيل .

هذه هى استراتيجية الغرب تجاه العرب ، وهم يطبقونها بحزم صارم وبكفاءة عالية . ومنذ الخمسينات عندما بدأ العدوان الثلاثى على مصر ، كانت أول خطوة للعدوان هى تدمير الطائرات المصرية . وفى أول الستينات طاردوا العلماء الألمان فى مصر ، وخطفوا بعضهم ، ونسفوا بعضهم بالخطابات الملغومة ، ولم يهدأ لهم بال حتى قضوا تماما على صناعة الصواريخ المصرية . وفى السبعينات اشيع ان العراق يقيم مفاعلاً نووياً لانتاج القنابل الذرية . وصدرت تصريحات من هنا وهناك ، بعضها ينصح وبعضها ينذر وبعضها يهدد ، حتى كان اليوم المشئوم حين اغارت الطائرات الإسرائيلية على العراق وحولت المفاعل النووى العراقى إلى حفنة من التراب . وكان مصنع الرابطة الليبى هو آخر محاولة للعرب لحماية أنفسهم ، ولكن المحاولة لم تتم واشتعلت النار فى المصنع وتحول فى النهاية إلى حفنة

رماد . هذه بإختصار هى قصة الصراع العربى الإسرائيلى والتى انتهت كلها بانتصار حاسم للعدو وبهزيمة كاملة للعرب الطيبين . وإذا كان الغرب قد سارع بنفى إشتراكه فى اى عمل تخريبى ضد المصنع الليبى ، كما أن العرب سارعوا أيضا بشجب العدوان الغادر فالعبد لله لن يشجب ولن يحتج ، ولكنى فقط سالطم على خدى احتجاجا على خيبة العرب وعلى سذاجتهم . أيام صناعة الصواريخ المصرية كانت حكومة مصر تعلم تمام العلم أن المصانع مستهدفة ، وتعلم أيضا ان إسرائيل لن تترك العلماء الالمان حتى تقتلهم أو تخطفهم ، وبالرغم من ذلك سمحنا لجاسوس إسرائيلى يتخفى فى زى المانى بالاقامة فى مصر وإدارة مزرعة للخيول وعقد صلات طيبة مع العلماء الالمان انفسهم ، ولم يخطر على بال احد أن هذا الالمانى الافاق قد يكون جاسوساً لإسرائيل ، ولم يصدق أحد هذه الحقيقة إلا عندما اعترف الالمانى جاسوس إسرائيل بالحقيقة كاملة ، لكن هذا الاكتشاف جاء بعد فوات الأوان ، وبعد أن كان الجاسوس قد تمكن من تحقيق أغراضه ففقأ عين أحد الخبراء ، وقتل آخر وقطع أطراف ثالث ، وارشد عن خط سير احدهم وكان فى رحلة الى ألمانيا فخطفوه وقتلوه ولم يعثر على جثته حتى الآن .

بالنسبة للمفاعل النووى العراقى كان الكل يعلم ان المفاعل مستهدف ، والعلماء الذين يعملون فيه مستهدفون ، وبذلنا اقصى الجهد لحماية المفاعل وحراسة العلماء . فماذا كانت النتيجة ؟ قتل العدو العالم المصرى الدكتور المشد ، ونسفت طائرات إسرائيل المفاعل من الاساس . وماذا كان رد الفعل ؟ شجبنا العدوان الغادر ودعونا الى مؤتمر عالمى للاحتجاج على غدر العدو اللئيم ، وكأنه مفروض فى العدو أن يكون طيباً ومؤدباً وابن ناس ومن اسرة كريمة لا تفعل العيب ولا تتنكر لاخلاق القرية !

وبالرغم من التكرار الذى قيل انه يعلم الحمار ، حدثت مأساة المصنع الليبى . الكل كان متأكداً أن المصنع مستهدف . وقد نصحنا العدو فى البداية ثم أنذرنا ثم هددنا . وتصورنا نحن بالطبع أن حراستنا مجيدة ويقظتنا شديدة حتى حدثت الوكسة واحترق المصنع الليبى عن آخره . وهكذا أصبح العرب كالريفى الساذج الذى وقع فى قبضة عصابة لصوص فى القاهرة سلبوه كل ما معه من النقود . فحمل قفته على رأسه ومضى فى الشارع يبكى وينتحب ، فإعترض طريقه فرد من العصابة وسأله عما به فحكى له قصته فطيب اللص خاطره ، وقال له لاتحزن سأذهب بك الى الشرطة ، وسأسترد لك النقود على داير مليم ، وطلب منه أن يهدأ وأن يمسح دموعه وأن يرفع رأسه ، ثم اعطاه عشرة قروش لكى يشترى علبة سجائر من الدكان وزيادة فى إكرام الريفى الساذج حمل اللص القفة عن الفلاح . وبالطبع عندما عاد الفلاح بعد ان اشترى علبة السجائر لم يجد القفة ولا الافندى الطيب . وسار الفلاح فى طريقه يلطم على وجهه من شدة الغيظ . فاعترض طريقه عضو آخر فى العصابة ، طيب خطاره هو الآخر ، وهدأ من روعة وأمره بأن يسكت

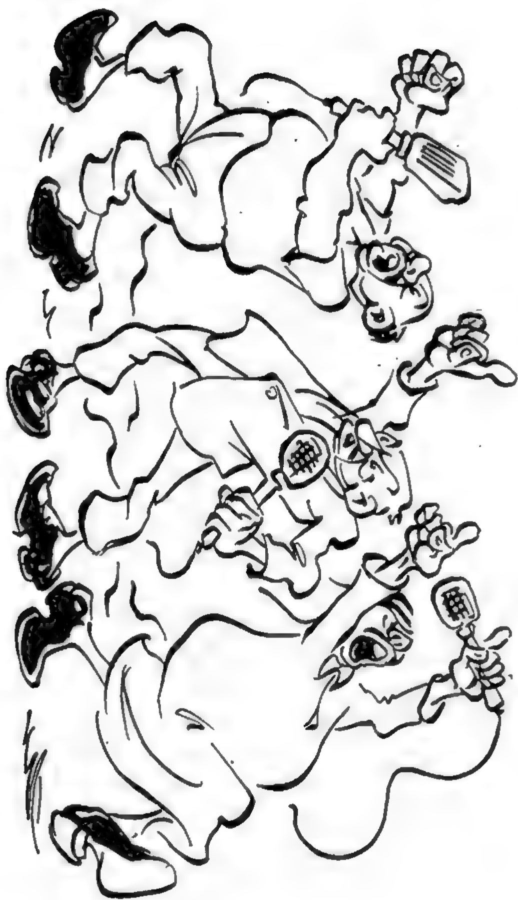

ومسح دموعه ، ووعده بأن يسترد له أمواله حتى آخر مليم ، وأن يعيد اليه اللفة بما فيها من خيرات الريف ، ونصحه بان يخلع جلبابه الصوف الوحيد الذى يملكه ، وأن يتهم العصابة بأنها إستولت على نقوده ولفته وجلبابه ، لكى يكون العقاب شديداً وصارماً ورادعاً ايضاً . وطلب منه ان ينتظره عند باب أحد البيوت لكى يضع الجلباب فى الشقة ثم يذهبان معاً الى قسم الشرطة ، وانتظر الفلاح عند الباب ولكن انتظاره طال ، واكتشف فى النهاية انه سرق مرة ثالثة ، وأن البيت الذى وقف عنده له بابان باب على الشارع وباب فى حارة خلفية ، وان البيه صاحب القلب الرحيم حرامى هو الاخر ومن نفس العصابة وانه اخذ الجلباب الصوف واختفى فى الزحام ! وعاد الريفى الساذج الى مسقط الراس يشجب اللصوص الغادرين !

هل هناك فرق بين العرب وهذا الفلاح الساذج البسيط ؟

لقد ضرب الاعداء الغادرون صناعة الصواريخ فى القاهرة ، ثم دمروا المفاعل النووى فى العراق ، ثم احرقوا المصنع الليبى فى الرابطة . ولم نصنع شيئاً سوى شجْب العدوان الغادر وسب المعتدى الاثم . وبالتاكيد سندعوا بإذن الله الى مؤتمر عالمى حيث نشبع فيه شجباً واحتجاجاً على العدوان الغادر والمعتدى الأثيم . والعبد لله يقترح على الجامعة العربية ، من اجل تسهيل عملية الشجب والاستنكار إنشاء وكالة عربية للشجب ، تكون مهمتها تنظيم مؤتمرات الشجب بعد كل عدوان غادر ، واختيار افضل العناصر الشاجبة فى انحاء العالم لحضور هذه المؤتمرات ، وتخصيص جائزة عالمية لاحسن شاجب فى العالم العربى تكون على غرار جائزة نوبل ، ولاباس من تسميتها بجائزة شوجب ! فنحن بالتاكيد فى حاجة الى مثل هذه الاجراءات ، لأن العدو الغادر لن يتخلى عن غدره ، كما اننا بالتاكيد لن نتخلى عن خيبتنا وسذاجتنا وقلة حيلتنا وهواننا على الناس . وسنظل كذلك طالما ان مفهوم حماية الأمن القومى عند العرب ، هو القبض على اعضاء خلية شيوعية من ثلاثة أعضاء ، لا يستطيعون تحريك شعرة واحدة فى رأس أصلع . أو إعدام جاسوس التقط صوراً فوتوغرافية لشارع نصفه مهدوم ونصفه الآخر دكاكين مغلقة بسبب الكساد والبوار !

إن حماية الأمن القومى الحقيقى ياسادة هو حماية منشأتنا الحيوية وحماية السلاح الرادع الذى فى ايدينا . ولو كان لدينا هذا المفهوم بمعناه الحقيقى لاحتفظنا بصناعة الصواريخ المصرية ، واحتفظنا بالمفاعل النووى العراقى ، وإحتفظنا بمصنع الرابطة الليبى . ولكننا لخيبتنا نعتقد ان حماية الأمن القومى هو حماية نظام الحكم وحراسه المفكرين العظام الذين يؤمنون بالنظرية أو الذين ينظرون للوحدة العربية او الذين يتولون المناصب الرفيعة فى أجهزة الأمن !

حبذا لو بدأنا العمل من مصنع الرابطة الليبى فأنزلنا العقاب الرادع بكل مسئول عن الأمن شغل نفسه بالهايف من الامور والتافه من المسائل ولم يفق الا على

ألسنة اللهب الممتدة من داخل المصنع . وحبذا لو غيرنا مفهوم الأمن فى بلادنا ووضعنا منشآتنا الحيوية على راس اهتماماتنا الزمنية ، بدلاً من الانشغال بتعقب معارض مشاكس أو تسجيل مناقشات مثقف مناوىء أو البحث عن منشور تافه كتبه مناضل من إياهم ، أو رصد اجتماع لزعماء حزب الكهرباء ، وما اكثر احزاب الكهرباء فى بلادنا ، لدرجة ان "مناضلاً" مصرياً من إياهم يدعى (ربحى بهلول) سافر الى بلد شقيق منذ فترة بعيدة وحمل معه قائمة باسماء الوزراء الذين اختارهم لتشكيل الحكومة بعد ان يصبح سيادته هو الرئيس المفدى . والغريب ان البلد الشقيق صدقه واجرى تعديلاً فى القائمة وبعد ان قبض "المناضل" المعلوم سافر الى اوروبا ليناضل بشدة فى ملاهى "كان" وفى كازينوهات "نيس" .

صدقونى نحن فى حاجة الى سياسة أمنية جديدة ، سياسة يكون هدفها الوحيد ليس شجب العدوان الغادر ، ولكن منع العدوان الغادر والحيلولة دون وقوعه .

والعبد لله لا يقصد بهذا الكلام بلداً معيناً او نظاماً بعينه ولكن أقصد الجميع ومن شواطىء طنجة والى غابات الصومال وجبال صنعاء . وهذه هى الوسيلة الوحيدة لكى لا نصبح مثل الريفى الساذج الذى سلبوه نقوده وحرموه من قفته وشلحوه ثيابه ، ثم مضى الى قريته يلطم الخدود حزناً على ما جرى واحتجاجاً على العدو الأثيم وشجباً للعدوان الغادر ، مع ان الغادر الوحيد هو الساذج الذى اتاح للجميع فرصة نهبه وسلبه وتشليحه هدومه فى الطريق العام !

والمهم الآن أن نحدد من هو الساذج العربى الإسرائيلى ، وإذا نجحتم فى تحديده ، فسامحونا على رأى زاهد مطر ، أو اشجبونا !

وفى الصيف ضيعت النقط

وضوا لصـ

وإذا كان لسان حال العرب القدامى «الصيف ضيعت اللبن» فلسان حال العرب النشامى بتوع هذه الايام «فى الصيف ضيعت النفط» ! ولا أعرف السبب الذى جعل الصيف بالذات هو مضيع العرب قديما وحديثا ؟ ولماذا لا يحدث الضياع إلا لثروة العرب ؟ اللبن الذى هو نفط العرب زمان ، والنفط الذي هو لبن العرب هذه الايام والاغرب أن جميع العرب اشتركوا فى هذا التضييع ، العرب «التقدميين» والعرب «الرجعيين» والعرب الذين هم «نص نص» ! أو الذين «بين بين» . وعلى رأى عمنا الدكتور طه حسين وبالقاء نظرة على كشف حساب عائدات النفط خلال العشرين عاما الماضية وبميزان المكسب والخسارة . نرى ان الدول «الرجعية» كانت اسعد حظا من الدول التقدمية لانها انفقت العائدات على إنشاء مدن مزركشة وطرق طويلة .. ثم على امور المتعة والمزاج ولكن الدول التقدمية انفقت العائدات على اصدار مجلات لدعم «الموقف العربى ومؤتمرات لمناقشة التأثير الفوقى للكتاب الأخضر المسخسخ فى ثورة داهومى . وعلاقة الفاتح بنتائج كأس الامم الافريقية .. كما ذهبت ملايين وملايين من براميل النفط لانشاء مراكز ثقافية ومجلات مباحثية ـ من البحوث وليس من المباحث ـ وأحزاب للتنوير وأخرى لاعمال الكهرباء وكل نظام تقدمي واخر راهن باخر قرش من قروش النفط على انه النظام الأمثل والافضل والمؤهل لحكم العالم وتبارى الجميع فى شراء الذمم والاقلام .. وصار الكتاب هم جوارى العصر النفطى . فهذا كاتب بمذكرات ، وهذا كاتب باسرار وهذا ارزقى ولكن معه اوراقا سرية ووثائق مستخبية ، وانهالت الكتب المؤلفة عن صقر الصحراء .. و .. اسد البرارى .. و .. رسول من عجمان إلى اخر الكتب المزركشة المكشكشة التى غمرت الاسواق خلال عصر النفط . والمدهش ان إغلب كتاب هذه «الموسوعات» كانوا فى البدء مناضلين ثوريين قضوا فترة طويلة فى السجون قبل ان يفتحوا أمخاخهم ويهديهم الرزق الى الموقف الثورى الصحيح .

وكما شارك النفط فى إحياء حركة التأليف والنشر . ساهم أيضا فى إحياء الشعر العربى بعد ركود وانحطاط وعلى ابواب الدول الرجعية .. كان الأمر أسهل

على الشعراء وما على الشاعر الا ان يتوكل على الذى لا ينام ويخبط قصيدة عصماء فى مدح الشيخ الذى «وإن كان الاخير زمانه فلسوف يأتى بالعجيب الاعجب» . أما فى الدول التقدمية فقد كان الأمر اكثر صعوبة واشد دقة فليس هناك شيخ ولكن هناك بطل ، ومدح البطل ليس مثل مدح الشيخ ، فالابطال يحتاجون الى بحور أوسع تفعيلة مبتكرة والى مدح البطل والثورة والشهر الذى انبثقت فيه الثورة والشعب الذى اختار البطل ورفعه فوق الاعناق .

ولذلك كثرت القصائد الشهرية نسبة الى الشهور . فهناك قصيدة نيسان وقصيدة تشرين وقصيدة تموز وقصيدة الفاتح من سبتمبر والقافل من نوفمبر والطالع من امشير والنازل من طوبة والفلحت من برمهات ، ولان برمهات هو شهر الخيرات وروح الغيط وهات . لذلك تهافت كل الشعراء الثوريين على شهر برمهات ، و ..

يا أبرمهات .. يا شهر المعجزات
.. والبلح الامهات
وخد وهات ..
والبطل إللى جاء .
ليس كالبطل اللى مات .
.. يا برمهات .
ياشهر المعجزات والمنجزات .
ابوك السقا مات !

وكما شارك النفط العربى فى إحياء حركة التاليف والشعر .. شارك ايضا فى البحوث والدراسات فنشأت داخل العالم العربى وخارجه عدة مراكز للبحوث وأخرى للدراسات وتولى أمرها أرزقية مدربون ، وتولى عملية البحث فيها «دكاترة» اغلبهم حصل على الدكتوراه من السوق الحرة فى مطارات الدول إياها والبحث حسب الطلب وحسب الأجر . فمثلا .. بحث عن الزعراب واثره فى ثورة الفاتح بعشرة آلاف دولار وبحث عن «المحمره .. الفرخة والمدينة بسبعة آلاف دولار وبحث من حرب البسوس وشرب العرقسوس وهوية جبال قرطوس .. خمسة عشر الف دولار» ولان البحوث أصبحت اكثر من الهم على القلب . فكان لابد من مؤتمرات علمية وعقائدية ومرة فى لندن ومرة فى باريس ومرة فى طنجة . المهم ان يجتمع الشمل وتحتدم المناقشة . ومع المناقشة تبدأ المناغشة ؟ وكل شىء بثمنه . شرط أن يكون البحث الرئيسى بذور الاشتراكية ومخاطر أكل الملوخية .. او اسلاك الكهرباء وعواقب الانتماء .. وبعدها تتم عمليات المقصة ، وخد وهات . ويابخت من نفع واستنفع . ومن أجل الانفع والارفع . أما التحين فرزقه على الذى يمهل ولا يهمل ، واذا كانت السجون والمنافى لم تستطع ان تزحزح مناضلا من مكانه ..فقد

استطاع النفط ان يزحزح أصلب المناضلين . ويغير مواقع أعتد الثوريين .. ماركس يتحول الى قومي . وقومى يصبح من جماعة الاخوان المسلمين .. واشتراكى يدخل زمرة الكهربائيين . وشيوعى يضع نفسه فى خدمة الانفتاحيين .. والنفط هو العصا السحرية التى تحرك الجميع . وتغير المواقع ، وتبدل الخنادق ، وتجعل من الساحة السياسية على مستوى العالم العربى شيئا اشبه بساحة مولد سيدى عبد السميع : واذا كانت السياسة وشغل الثلاث ورقات فى الثقافة قد ظفرت بنصيب الذئب من عائدات البترول فهناك ابواب اخرى ظفرت بنصيب الاسد . نوادى القمار التى انتشرت من لندن وحتى لاس فيجاس وفى عام واحد هو عام ١٩٧٩ وصلت ارباح نوادى القمار فى لندن ثمانية مليارات جنيه استرلينى لاحظ انها الارباح فقط ، او بمعنى اخر .. أن هذا المبلغ هو الذى تبقى بعد مصاريف النوادى ومرتبات الموظفين والايجارات والضرائب .. اى ان الدخل فى نوادى لندن وصل على الاقل الى ثلاثين مليار جنيه استرلينى . وهو مبلغ كفيل بحل كل مشاكل مصر .. من اول مشكلة المجارى الى مشكلة الاسكان ، وهو كفيل ايضا بان يجعل من الصومال التى فتكت بها المجاعة بلدا أرقى من اليونان وأغنى من بلجيكا .. وهو كفيل ايضا بأن يجعل من موريتانيا بلدا أجمل من النمسا وأصنع ـ اى اكثر صناعة ـ من تايوان ! فاذا علمنا أن مثل هذا المبلغ ضاع فى كازينوهات امريكا ، ومثله تبدد على موائد كازينوهات فرنسا . ولن نقف طويلا عند المبالغ التى تبددت فى كازينوهات اسبانيا وسويسرا ولبنان اى ان حوالى ستين مليارا على الاقل ضاعت فى القمار كل عام . اى ستمائة مليار فى عشر سنين . وهو مبلغ كان كفيلا بتغيير العالم العربى الى قوة كبرى ليصبح هو القوة العظمى الثالثة وكان من الممكن ان يكون للعرب اسطول اول فى بحر العرب . واسطول ثان فى البحر الاحمر ، واسطول ثالث فى البحر الابيض . واسطول رابع فى البحر الاسود ، واسطول خامس فى المحيط الهندى ، أما الاسطول السادس العربى فبالطبع سيكون محله المختار فى الخليج ! وكان من الممكن ان يكون لدينا مفاعل نووى فى فزان .. ومفاعل نووى اخر فى نواكشوط ، ومفاعل ثالث فى رأس الخيمة ! اما محطة إطلاق الصواريخ عابرة القارات فمكانها الطبيعى هو إمارة الشارقة . اما مركز ابحاث الفضاء فهو فى اسوان ، اما منصة إطلاق سفن الفضاء فهى فى صنعاء . وكان من الممكن ايضا ان يكون لدينا ستة جيوش كبيرة جيش الشرق ويحمى الخليج والعراق . وجيش الجنوب ويحمى الصحراء الجنوبية والسودان وجيش الشمال ويحمى حوض البحر الأبيض المتوسط . والجيش النووى وهو مستعد لأى حرب فى اى مكان وجيش سادس احتياطى لمواجهة كل الحالات . ولو سرحنا فى حكاية الممكن وما كان ينبغى ان يكون ، فسنسرح فى مزارع واسعة للاستهلاك المحلى وللتصدير . وصناعات اشكال والوان نغرق بها اسواق العالم . وصحف بكل اللغات موجهة الى كل لسان على ظهر الارض . وشركة طيران عربية

دولية تغطى الكرة الارضية . ومائة شركة طيران داخلية تربط العرب بعضهم ببعض . وطرق برية من الدار البيضاء الى الرياض ومن الخرطوم الى بغداد . ومن الفيوم الى الفالوجه .. ولكن هاهى الايام مرت والاعوام كرت . وانفض مولد النفط وخرجنا نحن العرب من المولد بلا حمص .. وعدنا او سنعود يارينا كما خلقتنا . لا نفطا أبقينا فى بطن الأرض . ولا فلوسا ابقينا فى بطن البنك . وبالبرغم من ذلك . رغم الوكسة والنكسة لا الكتب السميكة توقفت ولا مراكز الدراسات اياها اغلقت .. ولا شعراء برمهات اصابهم الوجل او الخجل والنتيجة خسر العرب كل شىء الا القصائد والمجلات والمؤتمرات ومراكز الدراسات واحزاب الكهرباء ويامبت ندامة على نفط العرب ضاع بين مزاج العرب الرجعيين ومذاهب العرب التقدميين ، لم يستفد الشعب العربى منه شيئا . انما الذى استفاد هو جماعة الأرزقية . زعماء احزاب الكهرباء تجار السياسة وتجار الكلام وهؤلاء بالرغم من غناهم وبلهنية العيش التى يغرقون فيها حتى الآذان لا يزالون يتاجرون مع السياسة والمبادىء فى الملابس القديمة والاحذية المستعملة ويسرحون بها فى السوق مع .. الذمم الخربة والضمائر العفنة ، ولا بأس من التجارة فى كل شىء فقد بارك الله فى التجارة والنجارة ويا شهر برمهات يا شهر المعجزات والبلح الامهات وخد وهات والبطل اللى جاء ليس كالبطل اللى مات وآه يابرمهات ياشهر المعجزات والكهربات .

الحان السماء

الاستاذ الكبير محمد عبد الوهاب سميع قران ليس له مثيل واذنه كميزان الجواهرجى لا تخطىء الحساب عند وزن جوهر الصوت وتحفظ قيمته ولو كان واحدا على الف فى الجرام سألت استاذنا عبد الوهاب بمناسبة شهر رمضان المعظم عن المشايخ مقرئى القران زمان والفرق بينهم وبين المشايخ مقرئى القرآن هذه الايام وبالمناسبة عبدالوهاب كان صديقا للشيخ على محمود . وكان محبا للشيخ مصطفى إسماعيل وهو من المعجبين بصوت الشيخ عبد الباسط عبد الصمد .

وفى رأى عبد الوهاب ان الشيخ على محمود هو أعظم من لحن التواشيح ووصل بها الى ذرا مرتفعة وقمم شاهقة بالرغم من انه كان يرتجل الحانه حسب حالته الصحية والنفسية واستعداد المستمعين . فمثلا سميعة حى الزمالك ليس لديهم الاستعداد كسميعة حى المدبح ، وسميعة حى الحسين ليسو كسميعة حى الروضة . ولذلك ـ هكذا يقول عبد الوهاب ـ كان الشيخ على محمود يبدو عاديا فى الزمالك ومحلقا كالنسر فى حى الحسين . ولم يستطع احد من الذين اتوا من بعده ان يبلغ مرتبته أو يرتفع الى مستواه والشيخ محمد رفعت فى رأى عبدالوهاب ليس له نظير على مر الزمان كان صوته صوتا ملائكيا سماويا مشحونا بالتقوى وبالايمان . أما مشايخ هذه الايام فهم جميعا لا باس بهم ، وان كان ليس من بينهم العبقرى الذى يمكن ان يخلد اسمه بين العباقرة من المقرئين العظام .

سألت استاذنا محمد عبد الوهاب عن الطبلاوى بالتحديد .. عن مكانة الطبلاوى بين المقرئين وعن رأى عبد الوهاب شخصيا فى صوت الشيخ الطبلاوى وقال عبد الوهاب نبرات صوت الطبلاوى لم اسمع لها مثيلا من قبل ، إنها نبرات نادرة وغريبة وتهز النفوس فى الاعماق ، وأنا استمعت الى الشيخ الطبلاوى ـ هذا كلام عبد الوهاب ـ وشعرت باننى اريد ان اصرخ او ابكى او اخرج من هدومى وانطلق هائما على وجهى فى كل اتجاه فهذه النبرات العظيمة اشبه بكنز من الذهب الخام لا ينقصه إلا صائغ عبقرى ليضعه الملوك فوق رءوسهم .

واتصلت تلفونيا ـ الكلام لعبد الوهاب ايضا ـ بمنزل الشيخ الطبلاوى وأسوء الحظ لم يكن الشيخ الطبلاوى هناك فتركت لهم اسمى ورقم تليفونى ورجوتهم اذا عاد ان يطلبنى فى التليفون لامر هام ـ كان ذلك منذ عام ـ الكلام لعبد الوهاب برضه ـ ولكن يبدو أن الشيخ الطبلاوى لشدة انشغاله وكثرة سفرياته لم يعد الى المنزل حتى الآن . انتهى كلام استاذنا عبد الوهاب .. ويبدأ الان كلام اخوكم الفقير الى الله محمود السعدنى .

فأنا يشهد الله من المعجبين بالشيخ الطبلاوى وأنا لم اشهد بداية شهرته فى القاهرة لاننى كنت سارحا فى الخارج كالغراب النوحى هاربا من بلد الى بلد . وعندما استمعت اليه فى الاذاعة المصرية اول مرة وأنا فى بغداد ، بكيت فقد كان صوته اشبه بشلال من عصير احزان الشعب المصرى . وكنت اتساءل دائما لماذا لم يرتفع الشيخ الطبلاوى الى الذروة التى كان ينبغى ان يتبوأها ؟ ولماذا لم يشق طريقه الى المكانة التى يستحقها . لقد اجاب الاستاذ عبدالوهاب على سؤالى ، اتصل بالشيخ الطبلاوى ليرشده الى الطريق الصحيح ولكن الشيخ الطبلاوى لم يكلف نفسه عناء الاتصال بعبد الوهاب وأنا لا اعرف احدا اكبر حجما على امتداد الوطن العربى من محمد عبدالوهاب ، نعم هو اكبر الفنانين حجما واطولهم قامة واكثرهم عطاء واخلدهم على المدى القصير والطويل .. وهو بلاشك اخلد من توفيق الحكيم ومن الشاعر مهدى الجواهرى .. وأثره اعمق من الروائى نجيب محفوظ والسبب ان هؤلاء الشعراء والكتاب والروائيين اثروا فى جزء من الامة . هو الجزء الذى يعرف كيف يقرأ وكيف يكتب . اما عبد الوهاب فقد وصل تاثيره الى الجميع ، من اول ستى بهانة الى خالتى ام عبد الحفيظ الى جدى الشيخ خليل ، الكل استمع الى عبدالوهاب والكل تاثر به والجميع احبوه ، ولذلك لم تنتابنى الدهشة عندما جلست اربع ساعات فى خيمة امير عربى مضروبة على مشارف الصحراء ، ولم يكن معنا إلا مجموعة من البدو ، وكان محور الحديث هو محمد عبد الوهاب . ولم اندهش ايضا حين سهرت ليلة باكملها فى قهوة بلدى بساحة المرجة بدمشق مع اديب سورى لامع هو اديب نحوى وعشرات من ابناء الشام الطيبين . وكان الحديث كله عن محمد عبد الوهاب ، وحتى فى جبال البرد وفى بلد خنيفرة فى سفح جبال الاطلس سالنى كل من التقيت بهم عن محمد عبد الوهاب ، حتى فى شمال العراق وفى قرية كردية اسمها بامرنى كانت السهرة كلها حول عبد الوهاب ومن حسن حظى اننى تعرفت على عبد الوهاب فى صدر شبابى وكان كامل الشناوى هو قناتى اليه واذكر اننى كنت أجن فى اول لقاء بمحمد عبد الوهاب . فقد وجدت نفسى فجأة امام ولد مصرى ابن بلد من ابناء باب الشعرية ، ولايزال رغم المجد والشهرة يتصرف كما كان يفعل اثناء اقامته فى حارة سيدى الشعرانى عليه رضوان الله واحببت محمد عبد الوهاب واكبرته وتاكدت يومها من صحة المعادلة الفنية التى تقول بان العظمة هى البساطة والشموخ هو التواضع واكتشفت ايضا

ان عبدالوهاب لانه فنان حقيقى فهو يحب فنه ويحب ايضا فن الآخرين . ومن اجل هذا اهتم عبدالوهاب بعد ان استمع الى صوت الشيخ الطبلاوى فسارع بالاتصال به تليفونيا ولكن لسوء حظنا وحظ الشيخ الطبلاوى لم يكن الاخير موجودا بالبيت لحظة الاتصال . ولان عبد الوهاب فنان طيب فقد ترك رقم تليفونه واسمه للشيخ الطبلاوى ولكن الشيخ الطبلاوى لم يعد للمنزل منذ عام ، ويصبح حظنا سيئا فعلا لو ظل الشيخ الطبلاوى بعيدا عن بيته حتى نموت . وسألنى عبد الوهاب تفتكر ليه ما تصلش بيه ؟! واجبته لعله ظن ان لديك مأتما وتريده للقراءة هناك بالمجان ! مسكين الشيخ الطبلاوى لم يستطع اغتنام الفرصة التى جاءت اليه وتركها تفلت من بين يديه ، لو انه كلف خاطره واتصل بمحمد عبد الوهاب ، فربما كنا نعيش الان عصر الطبلاوى ولكن يبدو ان الطبلاوى لفرط تواضعه ولعظيم ثقافته . آثر ان يعيش مثلنا فى عصر محمد عبد الوهاب !

ولولا وجود الشيخ الطبلاوى فى الوقت الحاضر ، لقلنا ان دولة التلاوة صارت الى زوال . فهو الوحيد من بين جميع المقرئين الذى لصوته سحنة خاصة وبصمة معروفة . فهو الموهوب الوحيد وغيره متشابهون . ولكن عيب الطبلاوى انه عظيم الموهبة قليل الصنعة ، كما أن صلته بالنغم محدودة ، وهو لم يتعلم شيئا من فنون الالحان ، ويبدو أنه لن يتعلم لأنه لايريد . ولعل هذا هو السبب فى تراجع مستواه . ولكن هناك بين المقرئين من يتفوق فى الصنعة رغم تواضع مواهبه . من هؤلاء الشيخ السيسى والشيخ حصّان ـ بتشديد الصاد ـ فهو فنان وان كان صوته عاديا ، والشيخ مصطفى غلوش والشيخ منصور والشيخ الصياد والشيخ عمران .

وهذا الكلام ليس من عندى ، ولكنه رأى اسطورة الانغام والالحان فى هذا القرن محمد عبدالوهاب ، فهو سميع قران من الطراز الاول ، ورأيه ان الموسيقى هى حرفة « الفقها » وان سيد درويش وزكريا احمد وعلى محمود ومحمد القيومى وسلامة حجازى وأم كلثوم وعبدالوهاب نفسه أصلهم (فقها) جمع فقى . ويحذر عمنا الكبير محمد عبدالوهاب من خطر اندثار هذا الفن السماوى العظيم بسبب اختفاء المواهب ، حتى انه لم يعد فى الساحة إلا صوت واحد ، هو الآخر على وشك المغيب .

ويقول عبدالوهاب ان مهمة اذاعة القرآن الكريم هى البحث عن اصوات جديدة فى ريف مصر وفى جمعيات المحافظة على القرآن الكريم ، ويقول عبدالوهاب ان هناك ظاهرة خطيرة وهى ان كل الأصوات التى ظهرت فى مصر خلال العشرين سنة الاخيرة غير متميزة ، والكل متشابهون حتى يمكن اعتبارها كلها صوت واحد . ومصر كان لديها فى وقت مضى عشرة أصوات على الاقل متميزة لكل منها لون فريد . من أول محمد رفعت الى الشعشاعى الى زاهر الى محمد سلامة الى على محمود الى مصطفى اسماعيل الى سليمان العدنى الى السنديونى الى الشامى

الدمنهورى الى الصيفى الى عبدالباسط يرحمهم الله .

على اية حال ، أعود فاقول ان دولة التلاوة كغيرها ، يوجد هناك معجبون لكل لون ، وفى حقل الغناء مثلا ، سنجد من يعجب بأم كلثوم ، وسنجد ايضا من يعجب بأم سحلول ! وفى دنيا الشعر ستجد من يهتز طربا باشعار أحمد شوقى ، وستجد من ينتشى بقصيدة أحمد شلبى . وفى الادب .. هناك معجبون بادب نجيب محفوظ ، كما ان هناك دراويش لادب نجيب محروس !

وفى دنيا التلاوة ، لا اظن ان هناك خلافا حول عبقرية صوت الشيخ محمد رفعت ، أو عظمة صوت الشيخ مصطفى اسماعيل ، أو حلاوة صوت الشيخ عبدالباسط عبدالصمد . وكما ان الاصوات مختلفة ، فالآذان أيضا تختلف . ذلك لأن الحياة مختلفة والناس والأذواق ايضا . وفى الأرض قطع متجاورات ، صنوان وغير صنوان ، وايضا لان الدنيا حظوظ .. ومزاجات !

وضاعت فرصة العمر

ويااميت ندامة على اللى حب ولا طالش ! على رأى المرحوم عمر الجيزاوى . وهو بالتاكيد (لا طالشى) لانه اخطأ التوقيت أو اخطأ التعبير ، او اخطأ الاثنين معا ، ففاتته الفرصة ولا طالشى ! وفى الاسبوع الماضى شعرت بأننى فى حاجة ماسة الى عمر الجيزاوى ليعيد ترديد اغنيته المشهورة ولكن فى موقف آخر لا علاقة له بالحب ، وان كانت النتيجة واحدة فى الحالتين .. لا طالشى ! لقد فات العرب فى الايام الاخيرة فرصة العمر ، على راى محمد لطيف ، عندما وقفوا يتفرجون على المعركة التى دارت بين حسنى مبارك والإدارة الامريكية بعد اجبار الطائرة المدنية المصرية على الهبوط فى قاعدة حربية تابعة لحلف الاطلنطى . كان واضحا للعالم كله بان غضب حسنى مبارك بلا حدود ، وبدا واضحا ايضا انه لم يكن يتوقع مثل هذا الاجراء الصبيانى من جانب اكبر دولة على ظهر الارض ، وضاعف من غضبه انه ربط بين وضع مصر الاقتصادى وبين ترف امريكا العدوانى ، واللامبالى ايضا . وفى هذه اللحظات بالذات ، لحظة المواجهة بين غضب مبارك لكرامة الشعب المصرى واستهتار امريكا بكل شىء ، حانت فرصة العمر أمام العرب ليثبتوا جميعا انهم بالفعل عرب ، وانهم جميعا مستهدفين ، الاثرياء منهم والفقراء ، الاقوياء منهم والضعفاء ، المتطرفون منهم والمؤمنون الذين يمشون على الصراط . ولا أدرى لماذا تصورت لحظة رأيت مبارك يغلى بالغضب على شاشات التليفزيون بأن العرب سينتهزون فرصة العمر وسيبادرون الى اداء واجبهم كما ينبغى للعرب ان يؤدوه ؟ لا أدرى لماذا تصورت ؟ وربما تصورت ما تصورته بسبب جهلى او غبائى أو سذاجتى أو للاسباب الثلاثة . اقول تصورت ان العرب سينتهزون فرصة العمر ، وسيجتمع العرب كما اجتمعوا فى مؤتمر بغداد وسيدفعون ثمن القمح الذى تستهلكه مصر لمدة عام ، وسيفتحون لمصر اعتمادا سائلا فى البنك بنصف مليار دولار ، تتصرف فيه مصر حسب احتياجاتها وتبعا لظروفها والحسبة كلها لا تتعدى الملیار دولار . ينفق اضعاف اضعافها العرب الاثرياء فى نوادى لندن ، وينفقون اضعاف اضعافها العرب النص النص فى

حمامات كوريا وتايلاند وبلاد تركب الافيال واه لو اغتنم العرب الفرصة ، آه لو فعل العرب هذا الذى تصورته ، اذن لسندوا ظهر حسنى مبارك وصلبوا قامة الشعب المصرى . وربما كانت هذه اللحظة هى بداية الطريق لعودة مصر للعرب وعودة العرب لمصر . ولكن الغريب ان الجميع عمل طناش ! والكل اكتفى بكلمات الشجب كلهم بلا استثناء العرب اصحاب العقائد والعرب اصحاب المزاج ! لم يخرج عن القاعدة الا الجماهيرية العربية الوحدوية المهلبية فلم تدفع ولم تشجب وربما شجبت مصر ومنظمة التحرير وابناء عدنان اجمعين ! والعبد لله والحمد لله مؤمن بالعروبة وبالعرب ، ويعتقد انه لا خلاص لنا الا بوطن عربى واحد ، او بولايات عربية متحدة ، أو على الاقل بتنسيق بين كل الاقطار فى المسائل الاقتصادية والعسكرية فاذا لم نستطع فبتكامل او بتكافل أو بتعاون او بتضامن ، الى آخر هذه المسميات ، فاذا لم تستطع بنا الشهامة أو النخوة الى آخر هذه الصفات التى وردت فى ديوان الحماس وربما عن طريق الخطأ ، وهذا اضعف الايمان ! والعبد لله والحمد لله مع العرب بالقول وبالفعل وبالاشارة وبالقلم . والعبد لله والحمد لله لحظة الخلاف بين نظام السادات والعرب ، اخترت جانب العرب . وكنت ولازلت وسأظل مؤمنا بان مصر بالعرب تختلف كثيرا عن مصر بلا عرب ، كما أن العرب بمصر يختلفون كثيرا عن العرب بلا مصر . والعبد لله يؤمن ايضا بان خطة الاعداء جميعا تتلخص فى مواجهة مصر بدون عرب ومواجهة العرب بدون مصر . فما بالك اذا كانت الامور انتهت الى شىء لم يخطر على بال العدو ولم يفكر فيه ايضا لقد اكتشفت فجأة انه يواجه مصر بلا عرب ، ويواجه العرب بلا مصر . فقد تحول العرب الى الف عرب عرب النفط وعرب الماء وعرب تقدميون وعرب رجعيين عرب بكتب وعرب بنظريات وعرب اجياع وعرب باحزاب وعرب بجماهير وعرب مع الامريكان وعرب مع الفرس وعرب مع الروس وعرب ميليشيات وعرب يطلبون الستر !! وأعتقد ايضا اننى وقد ربطت مصيرى بالعرب فلا بأس من توجيه العتاب للعرب ، لأن فرصة العمر قد ضاعت من ايديهم عندما احتدم الخلاف بين حسنى مبارك والإدارة الامريكية ، واعتمدت الإدارة الامريكية فى حساباتها على ان المحتاج لايستطيع الاحتجاج واذا احتج الصوت واذا استطاع ان يصرخ فلن يتعدى حدود الصراخ ويبدو ان امريكا تعلم عنا اكثر مما نعلم لاننى بجهلى او لغبائى او لسذاجتى اتصور ان العرب سيهرعون لمساعدة مصر ، وسيسارعون لدعم مصر . اذا لم يكن من باب المصلحة الشخصية ، فمن باب العروبة باعتبارنا جميعا من صلب عدنان ، فاذا لم يكن من باب العروبة فمن باب الإسلام ، باعتبار ان الرسول صلوات الله عليه أوصى على سابع جار ! ومصر ليست هى الجار السابع ، ولكنها جزء من الجسد العربى ، وهى بالتحديد وبالتأكيد فى موقع القلب . ولعلنى لا أبالغ إذا قلت ان سبب كل المتاعب والمصائب التى حطت على رأس الأمة العربية سببها الحقيقى ان القلب يشعر بالارهاق لانه ثبت بالدليل القاطع وعلى مر التاريخ ان العرب فى خير طالما ان مصر العربية فى خير . ولن

العرب فى انحسار طالما ان مصر العربية تعانى من المشاكل والمصاعب وسوء الحال .

على ان مصر بكل صراحة وبدون تواضع هى الاخ الاكبر الذى قطع تعليمه واشتغل موظفا فى أرشيف وزارة الاوقاف لكى يرعى اخوته الصغار واكتفى ببدلة واحدة ووجبة واحدة وغرفة واحدة ، وظل يرعى اخوته حتى أكملوا تعليمهم وحصلوا على شهاداتهم ووصلوا الى أعلى المناصب والدرجات ثم حدث بعد هذا العمر الطويل من الصبر والتضحيات ان جاء الدائن فخطف طربوش الاخ الاكبر أمام الاهل والجيران ، فهل يليق بالاخوة الذى فتح الله عليهم ان يلزموا الصمت !

او يكتفوا ببرقيات الشجب والاحتجاج صدقونى أنا فى حيرة من أمرى أكاد ألطم خدودى ببرطوشة قديمة من هول ما حدث فى الاسابيع القليلة الماضية . وحيرتى ليس سببها الموقف الامريكى فأمريكا دولة قوية ومفترية وهى تعامل الآخرين باعتبارهم عساكر فى حرس السلطان وهى ليست فريدة فى تصرفها ولكن هكذا كانت الدول القوية المفترية على مر الزمان .

فليس فى السياسة الدولية علاقات صداقة ومحبة ولكن مصلحة الدولة الاقوى أولا وثانيا واخيرا ، حتى ولو كان الثمن عشرات الدول الصغيرة وملايين الناس الطيبين ، ولكن حيرتى وهمى وغمى وبؤسى الشديد كان موقف الاخوة العرب جميعا ، أثرياء وفقراء متطرفين وحكماء أصحاب نظريات وأصحاب مزاج ! ولا أدرى لماذا تذكرت قول الشاعر القديم ولعله عمنا الكبير المتنبى الذى قال : "وظلم ذوى القربى أشد على النفس من ضرب الحسام المهند" . ولعل عمنا المتنبى قال هذا البيت لتصوير حالة مشابهة ، ربما ذات يوم من تلك الايام خطف الروم قافلة جمال لسيف الدولة ولم تسرع كتائب العرب النشامى لنجدة سيف الدولة ! ربما كان هذا سبب حزن المتنبى . كما انه سبب حزن العبد لله الذى من حقه الآن ان يحمل لقب المتغبى من الغباء والعياذ بالله ! ولا اعتقد ان هناك اكثر غباء منى حين تصورت ان العرب النشامى سيقومون بهجوم عزوم على البنك المركزى الدولى ليودعوا باسم مصر نصف مليار دولار ثمن قمح لمدة عام ، ونصف مليار دولار مصروف يد لحكومة مصر لمدة عامين لكى يسندوا ظهر أخيهم مبارك ويشدوا من قامة شقيقتهم الكبرى مصر . وربما لو حدث هذا ما كنا فى حاجة الى لجان لتنقية الاجواء العربية . ولربما وجدت مصر نفسها خارج كامب ديفيد وخارج كامب ريجان ولكن واأسفاه على أمة عدنان ، اكتفت ببرقيات الشجب ومقالات الاستنكار !!

وضاعت فرصة العمر من أيدينا .. ياولداه !!

مسألة فيها نظر!

لم يظهر على وجه الأرض منذ دولة الملك "حنكوش" أقوى ولا أعظم ولا أغنى ولا أعتى من دولة الولايات المتحدة الامريكية ! ولم يحدث فى تاريخ البشرية ان اجتمع لرجل واحد ـ وهو الرئيس الامريكى ـ كل هذا الثراء القومى ، والبأس الوطنى ، والمقام السامى على مستوى الكون ! ولذلك فخطوات الولايات المتحدة لابد وأن تكون محسوبة ، وكلمات الرئيس الامريكى ولابد ان تكون موزونة ! وهى حكمة إلهية ، لان اى خطأ ترتكبه حكومة كوستاريكا ، سيكون وبالا على كوستاريكا نفسها . اما الخطأ الامريكى فياداهية دقى على الدنيا وما فيها ! واذا كان الرئيس الامريكى فى عرف البروتوكول شأنه شأن الرئيس الكوستاريكى ، فكلاهما يلقب بصاحب الفخامة وكلاهما تفرش له السجاجيد الحمر ، وكلاهما تعزف له موسيقات الجيش أناشيد الترحيب ! ولكن بعيدا عن البروتوكول وقيوده ، فالرئيس الامريكى يختلف تمام الاختلاف عن أى رئيس على ظهر الأرض . فهو رئيس اكبر دولة ، ورئيس اقوى قوة وتحت يده مفاتيح السلام والحرب ! وكلام الرئيس الامريكى هو رئيس الكلام ، وفرحه هو فرح الكل . وغضبه ينبغى ان يحسب له الجميع كل حساب ! ولولا رحمة الله ، وانتشار المدنية والحضارة وبشائر القرن الواحد والعشرين ، لكانت حدود دولة امريكا تمتد من كاليفورنيا الى كاليدونيا ، ومن نيفادا الى كوم حمادة ! لانه اذا كانت دولة فى حجم الكف مثل بريطانيا ، استطاعت ان تحكم كل العالم ، فما بالك بالولايات المتحدة ، وبريطانيا بالنسبة لها ، كما فريق مدغشقر بالنسبة لفريق البرازيل ! ولكن وبرغم انتشار الحضارة ، وازدياد الوعى ، وبشائر القرن الواحد والعشرين ، فان الرئيس الامريكى يبقى له وضع خاص . فهو اذا تكلم .. فالكلام بميزان الذهب ، واذا تحرك .. فخطوته بحساب الكمبيوتر . واذا ابتسم فهو خير للبشر واذا ضحك فعلى الأرض السلام ، واذا ابتهج فبالناس المسرة ! اما اذا حدث والعياذ بالله وغضب .. فياداهية دقى ، واذا هدد فهو نهار اسود من الكحل ، واذا ارعد فيا خراب بيت كل دابة على هذه الأرض ! ولذلك .. استمعت الى خطابه الاخير الخطير بشغف عظيم وباهتمام اعظم . وسرنى ان الرئيس الامريكى رغم ضخامة مسئولياته ، وعظيم مشغولياته ، وبرغم المنصب

الخطير والوضع الحساس .. الا انه كان صريحا الى اقصى حد ومباشرا بشكل حاد ومفتوحا على نحو واضح .. وعلى بلاطة . وسمى الدول الإرهابية التى تعشش على ظهر المعمورة ، ولانه رئيس اقوى دولة عرفها تاريخ البشر ، فقد اختار من ـ باب العدل ـ دولة فى كل قارة من قارات الدول الغلبانة . فاختار ايران من آسيا ، وليبيا من افريقيا ، ونيكاراجوا من امريكا السمراء ! ولم يخف الرئيس الامريكى شيئا ، ولم يجامل احدا ، وكيف له ان يجامل ؟ وهو الرئيس الاقوى والاكبر والاعظم على ظهر الارض !! والحق اقول اننى مع الرئيس الامريكى فيما ذهب اليه . ومن حقه ان يغضب وان يثور وان يحتج ! ومن حقه ايضا ان يهاجم أوكار الإرهاب بالكلام ، ولا بأس من الهجوم عليها بطوابير الدبابات واسراب الطيارات وجحافل جنود المظلات . العيب الوحيد فى خطاب الرئيس الامريكى هو اهتمامه الشديد بالإرهاب البسيط وتجاهله للإرهاب المركب وسقوط اسماء بعض الدول ـ سهوا ـ من خطابه التاريخى العظيم . وهذا الخطأ يمكن تداركه اذا أعاد الرئيس الامريكى قراءة خطابه مرة اخرى على مهل فسيجد حتما اسماء فات عليه ذكرها فى الخطاب . اما اذا كان الخطاب لم يتعرض اصلا لهذه الدول الإرهابية ، فهى كارثة عظمى ، ويكون الرئيس الامريكى فى معزل عن الحقائق ، وبعيدا عن متناول المعلومات وتكون الاجهزة الامريكية متآمرة وتدس على الرئيس الامريكى معلومات خاطئة ، وتقارير مكذوبة ، ومن شأن خطأ مثل هذا تدمير كوكب الارض ، وإبادة كل اثر للحياة ، وباعتبارى من انصار الرئيس الامريكى ، ومعجب بالنموذج الامريكى وحريص على الحضور الامريكى لذلك .. اقول للرئيس الامريكى حسنا فعلت ياسيدى الرئيس ، فان خطف طائرة عمل إرهابى يستحق العقاب ، وتعذيب الرهائن عمل ردىء ودنىء يستحق مرتكبه التعليق على شجرة ! ولكن ما رأيك ـ ياسيدى الرئيس الامريكى ـ دام فضلك فى حادث خطف وطن ؟ وما رأيك فى تعذيب شعب ؟ وماهو عقاب من يرسل جيشه لغزو اراضى دولة لم تعلن الحرب ؟ ولست لا سمح الله ضد توقيع العقاب على ليبيا أو كوبا أو ايران . ولكنى فقط اطلب عقاب الكل . اما توقيع العقاب على من يهدد الناس بمسدس ، وتكريم من يهدد الناس بأساطيل سارحة ، وجيوش قارصة ، وقنابل نووية ماسحة ، فهو اجراء لن يحقق اى عدل ، ولن ينشر اى سلام . لان تكريم إسرائيل بعد غزو لبنان ، سيجعل لبنان يفكر فى حماية نفسه بطريقته الخاصة . وخطف هضبة الجولان ، سيجعل خطف طائرة يبدو .. كأضعف الايمان ! وتعذيب شعب فلسطين كله يهون الى جانبه تعذيب مائة رهينة من ركاب الطائرات . واحتلال سفارة عمل هين الى جانب احتلال اراضى الغير ! اننى ياسيدى الرئيس الامريكى أتوسل اليك ان تحقق العدل بين الجميع ، وان تقف فى وجه كل الإرهابيين وهناك دولة فى آسيا تتحدى العالم كله وتتحدى الامم المتحدة وتتحدى الولايات المتحدة نفسها ، ومع ذلك لم تذكرها فى خطابك التاريخى الهام ياسيدى الرئيس . وانا اخشى ان تكون الاجهزة قد اخفت عنك

الحقيقة واخاف ان تكون هذه الاجهزة على علاقة بدولة الإرهاب .. أسرائيل ! وزيادة فى المعلومات ياسيدى الرئيس ، اقول لك ان هذه الدولة خطفت وطنا هو فلسطين وخطفت شعبا هو شعب فلسطين ولم تقنع بذلك . ولكنها خطفت هضبة الجولان من سوريا ، وخطفت الجنوب من لبنان ، وخطفت طابا من مصر ، وخطفت الوف من شعب لبنان وسجنتهم فى سجن عتليت وضربت المفاعل العراقى مع انه للاغراض السلمية وقتلت كل عالم غربى اتصل بالعرب . ومع ذلك لم يغضب رئيس امريكى واحد ، ولم يحتج رسمى امريكى واحد ، وحتى خطابك التاريخى الاخير ، سيدى الرئيس .. خلا من اى اشارة الى دولة الإرهاب الكبرى .. إسرائيل ! وفى افريقيا دولة إرهابية اخرى على نفس المستوى وبنفس القدر ، وهى دولة جنوب افريقيا . وهى ستخطف وطناً بشعبه ، وتحتفظ بالجميع رهائن على مشهد من العالم كله وبدون حياء ولا خوف ! وهى تعربد ضد جيرانها ، وتدمر كل ما حولها ، وتغزو اراضى غيرها . ومع ذلك تمضى اعمالها الإرهابية بدون حساب او عقاب . ولقد توقعت ياسيدى الرئيس ان اقرأ اسمها فى كشف الدول الإرهابية ، ولكنى صدمت لان الكشف خلا منها ومن دول غيرها . ولذلك اخشى ياسيدى الرئيس ان يمر خطابك ولا يترك اثرا واخاف ان تشتد موجة الإرهاب اذا ثبت للبعض ان بعض الإرهاب يمر من وراء ظهر الرئيس الامريكى أو اذا تصور البعض ان هناك إرهابا مرفوضا ، وإرهابا لا بأس عليه ! لقد كان موقفك الاخير ياسيدى الرئيس فرصة لكى نتخلص من الإرهاب كله مرة واحدة ، واخشى اذا مرت هذه الفرصة ان نغرق جميعا فى بحر الإرهاب ! تعال ياسيدى الرئيس وسنمشى خلفك جميعا لندمر اوكار الإرهاب فى كل مكان . ولنبدأ بالاهم فالمهم تعال ندمر اوكار الإرهاب فى إسرائيل ، وقواعد الإرهاب فى جنوب افريقيا . وعندئذ سنمشى خلفك لتدمير ما شئت فى ليبيا وفى ايران . اما الاحتجاج على خطف طائرة والغضب من تعذيب رهائن ثم السكوت على خطف وطن وغض الطرف عن تعذيب شعب ، فهى مسألة مريبة واخشى ان تكون سببا فى ازدياد نار الإرهاب فى كل مكان . وهو ايضا موقف لا يليق بالرئيس الامريكى ، ويجعله فى مستوى الرئيس الكوستاريكى تفرش له السجاجيد الحمر ، وتعزف له موسيقات الجيش اناشيد الترحيب ! وعفوا سيدى الرئيس الامريكى اذا سولت لى نفسى ان اخاطبك مباشرة بهذه الكلمات وعرى اننى مواطن يؤمن بالعالم الحر ، واعتقد حتى هذه اللحظة انه عالم حر ، لان رئيس اكبر دولة فيه يسعى لتحقيق حرية الجميع . اما اذا كان للكلمة تفسير آخر ، وان تكون الامور سائرة عن طريق الشاعر اياه الذى قال "قتل امرىء فى غابة مسألة لا تغتفر ، وقتل شعب كامل مسألة فيها نظر" اذا كانت المسائل تجرى على هذا النحو ، فقل على الارض الدمار ، وبالناس الحسرة ، وعلى الجميع العفاء !..

الله عليك يا عمى !

عودة العبد لله الى مصر المحروسة ، بعد زيارة استغرقت ثلاثة أسابيع للعاصمة البريطانية لندن ، قضيت أغلبها أمام جهاز التليفزيون ، منذ عودة اخيكم العبد الفقير لله ، وأنا حزين حزن غرائب الابل ، تعيس تعاسة الكسمى بعد ان تهور ورمى يمين الطلاق على زوجته نوار ، هفتان كعيان من كفر شنشور خارج من مستشفى قصرالعينى ومحتاج الى فرخة تسند قلبه ، أو هبرة لحمة تصلب عوده وتقيم ظهره ! والسبب وراء هذه التعاسة وهذا الحزن والهفتان هو جهاز التليفزيون البريطانى اللعين ، الذى اصابنى بعقدة ، ربما لا استطيع ولا امل فى الشفاء منها على الاطلاق ، فهذا التليفزيون البريطانى الجثة لم يستفد شيئا على الاطلاق من فلسفة ، او فلسفة الاخ العبقرى صفوت الشريف ، وهى خيبة طبعا بالعربية ان يعيش التليفزيون البريطانى فى عصر الشريف ولا يتتلمذ عليه ، ولا يتأثر بتعاليمه ، ولا يسير على دربه ، وهو درب طويل اطول من طابور الجمعية ، وعريض اعرض من السمك البلطى ! فمثلا .. بالرغم من جلوسى أمام التليفزيون البريطانى كل هذا الوقت ، لم اشاهد اى مسلسلة للمؤلف ثروت اباظة ، كما ان مباريات الكورة لا تذاع مع صوت المعلق عفت بتاع ياسالام ! والاكادة ان البرامج الثقافية لا وجود فيها للست سميحة غالب التى تصر فى كل برنامج ، حتى ولو كان عن جوائز نوبل فى الادب ، على ان الشعر العامودى هو الاستنثار الاكبر من أجل الشعور بالخطر فى سبيل الشنكحور عبده !! والمصيبة الاكبر ان المتحدثين فى تليفزيون لندن ، وفى برامج الثقافة بالذات يتكلمون على حريتهم ويتناقشون دون تدخل من المذيع ، بينما المتكلم فى برنامج الست سميحة نهار أبوه أزرق لو حاول فتح بقه ، وواقعته سودة لو شرع فى اى كلام . فالكلام للمذيع أو للمذيعة فى تليفزيون القاهرة ، أما الضيوف فهم مجرد ديكور لكى تأخذ المذيعة حظها فى الكلام والانسجام ، ولكن كل هذا كوم وما لمسته بنفسى كوم آخر . تصوروا .. القناة الاولى فى تليفزيون لندن قناة حكومية .. ولكن سوء التخطيط فى قناة لندن الحكومية جعل القناة سداح مداح ، فأخبار الحكومة البريطانية تذاع فى نهاية النشرة ، واحيانا تنتهى النشرة ولا حس ولا خبر عن السيدة تاتشر ، ورئيس حزب

العمال المعارض يظهر كثيرا على هذه القناة بالذات ، ويبدو ان هذه القناة بالذات يعمل فيها عدد من اعضاء الطابور الخامس ، والدليل على ذلك انني لم اشاهد مرة واحدة السيد وزير العدل البريطاني وهو يفتتح محكمة واتفورد الابتدائية ، كما انني لم اشاهد سعادة محافظ ليفربول وهو يوزع شهادات التقدير لمستاجرى المساكن الشعبية ، كما تجاهل التليفزيون البريطاني تماما جولات الدكتور وزير الزراعة البريطاني ، وهو يتفقد الصوبات الجديدة لانتاج الفجل الوردى !! وليت الامر توقف عند هذا الحد ولكن تصوروا ، حدث ان طارت مدام تاتشر رئيسة الوزراء الى امريكا للاجتماع بالرئيس ريجان ، ومع أن اجتماع القمة تم فى ظروف خطيرة ، الا ان التليفزيون البريطاني التزم الصمت ، وتصورت ان السبب ربما يكون تعليمات صدرت من السيد وزير الإعلام البريطاني باعتبار ان اللقاء بين العملاقين من اسرار الدولة ، ولكنى اكتشفت ان خيبتى ليست على حد ، اولا لان الخبر اذيع فى ذيل نشرة المساء ، وصورة الرئيسين فى اثناء الاجتماع ظهرت لعدة ثوانى فقط لا غير ، ثم اكتشفت ايضا ـ لخيبتى ـ ان بريطانيا بجلالة قدرها ليست فيها وزير إعلام ، وهو دليل جديد على تاخر هذه الدولة التى كانت تحكم اغلب مناطق العالم حتى عهد قريب ! ولعل هذا السبب ـ غياب وزير الإعلام ـ هو الذى جعل من التليفزيون البريطاني شيئا اشبه بسوق الثلاثاء ، فالجهاز يستقبل الجميع ، حكومة ومعارضين وناس على الحياد ، وتشتم المعارضة الحكومة ولكن الارسال لا ينقطع والسبب ان الحكومة ترى ان التليفزيون هو مكان للهوهوة ، اما ميدان النزال الحقيقى فهو صناديق الانتخاب ، ومادامت الحكومة تهزم المعارضة فى صناديق الانتخاب فلا بأس ولا غبار اذا هوهوت المعارضة فى جهاز التليفزيون ، وجلسات مجلس العموم البريطاني ممنوع تصويرها تليفزيونيا ، ولذلك يكتفون بإذاعة فقرات بأصوات بعض المتحدثين ، اخر مرة اذاعوا فقرات من خطاب رئيسة الوزراء بينما نواب المعارضة يغلوشون عليها على طريق طلاب المدارس ومع ذلك لم يحتج احد ولم يغضب احد ويبدو ان هذه الامبراطورية المتهالكة لا تعرف العيب وليس لديها اخلاق قرية ! وثالثة الاثافى فى تليفزيون لندن ، ان لديهم قانونا يمنع اى عضو فى هيئة الاشراف على الإذاعة ، أو التليفزيون من التاليف لهذه الاجهزة طالما انه عضو فى هذه الهيئة حتى ولو كان العضو هو برناردشو شخصيا ، بينما عندنا ، ولاننا نحترم الكفاءات ، ونقدر المواهب ، ما ان يصبح الواحد من دول عضوا فى المجلس الاعلى أو المجلس الاوطى ، الا وهات ياتاليف مسلسلات او سهرات ، أو على الاقل اغنيات ، ومن اقدر على التاليف من عضو المجلس الاعلى ؟ واحسن ما يؤلف واحد غريب ، اللى نعرفه احسن من اللى ما نعرفوش !! وتصوروا ، بلغت بهم الهيافة فى تليفزيون لندن ، انه اذا حدثت حادثة فى اى بلد فى العالم فالتليفزيون مقطوع لهذا الحدث حتى يغطيه تماما ، ويسمون هذا العمل (خدمة للمشاهد) وهم يذيعون الانباء ومن موقع الاحداث وعلمت ان الخيبة فى بريطانيا بلغت حدا كبيرا الى

درجة أنه ليس لديهم وكالة انباء رسمية ، والمذيع لا يستأذن احدا قبل إذاعة اى خبر ، مادامت وكالات الانباء بعثت به الى التليفزيون ، واحيانا يذيع التليفزيون اخبارا تلقاها المذيع بالتليفون اثناء قراءة النشرة ، كما انهم من خيبتهم يرسلون مندوبين عنهم فى العواصم الكبرى من واشنطن والى دلهى ، ويتولى هؤلاء المندوبون إذاعة الاخبار بانفسهم ، ومن هؤلاء المندوبين يختارون مذيعى المستقبل ! واقول لكم الحق ، لقد صدمنى تليفزيون لندن بجهله وتاخره ولذلك انحنيت احتراما لتليفزيون القاهرة ، خصوصا عندما جلست اشاهد برامجه فى أول لحظة عدت فيها الى ارض الوطن والحمد لله لانهم كانوا يبشرون الناس بالمسلسلات الجديدة التى ستذاع عليهم ، مستقبلا وكذلك افلام التليفزيون التى انتجوها من اجلهم ، وعلى الاخص مسلسلة "المرأة اللى كلت دراع جوزها" وفيلم "اللحمة اللى اتكلت فى الحلة" ولم ينس التليفزيون المصرى ان يذكر أسماء كبار الكتّاب الذين تعاقد معهم امثال أحمد أبو شفطورة وسيد ابو دراع !

حبذا لو سافر الاخ العبقرى صفوت الشريف فترة من الوقت الى لندن لتعليم الانجليز الجهلة فن التلفاز ، وكيف يكون ، وليته يستمر فى رحلته لتعليم بقية خلق الله فى انحاء الكرة الارضية ، وعلى العموم تحية له من القلب ، واغنية له من بتوع وديع الصافى "والله يرضى عليك ياعمى" !!

وهذا أضــــــعف

الايمـــــــــان !

مبروك على اتحاد الكورة انتهاء موسم الدورى الممتاز ، ومسابقة كاس مصر ، ودورة شطلنوف المحطة ، واولمبياد منوف العسل ! مبروك على اتحاد الكورة فقد ادى واجبه ، وقطع قلوب الكباتن العظام ، وقسم ظهور المتفرجين والمشجعين ، ولكن الغاية تبرر الوسيلة ، ومن اجل تحقيق الأهداف العظيمة يدفع الإنسان دم قلبه احيانا ، ويدفع حياته ايضا اذا لزم الامر !.

وغاية الكورة فى مصر هى الحصول على النقطة ، وفوز الأهلى على منتخب شبرا البلد ! وانتصار الزمالك على اتحاد مشتول السوق ! أما الاشتراك فى كأس العالم أو الحصول على مركز متقدم فى الدورة الأولمبية ، فهذه كلها تطلعات برجوازية كروية ، وانحرافات فوتبولية ، وخيانة للبروليتاريا الشوارعية الحوارجية ماركة الكورة الشراب !

مبروك على اتحاد الكورة انتهاء جميع المواسم التى يشرف عليها ، ومبروك لفريق الترسانة فوزه بكأس مصر ، فهو بالرغم من البوتيكات والخلافات والحاجات والمحتاجات الا انه لا يزال نادى عمال مصر . مبروك على الترسانة ولو أننى كنت أتمنى لو فاز نادى المحلة بكأس مصر ، فهو نادى الفلاحين والعمال والناس اللى تحت ، كما انه مصنع كورة عالى الجودة ومتعهد توريد كباتن طويلة التيلة لمنتخب مصر ، وهو أيضا نادى شوقى غريب الذى كان مفتاح الفوز بكأس افريقيا حين ركن بمعلمة كرة حلوة فى مرمى فريق ساحل العاج بعد خمس دقائق فقط من نزوله أرض الملعب ، وكان هذا أول استفتاح فى مشوار البطولة الذى انتهى بالنصر .

ولكن .. هكذا شاءت الاقدار وفاز نادى الترسانة بالكاس ، ولا يعيب هذا الفوز الا أن الكأس بقيت فى العاصمة وهى محل الاقامة المختارة للكأس ، الا اذا حدثت كارثة أو حادثة أو صادفها سوء حظ .. وفى كل بلد فى أنحاء العالم يلعب الناس كرة القدم ويتنافسون على الكأس ، ولكن الكأس لا تستقر فى مكان . فى انجلترا مثلا ، الكأس مرة فى لندن ، ومرة فى ليفربول ، ومرة فى بريستول ، ومرة فى مانشيستر ، ومرة فى ليدز .

وفى أسبانيا مثلا الكأس مرة فى مدريد ، ومرة فى لشبونة ، ومرة فى توليدو ، ومرة فى الاندلس . وفى فرنسا مثلا ، باريس لم تنل شرف الفوز بالكأس إلا فى موسم العام الماضى ، بعد غياب ربع قرن ، غابت فيها الكأس فلم تدخل باريس خلالها مرة واحدة ولو فى زيارة عابرة .

ولكن فى مصر الامور تختلف ، الكأس للأهلى ثم للأهلى ثم للأهلى ، وأحيانا للزمالك ، فاذا لم يستطع الأهلى ، واذا فشل الزمالك فهو للترسانة ، وهو من نوادى القاهرة . اما نوادى الاقاليم فهى للمشاركة فقط ، وللفرجة فقط ، وهى فى النهاية كمالة عدد ليستقيم الحال فيصبح لدينا دورى عام ، يتنافس فيه للحصول على الكأس الاهلى والزمالك فقط ، فاذا اختلت قواعد اللعبة بسبب حادثة أو كارثة فلتذهب الكأس الى الترسانة أو الى القاهرة فى واقع الامر . وفى كل أنحاء العالم الفرصة متاحة أمام كل الأندية للحصول على الكأس ، والكورة مشاع بين الجميع ، ولا فضل لكروى على كروى الا بالموهبة والاستعداد والتدريب .

ولكن عاصمة مصر المحروسة هى أغرب عاصمة على وجه الارض ، كل شىء فى القاهرة وكل شىء للقاهرة ، اذا اردت أن تكون كاتبا مرموقا فاذهب الى القاهرة ، اذا كنت تحلم بأن تصبح نجما مشهورا فاسرع الى القاهرة ، اذا اردت أن تاكل فى مطعم ممتاز عليك بالقاهرة ، اذا كان فى نيتك ان تسهر سهرة حمراء مسخسخة أو خضراء فسدقى فاهرع الى القاهرة ، اذا كنت تريد ان تنزل فى فندق أو تركب قطارا أو تطير الى الخارج ، اذا كنت تريد ان تعمل أو تلعب أو تنشل او تسرق أو تهبر .. فيمم وجهك شطر القاهرة .. حتى الكورة فى القاهرة ، عائدها فى القاهرة ونتائجها للقاهرة وجوائزها فى القاهرة وستبقى من نصيب القاهرة ، وحتى منتخب مصر هو منتخب القاهرة ! فى بطولة افريقيا الأخيرة اشترك فى الفريق (القومى) لاعب واحد من اسكندرية ولاعب واحد من المنيا وجميع اللاعبين كانوا من القاهرة .. ولم يفتح باب الفوز الا شوقى غريب لاعب المحلة الذى اشترك بالصدفة فى الشوط الثانى وفى المباراة الثانية ، وبعد ان انتهت المباراة الاولى بالهزيمة ، ثم جلس شوقى غريب بعد ذلك على الخط يتفرج على منتخب القاهرة القومى وهو يصارع منتخبات افريقيا القومية المفترية ، التى انتصرنا عليها بفضل الجماهير وببركة دعاء الوالدين !

ولذلك ..

ولاننا نلعب بمنتخب القاهرة ليس بمنتخب مصر ، فلن نتمكن من تحقيق أى فوز على المستوى الدولى لانه ليس معقولا ولا مقبولا ان تتولى الاقلية تمثيل بلد من البلاد ، ثم تقف الأغلبية موقف المتفرج دون أن يكون لها حق المشاركة ولو بالرأى ! انها عملية مستحيلة بالطبع ولكنها حدثت هنا فى مصر وفى مجال كرة القدم . تصوروا .. الصعيد كله وسيناء كلها والصحراء الغربية كلها والوادى

الجديد كله غائبون فى مجال الكورة . والدورى العام المصرى أو برلمان الكورة المصرية ، للقاهرة خمسة مقاعد ، ولمنطقة القناة ثلاثة مقاعد دائمة ومقعد رابع حسب التساهيل ، والإسكندرية بجلالة قدرها لها مقعد واحد ، وللدلتا مقعد وقيل مقعدان ، والصعيد كان له مقعد واحد ، ولكنهم لم يحتملوا وجود ممثل للصاعيدة فى برلمان الكورة فتآمروا عليه وأطاحوا به وشطبوا المنيا من خريطة الدورى العام ، ولم يقف الامر عند هذا الحد ، ولكنهم (شلحوا) فريق المنيا على رأى ـ أبناء الشام ـ أعظم لاعبيه وضموهم الى نوادى القاهرة ، ولكى يضمنوا عدم عودة المنيا مرة أخرى الى الدورى العام !

فهل هذا دورى عام ؟ انه بالقطع ليس (دورى عام) ، لان الدورى العام هو دورى عموم أبناء مصر ، وهذا الدورى الذى لدينا ليس لعموم ابناء مصر ولكنه دورى خاص لبعض المصريين ، أما اغلبية المصريين فلا ناقة لهم ولا جمل فى هذا الدورى العام ! وقد يقول مشجع من إياهم ان الكورة الافضل هى التى تفرض نفسها على الدورى العام ، وهو قول حق يراد به باطل ، والسبب ان الدورى المصرى غير الدورى الانجليزى مثلا . ففى انجلترا الفرصة متاحة للجميع ، واشارة المرور الى الدورى الممتاز مفتوحة أمام الكل ، لان الكورة فى انجلترا حرفة وتجارة . والنادى الأغنى يستأجر أعظم اللاعبين ويستخدم أعظم المدربين ويشترك بهم فى معركة المصير . ولان الكورة تجارة فى انجلترا .. فكل ناد وله مستثمرون ، وهم يوظفون أموالهم فى مجال الكورة ، كما يوظف غيرهم أموالهم فى مجال الصناعة .

ولكن الكورة عندنا نشاط رياضى يخضع للسيد الوزير والسيد المحافظ ، والسيد مدير الشئون الاجتماعية ، والسيد مدير التنظيم ، والسيد مدير البلدية ، والسيد مدير مكافحة المخدرات .. باعتبار ان حشيش الملاعب يدخل ضمن اختصاص البيه المدير ! فى وضع مثل هذا لا يكون هناك أمل فى أن يصبح نادى منوف ضمن أندية الدورى العام ولا يمكن أن يحلم فريق السويس ببطولة الدورى الممتاز ، ولا يمكن ايضا أن يطمع نادى المحلة أو نادى الترسانة فى كأس مصر ، الا اذا حدثت للمسابقة حادثة أو كارثة أو صادفها سوء حظ .

تماما كما حدث هذا العام . فالأهلى اعتذر عن الاشتراك فى المسابقة ، والزمالك أطاح به النادى المصرى عديم المستوى الذى يهزم نادى الزمالك مرة ، وينهزم من نادى بلمشط عدة مرات . وبذلك خلا الجو لأول مرة منذ عشرين علما أمام نوادى العمال والفلاحين والناس اللى تحت . وهكذا فاز الترسانة بالكاس

ومبروك عليه بالرغم من اننى كنت أتمنى أن تكون الكاس من نصيب نادى المحلة لكى تخرج الكاس من زمام مدينة القاهرة ، وايضا لان نادى الترسانة اشتغل هو الآخر بالبوتيكات والانتيكات ، وصار من رجال الأعمال ولكن على طريقة رجل (الأعمال) توفيق عبدالحى ، باعتبار ان الغش والنصب وكافة شىء يغضب الرحمن يندرج أيضا تحت وصف الأعمال !

هؤلاء المحتالون وأمراضهم المدهشة

منذ بداية الانفتاح التهليبي وقبل صيحة حسني مبارك بضرورة الاتجاه الى الانفتاح الانتاجي ، لاحظت ظاهرة غريبة عن المجتمع المصرى لاحت اول بشائرها فى صحف الخليج .. خطاب من مصرى او مصرية غالبا من مريض او مريضة ، ودائما المرض خطير ورهيب ، يبدأ من سرطان فى المثانة او سرطان فى الثدى وينتهى بسرطان فى المخ .. وصاحب الخطاب يطلب من المحسنين الكرام ان يعاونوه فى محنته او يساهموا فى تكاليف علاجه حيث انه صاحب سبعة من العيال ووالده مشلول شلل كلى وامه عاجزة نظر ومريضة بالسكر ومصابة بصداع مزمن منذ مائة عام !

بعض أصحاب هذه الخطابات كان يحرص على ذكر رقم حسابه فى البنك حتى يتمكن السادة الراغبون فى حجز جناح فى الجنة من ارسال تبرعاتهم قبل فوات الاوان .. بالطبع .. لم يكن كل اصحاب الخطابات من طبقة النصابين المحتالين ، ولكن كانت هناك نسبة كبيرة من هؤلاء بين اصحاب الخطابات وكانت النتيجة ان النصابين قضوا على امل المرضى الحقيقيين فى الحصول على طريق للنجاة .. والنصابون لايهمهم مايحدث عادة للآخرين المهم ان يحصلوا على مايريدون بأى طريقة ومن اى سبيل ..

زمان كان لدينا فى الجيزة موظف كحيتى مرتبه على قده .. وكان صاحب مزاج يقضى الليل وسط سحابة من الدخان الازرق المعطر ، ولأن العين كانت بصيرة واليد كانت قصيرة ، فكان يضطر كل مساء الى فرد منديل فى يده والطواف على اصحاب الدكاكين ، كل يوم فى شارع مختلف ، يحثهم على التبرع لغريب مسافر الى بلده ، مرة الى اسيوط ومرة الى المنصورة ومرة الى الخرطوم .. وبحصيلة التبرعات التى كان يحصل عليها ، كان يسهر سهرة حافلة يدخن المزاج وياكل الكباب ويختم السهرة بصينية بقلاوة من صوانى الحاج صبحى اشهر حلوانى فى ذلك الزمان .. واذكر ذات صباح فى عام ١٩٦٨ ان شابا باكيا جاءنى فى منزلى زاعما انه كان عاملا فى مؤسسة روزاليوسف ولكنهم فصلوه لسبب تافه وان

المرحوم والده كان يعمل فى روزاليوسف ايضا .. وان الوالد توفى وهو يدعو الله ان يمتع العبد لله بالصحة وان يمد فى عمره وان يبارك الله له فى أمواله وعياله ، ولاننى كما قال الابن العاطل كنت شديد العطف على الوالد وكنت السبب فى ايجاد مسكن لهم فى المساكن الشعبية على هضبة المقطم بجوار مشرحة زينهم .. وتصورت ان الولد الباكى يطمع فى العودة الى عمله فى روزاليوسف ولكنى اكتشفت انه لم يحضر لهذا السبب ، وانما حضوره كان لامر رهيب وخطير لو صح لوجب اقالة وزير الصحة وسجن جميع وكلاء الوزارة واعتقال جميع اطباء الصحة من الاسكندرية الى اسوان فالولد الباكى له ابن وحيد فى الخامسة من عمره ولكنه فجأة مرض مرضا خطيرا لايعرف سره فحمله وذهب به الى مستشفى أم المصريين بالجيزة ، ولكن الولد مات فى اليوم التالى .. ولما كان الموت حق وعلى رءوس العباد فقد ذهب الوالد ـ الذى يبكى أمامى ـ الى المستشفى لاستلام جثة ابنه المتوفى ولكن المستشفى رفض تسليم الوالد جثة ولده قبل ان يدفع مائة جنيه نقدا وعدا والا فلن يكون للولد قبر وسيبقى مدفونا فى ثلاجة المستشفى الى اخر الدهر .. وغلا الدم فى عروقى وانا استمع الى قصة الوالد الباكى وقد تحول من باكى الى لاطم وبطريقة تفوق لطم الايرانيات فى يوم ذكرى استشهاد الامام الحسين .. ورفعت سماعة التليفون واتصلت بمدير مستشفى ام المصريين فى بيته ، لان اليوم كان يوم جمعة والمدير فى اجازة ، ورجوته ان ينتظرنى فى المستشفى بعد نصف ساعة .

وذهبت بالوالد الى المستشفى ومعنا الحاج ابراهيم نافع وبذلت جهدا كبيرا فى السيطرة على اعصابى حتى لا اترك ليدى مهمة التحاور مع الدكتور المدير بدلا من لسانى .. اذ كيف يحجز على جثة ولد ميت فى مستشفى حكومى مقابل اى مبلغ من المال ؟ وهل نحن فى دولة عربية ؟ وهل هذا اسلام ؟ لو ان هذا الولد مات فى مستشفى فى تل ابيب او مستشفى فى بلغاريا تحت ظل جيفكوف ، لو انه مات فى بوروندى او اوروندى او بوركينا فاسو ، هل كانوا يحجزونه وهو رهين الموت رهنا لمائة جنيه ؟ وقلت للمدير وانا اكبت ثورة عنيفة فى داخلى ! كيف تحجزون طفلا ميتا عندكم فى المشرحة لانه لم يدفع ماعليه من نقود ؟ ورد المدير على السؤال بسؤال ؟ .. ومتى دخل الطفل المستشفى ؟ وأجاب الوالد الباكى اللاطم الصارخ فى البرية : منذ خمسة ايام واجاب المدير لم يدخل المشرحة طفل منذ شهرين على وجه التحديد وسأل المدير عن اسم الطفل .. فذكر الوالد اسم الطفل واسم ابيه وطلب الدكتور دفتر المشرحة ودفتر المستشفى .. ولم نعثر على اى اثر لاسم الطفل فى الدفترين .. واستدعى المدير اطباء المستشفى واستدعى الكتبة واستدعى الممرضين واستدعى بعض المرضى واجمع الكل على ان المستشفى لم يستقبل طفلا مريضا او مصابا او ميتا ولم يسمع احد بهذه القصة على الاطلاق .. والقيت نظرة على الوالد فاذا به جالسا على الارض مسندا ظهره الى الحائط وراسه بين يديه وهات يابكاء على الطفل المزعوم .. وكدت ادفعه بقدمى او أصافح قفاه

بكفى ولكن الحاج ابراهيم سحبنى من يدى الى الخارج .. وتركناه فى المستشفى يبكى كما الخنساء تبكى اخاها صخرا !

الى هذا الحد وصلت ألاعيب المحتالين يستخدمون كل الاوراق لتحقيق نصبهم ويفبركون أية اكاذيب من أجل الوصول الى غايتهم .

الا هذا

ولكن كله كوم وما حدث فى الاسابيع الاخيرة كوم آخر .. فذات صباح تلقيت مكالمة هاتفية « ترنك » من الصعيد الجوانى وكانت المتحدثة سيدة صوتها خفيض ولهجتها صعيدية .. وقالت انها مريضة بسرطان المخ وانها أم لخمسة اطفال وزوجها موظف بسيط مرتبه مائة جنيه فى الشهر وانها فى حاجة الى رعاية بعد ان ضاقت الدنيا فى وجهها .. ولم يعد امامها اى حل الا الانتحار .. وزعمت انها تحدثنى من بيت جارة لها وان فى استطاعتى ان اطلبها فى اى وقت ، وتوسلت للعبد لله ان انشر مأساتها فى عمودى الاسبوعى « أما بعد » لعل وعسى ان يكرمها الله عن طريقى فيتحقق لها العلاج والشفاء ويضمن العبد لله لنفسه قصرا فى الجنة .. ولاننى قليل الثقة فى احاديث التليفونات فقد طلبت منها مشكورة ان ترسل للعبد لله خطابا على اخبار اليوم تشرح فيه حالتها المرضية بالتفصيل ليكون فى يدى وثيقة استند عليها .. وبالفعل وصلنى الخطاب فى اليوم التالى .. شرحت فيه حالتها الصحية وعنوانها ورقم التليفون الذى يمكننى الاتصال بها عن طريقه ونشرت قصتها على الناس وطلبت من وزير الصحة ان يسرع بعلاج هذه السيدة المريضة بأى مستشفى حكومى .. بشرط ان تتولى الوزارة الانفاق على العلاج والدواء .

اختفاء

وبعد صدور اخبار اليوم بساعات اتصل السيد الدكتور وزير الصحة بالعبد لله وابدى استعداده لعلاجها فى اى مكان فى مصر او فى الخارج ، طالبا الاسراع بتقديم تقرير طبى عن حالة السيدة لكى يصدر أوامره بعلاجها فى المكان الذى يحقق لها العلاج والشفاء .. وختم الوزير حديثه قائلا : سنعالجها ولو فى امريكا .. فالمبالغ المرصودة لعلاج المواطنين على حساب الدولة هى من حق الفقراء أولا وقبل اى احد اخر .. وشكرت الوزير ووعدته بالاتصال بالسيدة المريضة . وبعد ساعة واحدة دق جرس التليفون فى منزلى ، وكان المتحدث صديق من الرياض وقال الرجل الطيب : لقد قرأت مأساة السيدة وانا فى الطائرة فى طريقى الى الرياض ، وأنا على استعداد لعلاجها فى اى مكان على ظهر الارض ، وعلى استعداد ايضا لرعاية اسرتها .. ليس هذا فقط لقد ابلغنى الرجل الفاضل انه قد اصدر اوامره الى طبيبه الخاص فى القاهرة ليقوم باجراء التحاليل والاشعات

اللازمة تمهيدا لعلاجها فى المكان الذى يتوافر فيه العلاج .. وبعد الظهر اتصلت السيدة المريضة تليفونيا ولم اكن موجودا لسوء الحظ ، وقالت لإبنتى هالة انها ترفض العلاج فى مستشفى حكومى وانها كانت تطمع فى العلاج بمستشفى خاص .. وحاولت الاتصال بالسيدة لاشرح لها الامر ، ولكنهم ابلغونى انها سافرت لابيها وابلغونى فى المرة الثانية انها مريضة لاتقوى على الرد .. ولكنى لاحظت فى المرات الثلاث ان الصوت الذى يرد على هو صوت السيدة نفسها التى شكت لى مأساتها وان التليفون ليس تليفون جارتها كما زعمت ولكنه تليفونها وان العملية وراءها سر .. واردت ان اقطع الشك باليقين ، فنشرت فى الاسبوع الثانى وقائع ماجرى بينى وبين الوزير وبينى وبين الرجل الطيب فى الرياض .. وبعد ساعات من صدور اخبار اليوم ، عادت السدة الى الاتصال بالعبد لله .. شكرتنى طبعا فى البداية ودعت لى بطول العمر ، ثم طلبت منى ان اعطى عنوانها للرجل الطيب الذى تحدث معى من الرياض .. ولكنى طلبت منها قبل اتخاذ اى خطوة فى هذا الشأن ارسال التقارير الطبية التى تؤكد انها مصابة بسرطان المخ .. وبعد مناقشة طويلة وعريضة بينى وبين السيدة « المريضة » قالت السيدة انها ستحاول الحصول على هذه التقارير وبالفعل تلقيت بعد ثلاثة ايام خطابا من السيدة ومع الخطاب روشتة من الدكتور « ف . ف . ى » مدون عليها عبارة رئيس قسم الاشعة المقطعية كلية طب جامعة اسيوط ..

بعد التحية

ACODE FOR CTSC BRAIN

هكذا فقط ولاشىء اخر . . والطبيب طبعا برىء لان اى مخلوق يشعر بصداع رهيب بالرأس أو بمغص قاتل فى البطن . . سيعطيه الطبيب ورقة الى قسم الاشعة لتصوير العضو المعطوب . . المهم ان الروشتة بتاريخ ٢٨ يناير ١٩٩٠ اى بعد أول حديث لها معى بعدة ايام ..

والمطيباتية

الغريب اننى تلقيت خطابا اخر من قارىء طيب يشكرنى فيه على نشر مشكلة السيدة المريضة ثم يقول « الا ترى انك ظلمتها عندما قبلت عرض وزير الصحة ورفضت عرض الصديق الكريم الذى اتصل بك من الرياض » ثم يقول القارىء الطيب « ان المسكينة ستدوخ السبع دوخات مابين القومسيون ومكتب الوزير والميزانية لاتسمح ، أما الصديق الذى فى الرياض فهو جاهز خصوصا وانه اتصل بطبيبه الخاص بالقاهرة لاجراء اللازم . . » انتهى خطاب القارىء الطيب وحبذا لو اعرف رأيه الآن بعد قراءة هذا المقال . .

اقول لكم الحق لقد أصابنى نوع من الغثيان بعد هذه الواقعة وانا الخبير فى امور النصب والاحتيال وصاحب تجربة طويلة .. منذ تجربتى مع اول شحات أعمى كان يطوف حارتنا فى زمن الحرب العالمية الثانية يتسول بصوت مسرسع مسلوخ « عشا الغلابة عليك ياكريم » وذات مساء فى شهر رمضان وقفت على باب غير بيتنا ومعى قرص جلة ودعوت المتسول الاعمى ليأخذ نصيبه منى وهو يقترب منى وعصاه فى يده تتحسس له الطريق وناولته قرص الجلة ، فرفعه الى فمه ليقبله باعتباره نعمة من اللهينبغى تقبيلها حتى لاتزول .. وعندما دخلت رائحة القرص الى خياشيمه واكتشف انه ملعوب من ولد شقى لايعرف العيب ولايتمسك باخلاق الحارة .. طوح العصا ناحيتى فشتمته واخذت ذيلى فى اسنانى وهات يافكيك وانخلع قلبى عندما اكتشفت انه يجرى خلفى على نحو اسرع من بن جونسون الذى جردوه من ميدالياته وقلشوه من البطولة بسبب تناوله المنشطات فى دورة سول .. ولكن لانى كنت وقتئذ كالغزال فى الرمح وكالارنب فى المناورة فقد تمكنت من الافلات من قبضة الشحات الذى لم يتركنى الا عندما وصلت الى قرية المنيب على بعد ثلاثة كيلو مترات من المكان الذى جرت فيه الحادثة .. ولكننى تعلمت درسا خلاصته ان المظاهر كدابة ، وانه ليس كل الشحاتين عميان او مكسحين .. وان ألاعيب اصحاب الحيل بحرها واسع وعميق .. ولا أعرف لماذا تذكرت هذا المتسول الاعمى الذى رمح خلفى منذ خمسين عاما كانه حصان مشترك فى سباق الدربى وعلى موعد مع الجائزة الاولى فى السباق التاريخى الكبير .. !

والغريب اننى تلقيت بعد حادث السيدة المريضة فى الصعيد مائة خطاب من مرضى فى كل مكان لدرجة خيل الىّ فيها ان مصر تحولت الى مستشفى كبير وحتى لانأخذ البرىء بالمسىء ، ولكى لانقع فى حبائل المحتالين والنصابين ، فقد اتفقت مع الدكتور اسماعيل سلام طبيب القلب المشهور بتحويل كل هذه الخطابات اليه .. حيث انه استطاع بالجهود الذاتية ان يرصد مبلغا كبيرا لعلاج الفقراء ، وهذا المبلغ يكفى لعلاج عدة الوف من المواطنين .. والدكتور اسماعيل سلام بالمناسبة طبيب اصلا ومشتغل بالسياسة ويذكرنى بالمرحوم انور المفتى واستاذنا الدكتور يس عبدالغفار وبعمنا الكبير الدكتور على عبدالعال وبغيرهم من النماذج العظيمة الشامخة فى تاريخنا الطبى الحديث .

اما السيدة الصعيدية فلن افضح سرها بشرط الا تعود الى عمليات النصب من جديد لان رقم تليفونها معى وعنوانها ايضا ولكن المسامح كريم ..

ويبقى فى النهاية سؤال ماذا جرى للمصريين وماذا جرى بهم ؟ وماهى الحكاية ؟ ولماذا هذا التدهور وهذا التفكك ؟ والى اين المصير ؟ اللهم لانسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه !!

يارب أحـــمنى
من « إعـــلانى »

العبد لله .. يعلم الله .. يشتغل بالصحافة منذ اكثر من اربعين عاما . وبعض اعمالى منشورة فى مجلات صدرت فى العام ١٩٤٤ .. واشتركت فى اصدار مجلات كنا نطبعها ونبيع نسخها بالآلة فلم تكن مصر قد عرفت الكيلو بعد !

والعبد لله اشتغل فى الصحافة الحزبية ايام العهد الملكى .. واخترت جرائد الوفد . فقد كان هو الحزب الوحيد الذى اختار جانب الجماهير ضد اعداء الشعب .

وكانت جرائد الوفد الوطنية تدفع شهرا وتصهينى عدة شهور ، وكان الصحفى "الشاطر" هو الذى يشتغل فى أكثر من صحيفة ، خصوصا اذا كان صاحب عيا أو صاحب عيال ! وبعض الصحفيين الذين انتقلوا الى رحمة الله كان يشتغل فى جريدة وفدية وفى جريدة أخرى سعدية ولا يجد حرجا فى ذلك ، فقد كانت الصحافة وقتئذ ـ مجرد مهنة ـ وأحسن من كافة شيء يغضب الرحمن ! وعندما تفجرت ثورة ٢٣ يوليو المجيدة أصدرت وفى وقت واحد جريدتين .

الجمهورية لسان حال الثورة ، والقاهرة وكانت سياسية مستقلة ففضلت العمل فى القاهرة الى أن تحولت من صباحية الى مسائية وعندما عرضوا علينا الاستمرار فى العمل مقابل تخفيض رواتبنا .. رفضت ففصلونى ورفضت استلام المكافأة وأقمت دعوى أمام القضاء ، ولكنى خسرت القضية لان المحامى الهمام الذى وكلته عنى لم يظهر مرة واحدة أمام المحكمة ، وبالطبع لم اظهر أمامها أنا الآخر ، فقد كنت أنا والمحامى صديقين ، وكنا نسهر حتى الصباح ، ونستيقظ بعد الظهر ، ولم نعرف بأننا خسرنا القضية ، وحكمت المحكمة ضدنا ونحن أصحاب الحق .. بدفع مصاريف التقاضى وأتعاب المحاماة ..

وتركت القاهرة واشتغلت فى مجلة التحرير ، محررا ثم مديرا للتحرير ، ثم نقلت الى الجمهورية محررا ثم رئيسا للشئون العربية ، ثم مشرفا على الصفحة

الاخيرة ، ثم مفصولا فى العام ١٩٥٨ مع دفعة بيرم التونسى وعبدالرحمن الخميسى وألفريد فرج وعشرات من الكتّاب والصحفيين . ولكنى اشتغلت بعد أسبوع واحد من فصلى فى مجلة روزاليوسف وسكرتيرا للتحرير . ولم تكن الصحافة قد أممت بعد !

وبعد عام واحد من العمل فى روزاليوسف تم اعتقالى وقضيت ثمانية عشر شهرا وتمتعت خلالها بالطواف فى رحلة سياحية مع الاقامة الكاملة فى سجون القلعة والفيوم وبنى سويف والواحات . وعندما خرجت من سجنى واجهتنى مشكلة اننى مفصول من الاتحاد القومى مع اننى لم اكن عضوا فيه ، وأن الاشتغال بالصحافة حرام على العبد لله باعتبارى لست اتحاديا ولا قوميا ولا يحزنون !

وتعجبت لنقل ملكية روزاليوسف الى الاتحاد القومى ، وخيل الىّ أن الاتحاد القومى أياه ربما كان أخا غير شقيق لاحسان عبدالقدوس . ولم اكن أنا الوحيد المعزول من جنة المالك الجديد ، ولكن كان هناك مائة كاتب وصحفى من بينهم الدكتور لويس عوض ولطفى الخولى ومحمد عودة وآخرون . ثم شملتنا رحمة الاتحاد القومى بفضل مساع بذلها الدكتور لويس عوض مع محمد حسنين هيكل ، وانتهت بحل سعيد ، ان نستمر فى العمل الصحفى دون أن نتشرف بالدخول فى الاتحاد القومى المجيد .

وعندما جاء الاتحاد الاشتراكى فوجئت باننى أيضا معزول وممنوع من العمل الصحفى لاننى لست اتحاديا بما فيه الكفاية ولا اشتراكيا كما ينبغى !! المهم ان جميع الصحفيين الذين كانوا فى الاتحاد القومى اصبحوا على الفور أعضاء فى الاتحاد الاشتراكى باعتبار أن القومى هو اشتراكى فى الاصل ، أما صفتهم كاتحاديين فهى مسألة لا تحتمل أى شك . ولكنى ضحكت ضحك غرائب الابل عندما قرأت اسم احسان عبدالقدوس فى كشف المعزولين وكذلك اسم محمد عودة ولويس عوض ! ثم فتح الله علينا فأصبحنا اعضاء فى الاتحاد الاشتراكى وصحفيين ايضا . وان كنت لم اضع قدمى فى الاتحاد الاشتراكى المبنى الا فى العام ١٩٦٨ ! وفى العام ١٩٧١ دخلت السجن وخرجت بعد سنتين معزولا ومفصولا وممنوعا من الكتابة بأجر وبدون ، والاكادة أن جميع الزملاء الذين كانوا فى الاتحاد القومى ثم فى الاتحاد الاشتراكى ، أصبحوا جزءا من مجتمع العائلة المصرية الواحدة وكبيرها الذى لا يخطىء ولا يغفل ولا يظلم العبيد !

وخرجت من مصر وعدت بعد مائة شهر بالتمام والكمال لاكتشف أن مصر صارت ديمقراطية وحزبية ، وأن الصحافة صارت من أملاك المجلس الاعلى للصحافة ، وحكمة الله أن الزملاء الذين كانوا فى الاتحاد القومى ثم فى الاتحاد الاشتراكى ثم فى مجتمع العيب وأخلاق القرية ، هم أنفسهم الذين يتصدرون العمل الصحفى فى المجتمع الوطنى الديمقراطى المتعدد الاحزاب ! واكتشفت

أيضا أنني معزول من العمل السياسي وانني مسموح لى بالعمل الصحفي باعتبار "الباب اللى يجيلك منه الريح سده واستريح" !!

ومع أنني من أملاك هذا المجلس الاعلى للصحافة ، الا أنني لم اقابله مرة واحدة وهو يبدو للأسف الشديد انه مجلس عال وأعلى مما نتصور ، لانني لم أصادفه في مقهى ، ولم التق به في حفلة ، ولم أشاهده في مسرح ، ولم تقع عيني عليه في اى زمان أو مكان . والحق أقول أنني تأكدت بعد التجارب والمصايب أن العمل الصحفي بالنيات ، وأن الزملاء الذين دخلوا القومي والاشتراكي والتنظيم السياسي ومصر الوطني الديمقراطي ، لابد وان يكونوا من أصحاب النوايا الحسنة ، ولذلك فسكتهم سالكة ، وطريقهم مفتوح ، ورواتبهم متضخمة واحوالهم ميسرة ، ولهم حراسة وتليفون ، وبطاقة تموين حمراء ، مع أن العبد لله ليس له أى بطاقة ، ويبدو انهم عزلوني من التموين ، كما عزلوني من السياسة ، باعتبار أن الامن الغذائي والامن المركزي يتبعان قيادة واحدة ، ويسيران على الخط القومي الاشتراكي الوطني الديمقراطي ، ويعلم الله ماهي الاسماء التي ستضاف على هذه اليافطة في قادم السنين ؟ المهم أن العبد لله كان يريد لو التقى بالمجلس الاعلى مالك الصحافة ، الجديد لكي اشكو له حالي وابث له شكوكي وشكوكو ايضا ، غير أني صرفت النظر عن هذا الامر بعد أن قرأت في الصحف التي يملكها المجلس بأن هناك اقتراحا بمنع كتاب الصحف القومية من الكتابة في الصحف الحزبية والصحف العربية أيضا . وهنا قررت أن اكتب في الصحف الحزبية بالرغم من انني لم افكر في هذا الامر من قبل .

ولكنه نوع من التحدي فقط ورغبة مني في العراك .. وبالرغم من انه في لحظة الاختيار سأختار الصحف الحزبية والصحف العربية بدون أى شك ، وأعتقد أن أغلب كتّاب مصر المقروئين سيسلكون نفس الطريق .. لان الكتابة في الصحف العربية ليس بالواسطة ، ولا بالنفوذ . ولكنهم يستكتبون صاحب الكلمة المقروءة والنابضة بالحياة ، والعبد لله ـ والحمد لله ـ لم يكن اختراع الحكومة او صنيعة نظام .. ولكنني كاتب حفرت الصحف بأظافر يدى ، وفرضت نفسي كاتبا ليس في مصر وحدها ، ولكن في العالم العربي ، الواسع العريض . وما ينطبق على العبد لله ، ينطبق على أحمد بهاء الدين بشكل أكيد وعلى فتحي غانم ، وعلى صلاح حافظ ، وعلى أحمد حمروش ، وعلى كل كاتب مصري يكتب في الصحف العربية من أول محمد حسنين هيكل وإحسان عبدالقدوس والى العبد لله وآخرين !..

وبالرغم من ذلك أريد أن أهمس في اذن المجلس الاعلى أن وجود كاتب مصري في جريدة عربية هو مكسب لمصر .. وأن هناك نظما عربية من إياها على استعداد لدفع الملايين بشرط اختفاء القلم المصري واحلال اقلام من اياها والتي تشبه الى

حد كبير اقلام بعض السادة المتصدرين ..!! إنها مجرد نصيحة أهمس بها فى اذن المجلس الاعلى ، فان أخذ بها كان بها والا فسيكون شأنه شأن المجلس البلدى الذى تفرغ بيرم التونسى فترة طويلة من حياته للهجوم عليه .

وليعلم المجلس الاعلى أن مصر ليست بالمجلس الاعلى ولا بالمجلس الاوطى ولا بالمجلس الذى هو بين بين ، ولكن مصر بفنانيها وكتابها وعلمائها ومهندسيها واطبائها ونجومها فى كل فن وفى كل مجال .

ويارب .. احمنى من "اعلائى" جمع أعلى ، أما اعدائى فانا بهم كفيل !!

الاعـلـى والاوطـى
والــنـص نـص !

الله يرحمه ويحسن إليه ، ابلغ وانبغ من انجبت امة محمد ، عمنا ابو الطيب المتنبى زعيم الاغلبية فى شعب الناطقين بالضاد ، عبر كل العصور ومنذ مولده وحتى يرث الله الارض ومن عليها . الله يرحمه ويحسن اليه عبقرى بنى قحطان وبنى غطفان وبنى سليم . وقد شهد له الجميع بالرغم من عدم فوزه بجائزة الدولة التقديرية او التشجيعية ، وبالرغم من عدم تكريمه بحفلة او تسفيره فى رحلة .

وبالرغم من انه لم يكن عضوا فى المجالس القومية المتخصصة ، ولم يكن وكيلا لوزارة الثقافة ولا حتى مديرا بوزارة الإعلام والاغرب والاعجب انه عاش مطاردا من النظم العربية ، ملاحقا من الشرطة العربية ، مكروها من النقاد العرب ، محسودا من شعارير العرب ، ومات فى النهاية مقتولا بأيد عربية بالقرب من قرية النعمانية على طريق بغداد . قتلوه وقتلوا ولده محسد وخادمه العجوز وسرقوا أمواله ونهبوا كتبه ، وباعوا جماله فى سوق الثلاثاء ثم فروا هاربين . وانتقل الى مكان الحادث مأمور القرية ورئيس مباحث المركز ونائب مدير أمن بغداد ، ووكيل وزارة الداخلية ، وبعد أن ألقوا نظرة على مسرح الجريمة وعاينوا الجثث ، أغلقوا المحضر وقيدوا الحادث ضد مجهول ! ومع ذلك لم يبق من عصره كله إلا ه .

ولم يبق من الادب فى كل العصور إلا أدبه . لان الخلود ليس بالجوائز ، وليس باللجان ، وليس بالمجلس الاعلى أو المجلس الاوطى ، ولكن يعيش الاديب بالتفرد والأصالة والعبقرية والنبوغ . واذا كان عمنا أبو الطيب المتنبى قد قتلوه قتلا حقيقيا بالسكاكين والمطاوى قرن الغزال على طريق بغداد ، فقد قتلوا بعد ذلك عشرات ومئات من العباقرة والموهوبين ، وبدون أن يستخدم القتلة آلات حادة أو أطعمة مسمومة ، وسقط على مر العصور عباقرة قتلى الاهمال والتجاهل ، سقطوا واحدا وراء الآخر ، مرة على طريق بغداد ومرة على طريق دمشق ، ومرة على طريق بيروت ، ومرة على طريق القاهرة ، ومرة على طريق بنى غازى ومرة على طريق الكويت ، ومرة على طريق الرياض ، ومرة على طريق الدار البيضاء ، ومرة على

طريق وهران ، ومرة على طريق تونس الخضراء ، ومرة على طريق نواكشوط ، ومرة على طريق صنعاء ، ومرة على طريق حضرموت !

فى مصر مثلا مات الشاعر عبدالحميد الديب دون كلمة رثاء ، وكتب كامل الشناوى بعد موته فى جريدة الاهرام (اليوم مات شاعر تعرى واكتست الاضرحة ، وجاع وشبعت الكلاب) وحتى شعره دفنوه معه فحرموا نشره ، وحرموا طبعه ، ومع ذلك عاش الديب عند الادباء ، وعاش شعره فى ذاكرة الذين يقدرون معنى الكلمات . ومات شعر الشيخ عبدالمطلب شاعر وزارة المعارف . لان الشعر الحى هو الذى يبقى فى ذاكرة الزمن ، اما الشعر الميت فهو الذى يقرر على طلبة المدارس ، وتحتفظ به الدولة فى أرشيف وزارة الثقافة ووزارة الإعلام .. ومات الشاعر الكبير كامل الشناوى دون تكريم من الدولة ، ودون جوائز من المجلس الاعلى أو المجلس الاوطى أو المجلس النص نص ، وليت الامر توقف عند حد الاهمال أو عدم التكريم ، ولكن زاد الطين بلة ، انهم نشروا اسمه فى كشف المصاريف السرية فى بداية الثورة ، وعاش الخمسة عشر عاما الأخيرة من حياته مهزوزا مذعورا ، يتلفت حوله بالعين أحيانا وبالقلب احيانا ، ومع ذلك عاش كامل الشناوى بعد موته وسيعيش طويلا فى تلاميذه وما اكثرهم ، وفى شعره وما أعذبه وفى فنه وما أرفعه . ولو انصفت الدولة لمنحت اسم كامل الشناوى جائزة الدولة التقديرية تكريما لفنه ، وتقديرا لعينه النفاذة التى كشفت وجذبت كل موهبة غالية ونفيسة عرفها وقتنا الحالى الذى نشهده ونعيش فيه . واكاد ازعم ـ والله على ما اقوله شهيد ـ انه لا توجد موهبة حقيقية واصيلة فى هذا الزمان ، إلا وساهم كامل الشناوى فى ظهورها ودفعها الى الامام ، انيس منصور ، يوسف أدريس ، كمال الطويل ، فتحى غانم ، بليغ حمدى ، أحمد عبدالمعطى حجازى ، صلاح حافظ ، عبدالحليم حافظ ، وصلاح عبدالصبور . حتى أحسان عبدالقدوس وحتى محمد حسنين هيكل وحتى مأمون الشناوى ، وعشرات من النوابغ الذين ملأوا حياتنا نورا وزهورا وضياء وانغاما على امتداد خمسين عاما من هذا القرن العشرين ! ومات أيضا شريدا وحيدا ، غلبان زمانه ومسكين أوانه عمنا زكريا الحجاوى خادم الكلمة الصادقة والفن الرفيع ، بعد ان عاش حياته موظفا بالمكافأة ، وبعد أن انهدم بيته ولم يجد مسكنا يأويه فهاجر الى الخليج ، ودخل مستوظفا فى خدمة الحكومة ، وعندما أصبح له مكتب وتليفون وأصبح يذهب فى مواعيد ويتكلم بحساب ، وتحيط به المكائد والدسائس والاعيب الموظفين ، عندئذ توقف قلبه ومات زكريا الحجاوى وعاد الى مصر فى صندوق ، ودفن فى صحراء العباسية ، وهو الذى كان يخاف الوحدة والظلام والسكون ! لم يحتمل زكريا الحجاوى الفنان حياته الجديدة فى الخليج ، حياة الروتين والنظام والكلام بحساب والحضور بمواعيد ، والانصراف بعد التوقيع فى دفتر المستوظفين . ولو أنصف المجلس الاعلى للفنون والآداب

لمنح اسم زكريا الحجاوى جائزة الدولة التقديرية فى الفنون التى حجبوها هذا العام . فقد أثرى زكريا الحجاوى حياتنا بالنغم وبالكلمة وبالنبش فى طين مصر عن النوابغ وكان آخرها الريس متقال ، بالاضافة الى السنارة التى كانت فى عينه النفاذة والحساسة ، والتى اصطاد بها عشرات من الموهوبين الافذاذ ، وكان احدهم صلاح جاهين الفنان الشامل الذى شغل الناس والحياة ، وسيظل يشغل الناس والحياة والى زمن بعيد يعلمه باسط الارض ورافع السماء . ومنذ عام واحد على وجه التحديد رحل عن دنيانا فنان مر على أرض البشر كما يمر الأولياء وأصحاب الطريق ، كان خافض الصوت خافت الطموح ، شديد التاثير على من حوله ، وعكف فى صمت وفى صبر الرهبان فى تشكيل عقول جديدة ومواهب واعدة ، واكاد أقول أنه لا يوجد فى مصر الآن فنان تشكيلى واحد من سن الخامسة والعشرين الى سن الاربعين إلا واشترك الفنان حسن فؤاد فى صنعه وفى وضعه على الطريق الصحيح . وقضى حسن فؤاد حياته كطائر السنونو يقطع من كبده قطعا صغيرة ليطعم افراخه ، وكطائر السنونو أيضا مات حسن فؤاد قبل الأوان ، ولكن بعد أن شبت أفراخه عن الطوق وحلقت فى العلالى بريش قوى اشترك حسن فؤاد فى تثبيته وفى إنباته وتزويقه بأحلى وأجمل الالوان . ونفس الكلام الذى ينطبق على كامل الشناوى وزكريا الحجاوى وحسن فؤاد ، ينطبق أيضا وربما بشكل اكبر على الفنان الراحل صلاح جاهين . وكان يمكن للمجلس الاعلى وللمجلس الأوطى وللمجلس النص نص ، ان يمنح جائزة الدولة لروح الفنان صلاح جاهين ، فى الأدب ممكن ، فى الفنون ماشى ، فى العلوم لاباس ، فى الهموم لامانع . ولكنه حجب الجائزة الثالثة فى الفنون ، ووزع جوائز الادب على وكيل وزارة الثقافة ووزير اوقاف السابق ، ولا أدرى لماذا لم يمنحوها أيضا لوزير التموين ومدير التليفونات ورئيس هيئة مترو الانفاق ومدير الامن العام ، فكلهم ساهموا بشكل أو بآخر ، فى تنشيط عقل مصر وتجديد روحها ، وهم لا يستحقون فقط جائزة الدولة التقديرية ، وانما هم يستحقون ماهو اكبر من ذلك ، مكافآت تشجيعية وحوافز وتماثيل تنصب لهم أمام الجمعيات الاستهلاكية ومحطة السكة الحديد وسجن التخشيبة بالقلعة !

واذا كان هؤلاء الفنانون العظام من أول كامل الشناوى الى صلاح جاهين – حكمة الله – يشتركون فى صفة واحدة ، هى عدم حصولهم على جائزة الدولة التقديرية أو التشجيعية أو التى بسعر السوق السوداء ! فقد كانت تجمعهم – حكمة الله – صفة واحدة . وهى الصياعة والوقوف على باب الله وليس على باب السلطان . كانوا جميعا طرازا من الصياع العظام الذين احبوا الليل والناس والفن العظيم من أى اتجاه . كان كامل الشناوى يشم رائحة المواهب على بعد الف ميل ، وكان خبيرا فى انتقائها وصقلها وتقديمها للناس . وكان زكريا الحجاوى يسرح فى

شوارع مصر وخلفه مجموعة من الصبية الموهوبين صاروا جميعا أعلاما فيما بعد ، وكان حسن فؤاد مفتونا بالشباب وراعى قطيع المواهب الجديدة ، وكان صلاح جاهين يحب كل جديد وأى جديد . ولكن يبدو أن هذا الصنف من الفنانين الذين يحبون الحياة لا تحبهم دواوين الحكومة ولا أنظمة المجلس الاعلى والمجلس الأوطى والمجلس النص نص . واذا كنا قد قصرنا حديثنا على الموتى من الفنانين العظام . فمن بين الفنانين الاحياء من لم يحصل على جائزة الدولة التقديرة وهو اكبر منها . ولكن الجوائز ضلت طريقها اليهم ، لانهم عرفوا الطريق الى الفن ، وضلوا الطريق الى دواوين الحكومة . على راس هؤلاء شيخ الفنانين القصاصين محمود البدوى ، ورافع لواء الحب احسان عبدالقدوس .

وصاحب القلم الانيق الرشيق انيس منصور ، والكاتب الذى اعتزل الناس وعكف فى مسجده الدكتور مصطفى محمود ، وشيخ نقاد الامة لويس عوض ، والفنان المسرحى نعمان عاشور والكاتب القصاص يوسف أدريس ، كلهم يستحقون الجائزة ، وكلهم اكبر من الجائزة ، ولكنهم جميعا لم ينالوها ، مع أن محمود البدوى تعدى الثمانين من عمره المديد ، ونعمان عاشور يزحف الآن نحو السبعين ، والباقون جميعا وصلوا الستين أو تجاوزوها بقليل . ولا أدرى متى نعطى هؤلاء جائزة الدولة التقديرية ؟ ولا أدرى أيضا إمتى الزمان يسمح ياجميل ، وتأخد جائزة الدولة التقديرية ومع الشكر الجزيل ؟ ولكن عزاء الأموات من الفنانين العظام ، وعزاء الذين مازالوا على قيد الحياة ، انهم ماتوا فى فراشهم ، أو سيموتون فى فراشهم ، ولن يلقوا مصير أبو الطيب المتنبى ، أبلغ وأنبغ من أنجبت أمة محمد ، وفنان عصره وكل العصور ، قتلة فارس من بنى خيبان ـ مع الاعتذار لمسرحية سمير غانم ـ وفى قرية النعمانية على طريق بغداد وقتلوا ولده وخادمه ، وسرقوا أمواله ونهبوا كتبه وباعوا جماله فى سوق الثلاثاء ثم فروا هاربين ، وانتقل الى مكان الحادث مأمور القرية ورئيس مباحث المركز ونائب مدير أمن بغداد ووكيل وزارة الداخلية ، وبعد ان القوا نظرة على مسرح الجريمة وعاينو الجثث ، اغلقوا المحضر وقيدوا الحادث ضد مجهول ! ومع ذلك لم يبق من عصره كله إلا هو ، ولم يبق من الادب فى كل العصور إلا أدبه ، لان الخلود ليس بالجوائز ، وليس باللجان وليس بالمجلس الاعلى والمجلس الأوطى ، ولكن يعيش الاديب بالتفرد والاصالة والعبقرية والنبوغ !

عــلــى الابــطــال دوار!

هل سمعتم عن الكابتن (كعبلها) من قبل ، لقد كان يشغل مركز قلب الدفاع فى فريق شطانوف المحطة الذى كان يلعب فى دورى الدرجة الثالثة . ومع انه كان يلعب فى مركز الظهير ، ومهمته بالتحديد هى منع الأهداف من دخول مرماه ، ومنع المهاجمين من دخول الصندوق ، إلا انه بالرغم من ذلك ظهر اسمه ذات عام فى كشف الهدافين ! ولم يكن هذا على سبيل النكتة ، ولكنها كانت حقيقة واقعة . لأن الكابتن كعبلها سجل خلال ذلك العام ٨ اهداف فى مرماه ! ويبدو أن الكابتن كعبلها اكتشف فجاة أن تسجيل الاهداف فى مرمى الخصم عسير وصعب المنال ، فما المانع من تسجيل الأهداف فى مرماه ؟ مادامت الكرة ـ على راى الكابتن لطيف ـ اهداف !

واسأل حضراتكم : هل رأيتم ما حدث فى دورة أفريقيا ؟ لقد لعب فريقنا ثلاث مباريات . واختلف أداء الفريق من مباراة الى أخرى . ففى مباراة الكاميرون لعب الفريق تبعنا ولا فريق البرازيل ولكنه لم يسجل شيئا وفى مباراة كينيا لعب فريقنا ولا فريق البراجيل ولكنه سجل ثلاثة أهداف . وفى مباراة نيجيريا لم يلعب ولم يسجل ، وخرج الفريق (البطل) من دورة أفريقيا غير مأسوف عليه . ولكن على من تقع المسئولية الآن ؟ على الخواجة سميث ؟ العبد لله يعرف أن حملة شعواء من بعض السادة إياهم تنتظر الخواجا سميث باعتباره هو الذى أفسد الكرة المصرية . وهو الذى تسبب فى انحدارها . وكان الفريق تبعنا كان زينة مسابقات كأس العالم ، وبعبع كأس أوروبا ، ووردة كأس افريقيا ، وكان مصدرا للعملة الصعبة ، ومن أسباب تشجيع السياحة فى مصر !!

والحق أقول ان الخواجا سميث مظلوم وبرىء وصاحب فضل على الفريق القومى . بدليل أن فريقنا بشهادة الجميع لعب أحلى كورة فى البطولة ، ونجح الخواجا سميث فى أن يصنع من الفسيخ شربات . ولكن جريمة سميث التى لاتغتفر هى أنه لم ينزل الى الملعب ليحرز الأهداف بنفسه .. عندما عجز الكباتن إياهم عن احراز هدف يتيم فى مرمى فريق نيجيريا كان كفيلا بوضع فريقنا على

رأس المجموعة ، وبالقطع كان الفريق المصرى هو الفريق المرشح ليقابل المغرب فى نهائى الكأس ! ولكن الخواجا سميث جلس على دكة المدربين ولم يشترك مع اللعيبة ، وهى جريمة كبرى تستوجب احالته الى محكمة العدل الكروية وتنفيذ عقوبة الاعدام فيه !

هل هى مسئولية احمد رفعت ؟

العبد لله يعتقد أن جزءا من المسئولية يقع على رأسه . لانه أولا . كمدرب لايرقى إلى مستوى الفريق القومى . وثانيا لانه زملكاوى الهوى استعان بالكابتن طارق يحيى مع انه كان بعيدا عن المنتخب فى عصر شحتة . ولم يكن شحتة متحيزا عندما صرف النظر عن الكابتن طارق يحيى لاننا جميعا نعلم أن طارق يحيى مجرد لعيب محلى ولا يصلح لمباريات على هذا المستوى الرفيع !

طيب .. هل المسئولية تقع على عاتق اللعيبة ؟

الحق اقول أن اللعيبة ادوا واجبهم فى حدود مواهبهم ولكن هناك بعض الملاحظات التى ينبغى تسجيلها حول هذا الموضوع . منها مثلا ان الكابتن ربيع يس هبط مستوى أدائه بشكل خطير . ليس هذا ربيع يس الذى نعرفه . هل هى الشيخوخة ؟ هل هو الارهاق ؟ هل هو الاحباط ؟ هناك سر ما فى هبوط مستوى هذا اللاعب الذى كان فى الملعب مثل النحلة ، وفى الشوط على الأجوال كان مثل مدفع رمضان .. والكابتن حسام حسن تفرغ لمناقشة الحكام باعتباره عضو مجلس الكباتن فى برلمان الكورة . وحاول فى مباراة الكاميرون منع حكم المباراة من اطلاق صفارة النهاية . وكأنه يلعب فى أرض ماتوسيان بالجيزة ، وكأن الحكم هو المعلم قطب الذى يقوم بالتحكيم بين الفرق لقاء علبة سجاير !

الكابتن شوبير أدى واجبه على اكمل وجه ، وحمى مرماه من أخطار جسيمة ، ولو وصل فريقنا الى النهاية لحصل شوبير على لقب أحسن حارس مرمى فى افريقيا . الكابتن شوقى غريب بعد الاصابة غيره قبل الاصابة . وهو معذور بالطبع لانه لم يفرض نفسه على الجهاز الفنى ولكنهم اختاروه على أساس (عد غنمك ياجحا) الكابتن طارق يحيى لم ينجح فى اختراق الدفاع أو تخطى الظهير وفشل فى توقيف الكورة وفى تمريرها ، وتهيأت له الكورة أمام المرمى فطمع وتحفز وشاط الكورة فى الظهير النيجيرى . ومع ذلك تركه المدرب يلعب الشوط الأول فى مباراة نيجيريا ، وسمح له باللعب أغلب الشوط الثانى ، ومع انه كان فى كل الوقت مشاهدا إلا أنهم لم يسحبوه من الملعب باعتباره احد خبراء الكورة فى قارة افريقيا ، ويبدو أنه كان مكلفا بكتابة تقرير عن سير المباراة !!

التغيير الذى حدث فى الشوط الثانى كان خطأ جسيما . لانه أشرك رمضان فقط ، وكان ينبغى اشراك عماد سليمان أيضا باعتبار أن مباراة نيجيريا كانت مباراة حياة أو موت ، ويالطابت ياإتنين عور !!

على العموم لا داعى للحزن ، ولا وقت للعتاب ، وفى دنيا الكورة حظوظ كما فى دنيا البنى آدمين ، والعبد لله ليس من أنصار اعطاء الكورة حجما أكبر مما تستحق كما يفعل بعض السادة المعلقين . فيربطون الفوز بالحضارة ، ويعتبرون الهزيمة ضربا من ضروب العار ، والتعادل رجس من عمل الشيطان . مع أن الكورة مجرد لعبة ، ينهزم فيها القوى أحيانا ، وينتصر فيها الضعيف أحيانا ، كما حدث عندما هزمت الجزائر ألمانيا الغربية ، وكما هزمت البرتغال انجلترا ، وكما أخرجت بلجيكا الاتحاد السوفييتى من كأس العالم ، كما أن اغنى وأقوى دولة على ظهر الأرض وهى الولايات المتحدة الامريكية ليس لها فى كرة القدم إلا الفريق الاوليمبى ، وهو يلعب الكورة كما الخالق الناطق فريق بلبيس !

بقيت نقطة أخيرة هى مسألة الكابتن كعبلها ، والسبب الذى من أجله ذكرناها فى بداية الحديث . السبب أيها السادة أننا خرجنا من دورة افريقيا بسبب الهدف الفطيس الذى دخل مرمانا فى مباراة الكاميرون ، والذى سجله العجوز (ميلا) فى حراسة اثنين من خفراء مرمى مصر الدولى وقفا يشاهدان الكورة وهى تتهادى داخل المرمى ، ويأسفان لعدم وجود كاميرا معهما لتسجيل هذه المناسبة السعيدة التى ترشحهما للحصول على جائزة الكابتن (كعبلها) الدولية ، ولولا هذا الهدف اللعين ، فمن يدرى ؟ ربما لعبنا فى الدور قبل النهائى ، وربما فى الدور النهائى ، وربما عدنا فى حوزتنا كأس حنين بدلا من العودة بصندل حنين ، باعتبار أن حنين الكروى ليس له (خف) ولكن له جزمة (كلارك) من النوع الثمين .

على العموم "هاردلك" للفريق المصرى فقد أدى واجبه فى حدود امكانياته وأعطى فى حدود طاقاته ، وفعل المستحيل من أجل النصر والفشل فى دورة الدار البيضاء ليس نهاية الحياة . وكم من دورات قادمة سنواجه فيها الفشل ، وكم من دورات قادمة سنحقق فيها النجاح . لأن المهم فى هذه الدورات هو التواجد وليس الفوز ، والمنافسة وليس النصر ، وضياع الكأس مسألة طبيعية للغاية ، لأنها لو دامت لغيرنا ما اتصلت الينا . وأيضا لأن الكأس ـ فى الكرة كما فى المنايا ـ على الأبطال دوار !

مرحبا أيها السجن

تصوروا .. منذ نحو ٦٠ عاما ، كتب الكاتب الساخر عمنا الكبير الشيخ عبدالعزيز البشرى مقالا اتهم فيه رئيس الوزراء وقتئذ ، حضرة صاحب الدولة أحمد زيور باشا ، اتهمه بالخيانة ، وبأنه باع مصر للاعداء . وسخر الشيخ عبدالعزيز البشرى من رئيس الوزراء قائلا : وبالرغم من خيانة رئيس الوزراء فاننى اعترض على محاكمته ، لأن فى هذا ظلم لرئيس الوزراء ، لأنه ليس شخصا واحدا ولكنه عدة أشخاص . ولا يجوز محاسبة كتفه بما جناه راسه . ولا يمكن محاكمة

بطنه على جرم ارتكبه فخذه .. الى اخر ما جاء فى المقال .

وبالرغم من ذلك حكمت محكمة جنايات مصر برياسة عبدالعزيز باشا فهمى ببراءة الشيخ عبدالعزيز البشرى . وجاء فى حيثيات الحكم : أن الرجل العام وعلى الأخص الذى يتولى مسئولية عامة يكون عرضه للنقد وبالأسلوب الذى يراه الكاتب مناسبا كذلك !.

ومنذ نحو ٦٠ عاما أيضا كتب المرحوم الفنان بيرم التونسى وبالخط العريض على صدر صحيفة المسلة ـ التى هى لا جريدة ولا مجلة ـ ملعون أبو المحافظ ! وتحت العنوان كتب يقول : بينما كنت أمشى فى شارع الأزهر اذ احتك بى نشال ولهف المحفظة من جيبى ، فلما اكتشفت السرقة هتفت من أعماقى ملعون أبو المحافظ . والسبب اننى كنت قبل ذلك أضع نقودى فى جيبى ، ولكن أحد أصدقائى نصحنى باقتناء محفظة لحفظ النقود ، فاذا بالنشال اللعين ينشل النقود والمحفظة ، وهذا هو السبب الذى جعلنى أصرخ ملعون أبو المحافظ !

وقضت محكمة جنايات مصر ببراءة بيرم التونسى من تهمة سب المحافظ ، لأنه لم يقصد سب محافظ القاهرة ، ولكنه كان يسب المحافظ ـ جمع محفظة ـ التى سرقها النشال ومعها نقوده !

ومنذ ٤٠ عاما على وجه التحديد كتب العبد لله مقالا عن الفريق محمد حيدر باشا فى مجلة "كلمة ونص" ، والتى كان يرأس تحريرها الاستاذ مأمون الشناوى ، وبعد أن هاجمت حيدر باشا هجوما شديدا ، ختمت المقال قائلا : ويعتبره الخبراء العسكريون واحدا من ألمع جنرالات الحرب فى العالم ، وعلى رأسهم جنرال اليكتريك وجنرال موتورز . ومع ذلك حكمت المحكمة ببراءة العبد لله من تهمة القذف فى حق القائد العام محمد حيدر باشا .

حدث هذا منذ ٦٠ عاما وحدث مثله منذ ٤٠ عاما فما الذى يجرى فى مصر هذه الأيام ؟ هل تدهورت الأحوال بصحافة مصر فأصبحت أقل حرية فى الثمانينات مما كانت عليه فى العشرينات وفى الأربعينات ؟ الحقيقة أن قضاء مصر الشامخ لايزال عند موقفه فى قضايا النشر ، بالرغم من المحاولات التى تتعرض لها الصحافة من بعض الجهات ، وبالرغم من مساعى البعض فى وضع السدود أمامها والقيود فى معصميها ، وهى مسألة يجب أن يتوقف عندها الصحفيون جميعا ونقابتهم على وجه الخصوص .

اذكر أننى منذ ١٥ عاما كنت مقدما لمحكمة الجنايات فى قضية قذف ضد رئيس مجلس إدارة مؤسسة السينما . وكنت قد اتهمت القائمين على المؤسسة بسرقة أموال الدولة وتهليبها . وكان على رأس المؤسسة رجل يدعى تركى انتقل الى رحمة الله ، وتساءلت فى المقال : "هل هو تركى فعلا ؟ أم أنه مجرد اسم مثل يقلظ

وزقلط ، وباعتبار انها مجرد أسامى .. والاسامى ببلاش" . وقلت أيضا فى معرض الحديث عن الفساد الذى يضرب جذوره فى المؤسسة : "ولقد شد الضانى السحار الى الإذاعة ، فشده السحار الى السينما ، ومن شدك تشده ولو بعد حين" ! وكان العبد لله وقت نظر القضية يقضى عقوبة مدتها عامان فى سجن القناطر فى القضية المعروفة باسم مراكز القوى .

وبالرغم من ظروفى التعيسة إلا أن المستشار أبوهيف أصر على منحى الفرصة كاملة فى الحصول على المستندات التى تثبت فساد المؤسسة وتبديدها لأموال الدولة . ولم يعجب ذلك القائمون على أمر المؤسسة فسعوا بشدة لنقل القضية الى دائرة أخرى ، ونجح مسعاهم فى النهاية فأحيلت القضية الى دائرة المستشار زكريا حذيفة . وربما اختاروا المستشار زكريا حذيفة بالذات ، لانه كان من ضحايا ما يسمى بمذبحة القضاء ، ولأننى من مراكز القوى ، ولكن لأن القضاء المصرى عادل وقضاة مصر فوق مستوى الشبهات ، لذلك صدر الحكم فى النهاية ببراءة العبد لله ، وجاء فى الحيثيات : "حيث أن المؤسسة كانت فاسدة فان القائمين عليها بالضرورة كانوا فاسدين" . وأثبت المستشار العظيم فى حكمه التاريخى ضياع ٨ ملايين جنيه من أموال المؤسسة بطرق مشبوهة ولعلاقات مريبة .

والجدير بالذكر الآن هو ما قاله شيخ المحامين المصريين وعمدة خبراء قضايا النشر ، قال عمنا الدكتور محمد عبدالله : "انه شىء مؤسف للغاية أن يكتب كاتب ساخر فى العشرينات هو الشيخ عبدالعزيز البشرى يتهم رئيس وزراء مصر بالخيانة ويحكم عليه بالبراءة" ، وان يسخر كاتب ساخر آخر فى السبعينات من رئيس مؤسسة السينما فنحكم بحبسه مع الحرامية واللصوص وتجار المخدرات" . وتساءل شيخ المحامين المصريين : "إلى أين نحن ذاهبون باحضرات المستشارين العظام ؟ وماهو المصير الذى ينتظرنا جميعا إذا تعقبنا كل صاحب قلم ، وكل صاحب رأى ، ودفعنا بهم الى السجون" ؟ واغرب شىء أن الدكتور محمد عبدالله لم يكن موكلا للدفاع عن العبد لله ، ولكنه حضر كمشاهد للقضية ، وهو الذى طلب الكلمة ، ورحبت به المحكمة ، باعتباره هو الحجة فى هذا المجال .

واذكر انه قال فى مستهل مرافعته ، انتى سعيد أيها السادة لاننى احضر هذه القضية أمام محكمة الجنايات ، فمنذ عهد طويل لم تنظر محاكم الجنايات عندنا إلا قضايا المخدرات والقتل والسطو المسلح والاغتصاب . وهذه أول مرة منذ ربع قرن تنظر فيه محكمة الجنايات قضية من قضايا النشر ، بعد آن خيل إلينا أن مثل هذه القضايا صارت جزءا من متحف التاريخ ، وأن وصول مثلها الى محكمة الجنايات هو ضرب من المستحيل ، كالغول والعنقاء والخل الوفى ، ولذلك حضرت لكى اشاهد بعينى واستمع باذنى الى ما يدور فى هذه القاعة ، ولكى أرى بنفسى صحفيا يجلس فى قفص الاتهام خلف القضبان .

وبعد مرافعة الدكتور محمد عبدالله لم تجد هيئة الدفاع ما يدعوها الى المرافعة أمام المحكمة ، وكانت هيئة الدفاع مكونة من الأساتذة عبدالرؤوف على وصبرى مبدى وعباس الأسوانى وعبدالحميد قطامش . وأذكر أن جميع الصحف رفضت يومها نشر الحكم حتى كاعلان . ولم تنشره إلا مجلة صباح الخير لانها كانت صاحبة مصلحة فى النشر ، لانها هى التى نشرت المقال ونشرته أيضا جريدة الأخبار ، وهو موقف أذكره لها ولا أنساه .

ويبقى بعد ذلك إن التعديل الذى تم ادخاله منذ ثلاثين عاما على المادة ١٢٣ من قانون الاجراءات كان يهدف الى حماية الموظف العام الذى يشترك أو يتواطأ مع لصوص المجتمع الكبار ، الذين تمكنوا خلال فترة طويلة من الزمان من نزح كنوز مصر والفرار بها الى خارج البلاد . ولكن .. وبالرغم من ذلك تمكنت الصحافة المصرية من ضبط عشرات النصابين والقبض على عشرات اللصوص ، وكانت صاحب الفضل الأول والأخير فى كشف رشاد عثمان وعصمت السادات والحاج محمد لطفى والمرأة الفولازية . ولولا الصحافة لظل هؤلاء يمارسون عمليات النهب والسلب حتى الآن .

وبعد .. لقد قدم العبد لله الى محكمة الجنايات ثلاث مرات فى قضايا نشر ، وأكثر من عشر مرات أمام محاكم الجنح مع غشاشين اللبن وحرامية طاسات السيارات . وكان الحكم بالبراءة فى كل الأحوال . وعلى العموم .. العبد لله دخل السجن ثلاث مرات فى قضايا سياسية ملفقة ، فما المانع من دخول السجن فى قضية نشر . وسأوصى أبنائى بأن يكتبوا على قبرى بعد موتى .. هنا رجل عاش من أجل الكلمة وسجن بسببها ، ومات حزينا .. لأن الموت سيمنعه من مطاردة اللصوص والنصابين والأدعياء !

المهلباتى والمهلباتكو!

كلنا نسمع عن التهليب والمهلباتى . ولكن هل تعرف من هو المهلباتى ؟ بعض الناس تعتقد ان المهلباتى هو الحرامى او الاونطجى او النصاب . ولكن الحقيقة عكس ذلك على طول الخط .

فالتهليب مهنة محترمة يزاولها بعض الناس ، ويحصلون على رخصة من الحكومة للتهليب ! وبعد حصول المهلباتى على الرخصة ، يصبح عضوا محترما فى الهيئة الاجتماعية ، وقد يصادفه الحظ فيصبح مليونيرا وبنكيرا ، وقد يصادفه النحس فيشيب شعر راسه ويصاب بالشيخوخة ، وقد يلقى حتفه قبل الاوان ! ولذلك اقلعت عن وصف حرامية البنوك ولصوص المال العام بالمهلباتية .

فحرامى البنوك ليس من طبقة المهلباتى ، ولكن يمكن وصفه بالمهلباتكو ، وعلى وزن الشركات التى يؤسسها جماعة أهل الخير ، ومن عينة شركات عزيزكو وعبدالعاطكو وهيدكو وزمزمكو وعطوتكو الى أخر هذا النوع من الشركات التى ابتلانا بها الزمان .

أما مهنة التهليب الحقيقية فهى مهنة بسيطة وإن كان رزقها واسعا . وهى تحتاج الى خبرة وتحتاج الى رأسمال وأيضا الى حظ . ولكن راسمالها بسيط بساطة المهنة نفسها . وهو لا يزيد عن قارب بخارى سريع ومساعد نشيط ، وهلب من الذى تستعمله المراكب ، وسلك طويل من الصلب .

ويبدأ المهلباتى يومه بمسح منطقة الميناء ، فإذا كان المهلباتى من بورسعيد أو من السويس ، فهو يمسح منطقة الميناء أولا ، ثم ينطلق بعد ذلك وعلى طول القناة ، ساحبا هلبه خلفه ، وكل مهلباتى ونصيبه ، وكل مهلباتى ورزقه ، الهلب يشبك فى صندوق ، يشبك فى حقيبة ، يشبك فى شوال ، المهم أن المهلباتى عندما يشعر بأن الهلب شبك ، يقوم بسحب الهلب على الفور ، وينتشل الرزق الذى أرسله البحر الى السيد المهلباتى ! أحيانا يكون الصيد صندوق ويسكى ، أو شوال بطاطس ، أو

صندوق شاى ، أو صندوق جواهر ، وكل واحد ورزقه .. ويرزق من يشاء بغير حساب !

ولكن يادهية دقى إذا جاءت الرياح بما لا يشتهى الهلب . مرة سحب المهلباتى صندوقا كبيرا من البحر ، فإذا به صندوق متفجرات ، وهكذا فقد المهلباتى عينيه وإحدى ذراعيه ، وكاد ـ لولا لطف الله ـ أن يفقد حياته . ومرة إكتشف المهلباتى إن الهلب إصطاد جثة مشوهة ثم تبين بعد ذلك إنها لجندى إسرائيلى من قتلى حرب أكتوبر ، وأن نصف الجثة لم يذهب عبثا ، وإنما ذهب طعاما للأسماك وهكذا ترى أن التهليب مهنة محترمة ، والمهلباتى مواطن شريف يعتمد على الخبرة ويعتمد أيضا على الحظ ، كما انه مواطن صالح ومغامر وعلى باب الكريم . وقد يصبح مليونيرا فى تهليبة ، وقد تقضى عليه تهليبة .

ولذلك توقفت ، وينبغى أن نتوقف جميعا عن إطلاق إسم المهلباتية على حرامية البنوك ولصوص المال العام . لان المهلباتى بالشكل الذى شرحناه ، هو مواطن شريف ووجوده ضرورى لتطهير الممرات البحرية من مخلفات السفن العابرة . أما لصوص البنوك ، فهم أحقر انواع المجرمين الذين عرفتهم مصر فى تاريخها ، وهم أخطر انواع الإرهابيين على الاطلاق . ولكنا للأسف الشديد نطبق قانون الطوارىء على الإرهابيين الذين يطلقون النار على خصومهم السياسيين ، ولا نطبق القانون ذاته على الذين يقتلون الوطن نفسه ، ويزهقون روح الشعب كله ، مئات وألوف من الحرامية والمحتالين كنسوا البنوك ونهبوا المال العام . وإكتفينا بسجن الواحد منهم عدة أشهر ومصادرة ما تبقى لديه من أموال وممتلكات . وهى فى الغالب لا تكون اكثر من بضعة قروش فى بنك ، وبيت حكر فى حارة الطشطوشى ، ودبلة زواج من أيام الفقر ! ويدعى الحرامى من دول أن الفلوس ضاعت فى السوق .

وتسأل : أى سوق ؟ فلا تجد جوابا على الاطلاق . لان السوق برىء من أموال النصاب براءة الذئب من دم ابن يعقوب . ويغادر الحرامى من دول سجنه ليهاجر بعد ذلك إلى إستراليا او أمريكا أو أوروبا ليصبح فيما بعد صاحب شركات أو صاحب أعمال ، أو يتبجح اكثر كما فعل توفيق عبدالحى فيصبح صاحب جريدة ، ويناضل على صفحاتها ضد الأوضاع الخاطئة فى مصر !! والعبد لله لا يعرف لمن يكون قانون الطوارىء إذا لم يكن لهؤلاء . لقد طبقنا قانون الطوارىء على التنظيمات السياسية التى تستخدم المدافع فى الحوار وهذا عدل ، وطبقناه على تجار المخدرات وعلى تجار العملة فى السوق السوداء .. وهذا أيضا عدل . ولكن هل تجار المخدرات أشد خطرا من لصوص البنوك ؟!

هل تجار العملة الصعبة فى السوق السوداء اكثر إجراما من حرامية المال العام ؟ إن سيدة حلوة ليس لها سابق عهد بأعمال التجارة ولا بأشغال المقاولات إستطاعت أن تقيم فى مصر إمبراطورية ، ولهفت ملايين الجنيهات ، لهفتها

بالرشاوى وبالهدايا وبالاكراميات ، واطلقت على نفسها إسم المرأة الحديدية ، والمرأة الشيطانية ، والمرأة العجمية ، واستطاعت بفلوسها أن تفرض اسمها ورسمها على كل صحف مصر القومية والقطرية ايضا !

ومن أخبار هذا الاسبوع أن المستشار محمد الجندى النائب العام أصدر قرارا بمنع ثلاثة اشقاء أصحاب شركات نسيج وتريكو من السفر والتحفظ على أموالهم وأموال أولادهم ، ليه ؟ لانهم إستولوا على ٨٫٥ مليون جنيه من أموال البنوك . ٨٫٥ مليون جنيه ياكفرة ؟ طيب لو ذهب العبد لله أو أى مواطن مصرى الى اى بنك وطلب سلفة ٨٫٥ جنيه فقط من غير مليون ولا اى حاجة ، فهل يعطيه البنك هذا المبلغ المتواضع الذى يحتاج اليه ؟ النتيجة ستكون الرفض ولا شىء غير الرفض . ولكن عندما يطلب ثلاثة اشقاء من عائلة واحدة ليس لها شهرة تجارية ، ولا سابق إشتغال بأية أعمال ، إلا إذا كانت الصياعة تدخل فى باب الأعمال ، عندما يطلب هؤلاء ٨٫٥ مليون جنيه كقرض حسن وإلى حين ميسرة ، فالموافقة تتم فى الحال ، ليه ؟

فهل صحيح كما يشاع أن هناك عملية رش ضخمة حدثت بين الذى اقرض والذى إقترض ؟! لان عائلة إسمها الثقفى أو الصيرفى أو الصردى لا يمكن أن تكون موضع ثقة إلى الدرجة التى تهبر فيها ٨٫٥ مليون جنيه بدون اية ضمانات . ولابد أنهم اقترضوا المبلغ بأسلوب شيلنى واشيلك ، ويابخت من نفع واستنفع ، وأطعم الفم تستحى العين ، وتراعينى مليون أراعيك اتنين !

وهذه البنوك التى أقرضت ٨٫٥ مليون جنيه لعائلة عريقة من عائلات حوش بردق ليست من عينة بنك حبيب أو بنك زليخة ، ولكنها بنوك محترمة من بينها بعض البنوك الإسلامية ، ولاعتاب ولاملام على البنوك الإسلامية ، باعتبار أن فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ، ويبدو أنهم بعد أن بحثوا وتقصوا إكتشفوا أن العائلة إياها غلبانة ياعينى وكبدها ناشف من قلة الزاد ، وإنها من النوع الذى يندرج تحت بند السائل والمحروم ! ثم إيه يعنى ٨٫٥ مليون جنيه ! فى بنك ربنا أكرمه يابا ، وجعل الناشفة فى إيده خضرة ، بسبب رضا الوالدين وبركة دعاء المستثمرين !!

ولكن الذى يكاد يقتلنى غما هو موقف بنوك القطاع العام . وعلى راى المثل عد غنمك ياجحا ، قال واحدة واقفة وواحدة نايمة ! كيف سمحت هذه البنوك لنفسها وهى بنوك دولة مدينة ؟ أن تمنح ٨٫٥ مليون جنيه لعائلة مضروبة تدير شركات نصب من عينة عزيزكو وصادفكو دون أية ضمانات حقيقية . ابحثوا الأمر أيها السادة ، فستكتشفون أن هذه العائلة لم تحصل إلا على ٤ ملايين جنيه فقط ، والباقى أخذ طريقه إلى جيوب أخرين اطمأنوا إلى أن صاحب القرض مسنود وظهره جامد وجيبه عامر بفضل الله ولقد كان من الممكن أن نغفر لهذه البنوك لو

انها منحت القروض لعائلات من نوع طلعت حرب أو اللوزى او فرغلى ، بإعتبار أنها عائلات إقتصادية ، ويمكن لها لو توافر عندها فائض أموال ورغبة فى العمل أن تحقق شيئا له قيمة . ولكن أن نعطى أموالنا لعائلات حكشة وبرعى وأبو الليف وسمسون أرضى ، ولشركات من نوع حانظلكو وحارسكو ، فهى مسألة تحتاج إلى وقفة مع العدو قبل الصديق ، وإلى ضرورة فرض قانون الطوارىء على كل الذين نهبوا أموال مصر فى الفترة الماضية وتسببوا فى خراب مصر ، ولم يفعل ذلك فى تاريخ مصر من قبل إلا نبوخذ نصر البابلى وبن عثمان التركى وبن ديان اليهودى ، عندما احتل سيناء وشفط بترولها وسرق آثارها ونهب حتى قضبان السكة الحديد !

صدقونى أيها السادة حين أقول لكم إن الذى حدث فى مصر فى مرحلة الانفشاخ التهليبى لم يحدث من قبل فى بلدنا إلا فى عصر قناصل الدول الأجنبية ، ولكن عذر الذين نهبوا مصر فى الأيام الخوالى ، أنهم كانوا جميعا من صنف الأجانب ، قبارصة على أروام على طلاينة على صياع من مالطة على خواجات من فرنسا ومن بلاد نهر التايمز . أما الذين نهبوا مصر فى تلك الفترة القريبة فهم كلهم من مصر ، وأغلبهم من طبقة الصياع ، وأسماؤهم تنم عن البيئة التى نشأوا فيها ، والأزقة التى ترعرعوا فى سراديبها ، زينهم وعبدالحى وعبدالحافظ وعباد وعبده والسكاسنجى ، وهؤلاء برغم إنحطاطهم وجهلهم ، عاملوا مصر كمستعمرة ، وربما باشد مما فعل بها المستعمر المحتل ! لم يتقوا الله ، ولم يخشوا عذاب يوم عظيم .

والسؤال الآن : أين ذهبت هذه المليارات التى نهبها هؤلاء السادة الذين يدعون الآن أنها ضاعت فى السوق ؟ الأكيد أن هذه الأموال في الخارج ، وهى أموال تستطيع سداد ديون مصر فضلا عن إنعاش مصر ووضعها على أول طريق الرخاء والسلام الاجتماعى . ولقد قال لى الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل فى الأسبوع الماضى إنه قرأ تقريرا اقتصاديا عالميا صدر فى الفترة الأخيرة ، وأن التقرير قال بصريح العبارة إن السادة الهابرين يملكون فى بنوك أوربا وأمريكا وجزر البهامز ، ٦٩ مليار دولار بالتمام والكمال !

ونستطيع إعادة هذه الأموال لو طبقنا قانون الطوارىء ، ولو أخذنا جميع الهابرين بربطة المعلم وحبسناهم فى معتقل الواحات الخارجة ، لا يخرج منه أحد على الاطلاق ، إلا إذا أعاد إلى مصر ما هلبه من البنك وهربه خارج البلاد ! جربوا هذه الوصفة ، وصدقونى .. ستكون هذه بداية طيبة لانعاش البلاد والعباد .

الوزير أحمد سلامة رجل طيب القلب حسن النية ، فقد أعلن أمام مجلس الشعب فى الأسبوع الماضى أن مياه الشرب نظيفة ونقية ومثل زوجة قيصر فوق مستوى الشبهات ! وأعلن أيضا انه لا توجد حالة تسمم واحدة نتيجة مياه الشرب وأن

المستشفيات لم تبلغ عن حوادث من هذا النوع لا فى هذا الاسبوع ولا فى هذا الشهر ولا فى أى وقت على الاطلاق .

طيب ما رأى السيد الوزير أن العبد لله أصابه التسمم فى الأسبوع الماضى بعد أن شربت كوب مياه واحدا من مياه الحنفية . والغريب أن ابنى أكرم وهو شاب وصحفى وعاقل ورشيد أيضا نبهنى قبل أن أشرب أن المياه لها رائحة تشبه رائحة .... ولا مؤاخذة ! ولكنى لأنى من جيل الوزير أحمد سلامة ، ولأنى أيضا طيب القلب وحسن النية فقد نهرت ابنى أكرم باعتباره من الجيل الجديد الذى لايعجبه العجب ولا الصيام فى رجب . وبعد هذا الكوب من الماء رأيت الموت وجها لوجه وتعرفت عليه شخصيا ، انتابتنى حالة مثل حالة المصاب بالكوليرا وأشد .

والحق أقول إننى لم أذهب إلى مستشفى ، ولكن إتصلت تليفونيا بالطبيب الدكتور عبدالمعز وشرحت له الحالة فطمأننى بأن الحالة ليست خطيرة ، وأمرنى بالكف عن الشرب من مياه الحنفية ، وقال إنها تسبب حالات من هذا النوع وإنها منتشرة هذه الأيام وأنها تحمل ميكروبا لا يعيش إلا فى المجارى ، وهو ميكروب إسمه سلامونيا أو سلاميا أو شىء من هذا القبيل . وقال إن هذه الحالة منتشرة بشدة وإنه عالج منها هذا الاسبوع أكثر من عشر حالات !

هل لا يزال الدكتور أحمد سلامة مصرا على أن مياه الشرب نظيفة ونقية ومثل زوجة قيصر فوق مستوى الشبهات ؟ إذا كان لا يزال مصرا ، فقد ذكرنى بحكاية ظريفة رواها لى صديقى الحاج إبراهيم نافع وهو مزارع وصاحب عزبة فى المنصورية . فقد ذهب مرة لشراء سماد طبيعى من مخلفات البشر . لزوم تسميد أرضه الزراعية ، وسأل الحاجة صاحبة الشىء إياه عن سعر المتر فقالت الحاجة : مائة جنيه للمتر ، وقال الحاج إبراهيم للحاجة صاحبة الشىء إياه : مش السعر غالى شوية ياحاجة ؟ ووضعت الحاجة يدها تحت خدها فى هدوء وقالت فى صوت خافت : "خش إتفرج بنفسك ، إحنا بضاعتنا نضيفة " وإذا كان الوزير يقصد أن بضاعة الحنفية نضيفة بهذا الشكل ، فأنا موافق ومسرور ومسموم ..

أفنــــدم !!

على قهوة أنديانا !

خلال رحلة الحياة الطويلة وعلى طريق صاحبة الجلالة الصحافة تعرفت على عدد كبير من الملوك والزعماء والرؤساء والقادة . كان اول الملوك الذين التقيت بهم هو الملك محمد الخامس ملك المغرب بعد عودته مباشرة من منفاه .. واكتشفت خلال اللقاء ان الملك العربى كان يحلم ـ بداية ـ بوحدة من طنجة الى طبرق ، أو بوحدة الكسكسى والجلاب على حد تعبيره .. والكسكسى هو الطعام الشعبى للمغرب العربى كله ، والجلاب هو الزى القومى .

واكتشفت ايضا ان بينى وبين الملك هواية مشتركة هى الاستماع الى صوت الشيخ عبدالباسط عبدالصمد . وطفت تونس كلها مع الزعيم بورقيبة عقب خلع الباى . واعلان الجمهورية ورايت على الطبيعة كيف يكون الزعيم شعبيا . فهى فطرة لايمكن لاحد ان يصنعها او يصطنعها .

كانت فطرة فى سعد زغلول وفى مصطفى النحاس وفى جمال عبدالناصر ، وعرفت شكرى القوتلى وهو رئيس سوريا ، واحببته وصادقته ايضا . ونهانى بشدة عن اطلاق لفظ الكاميرا على آلة التصوير . ونبهنى الى ضرورة استخدام الاسم العربى الصحيح . وسألته : وماهو الاسم الصحيح للكاميرا ؟ قال : اسمها العكس . ليه ؟ لانها تعكس صورتك على الورق الحساس . وتعرفت على الرئيس بومدين خلال اشتعال الثورة فى جبال الجزائر ، وقضيت معه ليلة كاملة فى معسكر العربى بن مهيدى على الحدود المغربية الجزائرية ، وكان يحلم بجزائر جديدة وقوية وعربية !

وجلست على الارض مع الرجل العربى البسيط الشيخ زايد ، عندما لم يكن فى ابوظبى سوى السماء والارض ، وكان يحلم هو الاخر بدولة عامرة وفتية ومتحدة وممتدة من البحرين والى كالباء !

وتعرفت على اكرم الحورانى عندما كان الحاكم الحقيقى فى دمشق ، واعجبنى ذكاؤه وحماسه ، ومن شدة اعجابى به اطلقت اسمه على اسم ابنى الوحيد .. اكرم .

وكان هو الآخر يحلم بدولة قوية وعفية ومقتدرة ولايات عربية متحدة ومتماسكة .. من مراكش والى صنعاء ..

وعشرات غير هؤلاء تعرفت عليهم خلال رحلة الحياة الطويلة .. الملك فهد بتواضعه وبساطته وامين الحافظ رئيس سوريا الاسبق باستقامته وشجاعته . ونكروما باحلامه واحزانه واسماعيل الأزهرى بطيبته وسماحته وامير البحرين بروحه المرحة وذكائه الوقاد ومعمر القذافى بحيرته وقلقه . ومحمد احمد محجوب بفنه وثقافته ..

صدام حسين !

وفى بيت السفير المصرى عبدالعزيز اسحق فى القاهرة تعرفت على معظم زعماء افريقيا الذين نجحوا والذين فشلوا ، والذين ماتوا قبل ان يحققوا الحلم والذين افنوا العمر فى سبيل تحقيقه ، ثم عندما تحقق الحلم كان العمر قد ولى ! ورأيت جيفارا فى منزل صديق بالقاهرة ، واندهشت عندما رايته لقد كان يبدو فنانا اكثر منه قائدا للثورة .. وتعرفت فى بيت الفنان طوغان على رجل غريب من بلاد بعيدة كان يعيش فى القاهرة . رجل يدعى شيدى جاجان . وكان يكافح على بعد الوف الاميال لتحرير بلاده .. جامايكا .. وبالرغم من بعد المسافة وسوء الظروف والاحوال ، فقد نجح الرجل فى النهاية وعاد حاكما لبلاده ولكنه لم يلبث طويلا فى كرسى الحكم .. فسرعان ما انقضوا عليه وقضوا على نظامه .

وما اكثر الرجال المشاهير الذين التقيت بهم خلال رحلة الحياة الطويلة ولكن اغربهم كان شابا صغيرا يجلس صامتا على مقهى فى حى الدقى هو مقهى انديانا . كان اسمه صدام حسين ، ولكن الظروف لم تتح لى ان اتعرف عليه بما فيه الكفاية . فقد كان شاردا ومشغولا على الدوام وكان هو نفسه الذى ذكرنى بتلك الايام البعيدة وعندما سألته عن سبب صمته وشروده فى تلك الايام . قال : لاننى كنت أحلم وبماذا تحلم ياعم صدام ؟ بامة عربية قوية وعزيزة وكريمة ومقتدرة ـ لقد حدث عكسه تماما كما يحدث دائما للاحلام ـ يتذكر الان حلمه القديم وهو قابع فى مخبئه تحت الارض هاهى النار والنار من فوقه تاكل الكويت وتكاد تقضى على كل العراق وتمزق العالم العربى وتبعثره اشلاء فى الهواء !! وامجاد ياعرب امجاد ! ولكنها الحياة ، صعود وهبوط ، وتلال ووديان وقمم وسفوح وتمضى الايام والناس ايضا ، ولايبقى الا الكلمة الطيبة والعمل الصالح !

ليالى المنصورية !

لا اعرف اى سبب مقنع لتأجيل الجزء الرابع من مسلسل ليالى الحلمية ، وعرض مسلسل اخر بدلا منه فى رمضان القادم .. واعتقد انه مسلسل ليالى

الاسكندرية او ليالى المنصورية ، او ليالى الطرمسية . نسبة الى كفر طرمس .

يقول البعض ان المسلسل حساس ، لانه سيتعرض للمرحلة الحالية من حياة مصر ، ويتناول فترة الانفتاح وماصاحبها من انفشاخ ، ويتعقب الذى عبر والذى هبر ، والذى خرج من المولد .. ياMولايا كما خلقتنى ! واسأل بدورى حضرات السادة المسئولين عن مسلسلات التليفزيون .. وماله ؟ لنفرض انه سيتعرض لكل هذه الاشياء .. فما المانع ؟ وما الضرر ؟ ومهما كانت نبرة المسلسل فستكون شهادة حق لهذا النظام الذى نعيش فى ظله الان .. والسبب ان هذا النظام الذى يحكم مصر هذه الايام هو الذى وضع رشاد عثمان خلف القضبان ، وهو الذى قدم عصمت السادات لمحكمة القيم وهو الذى حبس دم محمد لطفى وطارد المرأة الفولاذية وقصم ظهر الفساد ، واطاح بالهبيشه والخطافة .. والذين فى ايديهم كلابات لزوم التقليب والتهليب .

لابأس اذن من عرض صور الفساد ولا جناح على من يتناول حياة الفاسدين حتى ولو كان بعضهم من كبار الموظفين او صغارهم . لانه لايوجد على ظهر الارض دولة واحدة كل الموظفين فيها من أولياء الله الصالحين .

وسر نجاح مسلسل ليالى الحلمية انها تناولت بالنقد والتجريح والتشريح شخصيات لها وجود فى حياتنا . الست الهانم الملعب ، والباشا الهجاص ، والعمدة الثعلب ، والفدائى الحقيقى والفدائى النصاب ، واستعرض المسلسل نماذج بشرية شتى ، بعضها تدحرج من فوق وبعضها تشعلق من تحت . وهذا هو سبب انتشار المسلسل وتعلق الجماهير به ومن تصاريف القدر ان اغلب مسلسلات التليفزيون وقصص الافلام ايضا تتناول حياة بشر لانعرفهم وشخصيات لم نقابلها من قبل ، وليس هناك احتمال بأننا سنقابلهم فى اى وقت ، وشخصيات هبلاء ، اذا احبت تحب على طريقة قيس وليلى ، واذا قاتلت تقاتل كما عنترة وكما ابوزيد الهلالى سلامة ، وتجد شخصا يقع فى دباديب واحدة ست معصعصة ، شفايفها فى حجم شفايف رتيبة حنفى . ولا تسألنى عن من تكون رتيبة حنفى لاننى لا أعرفها ، ولا اعتقد ان هناك احدا يعرفها فى اى مكان . المهم انه يفضل يحب ويواصل الحب ويستأنف الحب ، ويموت فى الحب ، وحتى ينتهى المسلسل او الفيلم دون ان تعرف .. ليه .. او ايه !

فتش عن الرقيب

والعبد لله يعتقد ان السبب المباشر لهذا الهرش مخ الدولى الذى نغص علينا حياتنا ونكد علينا عيشتنا هو إدارة الرقابة على المصنفات الفنية ، وهى إدارة تعيش فى عصر الخديوى عبدالسميع وهى تعتقد ان كل مستوظف حكومة مقدس

وكل صاحب مهنة محترمة هو آية من آيات الله . وهى تعترض على اى عمل فنى يتعرض لرجل الشرطة ـ اللهم الا عسكرى الدرك ـ باعتبار ان الشرطة فى خدمة الشعب . وممنوع على اى عمل فنى ان يتعرض لمحام . ليه ؟ لان المحامى هو نصير العدالة وخادم القانون . واذا تناول العمل الفنى احد رجال الصحافة ، هاجت الصحف وماجت وتدخل الرقيب على الفور .. لماذا ؟ لان الصحافة هى السلطة الرابعة ، وهى صاحبة الجلالة ، وكل العاملين فى بلاطها فى طيبة ابى موسى الاشعرى وفى ورع على بن أبى طالب ، وفى نزاهة عمر بن الخطاب .

اما اذا تناول العمل الفنى وزيرا أو وكيلا أو مديرا عاما فيا داهية دقى .. ليه ؟ لان هؤلاء جميعا مثل زوجة فرعون لها قصر فى الجنة ، ومثل زوجة قيصر فوق مستوى الشبهات .

ولذلك تدور اعمالنا الفنية فى مجالات ضيقة ، وهى لاتتناول بالنقد والتجريح إلا فئات معينة وهى غالبا مقهورة ومكسورة الجناح دائما .. مدرس غلبان ، موظف كحيتى ، ممرضة كحيانة ، ساعى بريد تعبان ، ومن هنا يأتى التكرار ويصيبنا الملل ، لان الشخصيات فى كل الاعمال الفنية واحدة ولاتتغير !

ولكن فى البلاد إياها الباب مفتوح على البهلى والكل عرضة للنقد وعرضة للتشريح .. لانه مادام الانسان قد تولى عملا عاما ، واتخذ لنفسه مكانا تحت الضوء وأمام الجميع ، فمن حق هؤلاء الذين تصدى ، لخدمتهم ان يتصدوا لنقده . حتى ولو كان النقد جارحا او قادحا او لايتفق مع اخلاق القرية .

وفى المسلسلات التليفزيونية فى البلاد اياها شاهدت اعمالا ابطالها رجل شرطة واعضاء فى المجالس النيابية ووزراء وقضاة ومحافظين ورجال دين . لانه فى تلك البلاد لا أحد له حصانة أمام الفن ، حتى القضاء والحكومة والشرطة !

والآن .. هل اجد عند احد من السادة العارفين ببواطن الامور سببا واحدا يقنعنى بتأجيل مسلسل ليالى الحلمية ؟ خصوصا وان هذا النظام الذى نعيش فى ظله لم يكن السبب فى الفساد الذى نعيش فيه ، كما انه لم يتورع عن مطاردة الفساد وضربه ، ثم ماذا يمكن ان يقوله المسلسل اكثر مما قالت الحكومة ؟ وهى التى قدمت الى محكمة الجنايات محافظا واكثر من رئيس مؤسسة واكثر من وكيل وزارة واكثر من رئيس حى .

يابتوع المسلسلات فى تليفزيون مصر ، افرجوا عن ليالى الحلمية ، لعل الله يرحمكم يوم الموقف العظيم .. قولوا انشا الله ..

آكـــــــورى أكـــــــوانى !

وأك سورى إكوانى على رأى اخواننا فى جنوب السودان . وسوف اشرح لحضراتكم معنى العبارة حتى تتفهموا ابعادها وتدركوا مغزاها وتتحسسوا مرماها وهو مرمى منيع امنع من الشبكة بالنسبة لكباتن النادى الاسماعيلى .

فأك بمعنى اخ فى لغتنا الدارجة ، وهى تعنى الاسف مع الحسرة مع الندم مع الغم واقول الغم ولا اقول الهم لان الغم - بعيد عن القراء - هو الاحساس بوكسة الماضى والبكاء على شىء حدث من قبل أما الهم فهو شعور ارقى من الغم لانه شعور بالقلق على المستقبل ، والخوف من هاجس يحيط بالاتى .

وسورى هى كلمة « Sorry » اسف » بلغة الانجليز وابناء العم سام وسكان استراليا واكوانى هى نفسها اخوانى بالبلدى الفصيح لولا ان جماعتنا فى جنوب السودان يقلبون الخاء كافا لغرض فى نفس يعقوب .

ولغرض فى نفس يعقوب واسحق وابراهيم ايضا ، ازفر أنا الأخر بهذه العبارة ليس حزنا ولا غما على الماضى فقط ، ولكن حزنا وهما على الحاضر والمستقبل أيضا .. فنحن العرب حكمة الله برعنا فى عملية الشجب بدرجة يحسدنا عليها اهل الارض جميعا كلما رزعتنا اسرائيل المزعومة علقة سخنة شجبنا العدوان الغادر ، وهناك عدوان غادر وعدوان طيب وعدوان لطيف وعدوان ابن ناس ! وعندما ذهب السادات الى القدس انهالت تصريحات الشجب من كل صوب وحدب ، واقبلت قوافل الشجوب - جمع شجب - من كل فج عميق ! وقتئذ كان العبد لله يقيم فى بغداد ، وكانت بغداد هى التى استنفرت العرب للوقوف فى وجه المبادرة الساداتية وضمنى تلك الليلة مجلس حضره اعضاء من الوفد السورى والوفد الأردنى والوفد الجزائرى وبعض الأخوة العراقيين وانا - حكمة الله - صريح كما اهبل فى زفة ، صافى النية كما عبيط فى قرية . ولما كان الحديث كله عن ضرورة حشد الامة العربية لشجب المبادرة الساداتية . وحشد الامة المصرية للاطاحة بانور السادات ، فقد انسحبت من لسانى وقلت للحاضرين ان شجب الدنيا كلها لن يفيد فى مواجهة هذا الأمر . وعندما سالونى عن البديل فى رأى العبد لله ، قلت ليس

هناك سوى بديل واحد ، هو ان تحتشد جيوش جبهة الصمود والتصدى وتهجم على دولة اسرائيل المزعومة ، وليس هناك سوى احتمالين ولهما نتيجة واحدة ان تهزم جيوش «الصمود والتصدى» دولة اسرائيل المزعومة او تنهزم جيوش «الصمود والتصدى» ، وتنتصر دولة اسرائيل المزعومة .

وفى الحالة الاولى ستسقط دولة اسرائيل وتذهب مبادرة السادات فى الكازوزة .. وفى الحالة الثانية ستنقلب الاحوال داخل مصر ، لأن جيش مصر البطل لن يقف مكتوبا اليدين وجيوش العرب تقاتل معركة المصير ضد العدو واقول الحق لحضراتكم . صوب الجميع نحوى نظرات غريبة ، ترجمت بعضها على اننى أبله ، وبعضها على انني حقير ، وبعضها على اننى ولد صغير لم يدرك حقائق الحياة بعد .

ولم انزعج على كل حال لهذه النظرات فقد اكون بالفعل تافه او أبله أو طفل صغير لم أدرك حقيقة الحياة بعد .. ولكن نظرة من هذه النظرات أزعجتنى بشدة وجعلتنى اتقلب فى فراشى كالمحموم طول الليل نظرة رمقنى بها كادر حزبى يبدأ كلامة دائما بكلمة واحدة لا تتغير هى كلمة «الواقع وفى الواقع فان الانسلاخ من جسم المجموع من اجل الحصول على تمايز طبقى هو فى الاصل وفى الواقع فان الشواشى العليا للبراجوازية تهدف اولا .. وفى الواقع فان الحنجورى على قفا الشفق من اجل .

وفى الواقع الى اخر هذا الكلام الهرش مخ والذى حتما ولابد يبدأ دائما بكلمة «فى الواقع» كانت نظرة الاخ الحزبى اياه تعنى بصريح العبارة اننى جاسوس ! وبالرغم من اننى اهبل وتافه وعبيط وطفل ولا ادرك حقائق الحياة بعد فقد كان تفسيرى لنظرة الاخ اياه صوابا فى صواب وهو نفسه الذى تولى تفسير الأمر للعبد لله بعد تلك الليلة بعام كامل فالدعوة الى حشد جيوش العرب من اجل معركة ضد اسرائيل هى فى الواقع دعوة لصالح اسرائيل أليه ؟

لأن دول الصمود والتصدى مهمتها الصمود فقط داخل ارضها والتصدى فقط للعرب الذين يتصلون باسرائيل المزعومة اما الدعوة للحرب فى غير الوقت المناسب وفى غير المكان المناسب ، فهى مؤامرة لتحطيم قوة العرب وتسليم رقاب العرب لاسرائيل ولذلك . فمن واجب «الثوريين» العرب ان يحتشدوا للشجب ، وعليهم مواصلة الشجب ، والاصرار على الشجب حتى يصبح الوقت مناسبا للمعركة والمكان ايضا ، مع التاكيد على ان المعركة لن تنشب الا بمصر وبجيش مصر لانه لا معركة بغيرها ولا حرب وجيش مصر بعيد عن الميدان ، بعد هذه الجلسة بأيام حضرت ندوة للسيد عبد الحليم خدام فى لندن ، وكان وقتئذ يشغل منصب وزير الخارجية السورية ، وكان يحضر الندوة معنا زعيم حزب الكهرباء وهو احد خدم الزعيم الراحل جمال عبد الناصر وعندما مات الزعيم كان الخادم اياه لا يملك سوى

مرتبه . ولكنه بعد رحلة «كفاح» خارج مصر .. وبعد تأسيس حزب الكهرباء صار من مليونيرات هذا الزمان . وهو يعيش الان خارج مصر وبالكفاح امتلك شقة ثمنها مليون دورلار فى لندن ، ويمتلك شركة لمد اسلاك الكهرباء فى بلد عربى ويقود حزبا لتحرير الامة العربية من الخليج الى المحيط . فى اثناء الندوة قلت للسيد عبد الحليم خدام : «اننا نعتمد عليكم فى احراج نظام السادات بشن الحرب ضد اسرائيل» ، وابتسم عبد الحليم خدام واشار الى رئيس حزب الكهرباء وقال «ونحن نعتمد على رئيس حزب الكهرباء للاطاحة بالنظام الساداتى» ولم يكن عبد الحليم خدام يجهل حقيقة الزعيم الكهربائى او حزبه ، ولكنها كانت فرصة لالقاء تبعة تحرير مصر على عاتق الزعيم الكهربائى باعتبار ان خدام ونظامه الطيب ليس من طبعه التدخل فى شئون الاخرين ! وصرت ثوريا على الطراز العربى أشجب كلما سنحت فرصة ، واحيانا أشجب بدون مناسبة واحيانا أخرى أشجب على روحى من شدة ايمانى بالشجب ! شجبت غزو اسرائيل لبيروت ، وشجبت غارة اسرائيل على تونس ، وشجبت خطف الطائرة المصرية ، وشجبت خطف الطائرة الليبية ، وشجبت الغارة الامريكية على ليبيا ، وشجبت استخدام الفيتو الأمريكى لصالح اسرائيل .

وشجبت اضطهاد الفرق العربية فى كأس الامم الافريقية ولكن الذى يغيظنى بشدة هو اننى كلما شَجبت اكتشفت اننى لا أزال مجرد تلميذ فى مدرسة الشجب العربية . فبعض زعماء العرب ـ قواهم الله ـ يستخدمون عقاقير لتقوية الشجب ، وبعضهم متعة الله بالصحة ـ يشجب ثلاث مرات على الاقل فى الليلة الواحدة ، وبعضهم قادر على الشجب المتواصل حتى الصباح وصار الشجب هو اعظم بضاعة تنتجها امة العرب . والحمد لله لان اسرائيل المزعومة حفيت قدماها من اجل استيراد شحنة واحدة ولكنها فشلت حتى الان ، واعتقد ان يقظتنا ووحدتنا اللى ما يغلبها غلاب قادرة على افشال المسعى الاسرائيلى للسيطرة على اسواق الشجب ! والدليل على اننا ملوك الشجب هو ما حدث اخيرا بعد لقاء بيريز والملك الحسن فقد شجب العقيد القذافى هذا اللقاء بشدة واخذ يشجب ثم يشجب ثم يشجب لدرجة ان الرئيس حافظ الاسد لم يجد ما يشجب به فقطع العلاقات وشجب بشدة ايضا منظمة امل وعلى دربها سارت منظمة حنان ومنظمة سعاد ومنظمة ريهام ومنظمة اشجان وغرق العالم العربى فى معزوفة شجب من مقام البياتى والصبا والنهاوند . وسارع العقيد القذافى الذى هو فى وحدة مع المغرب الى عرض الوحدة الاندماجية مع الجزائر ، ثم عرضها على الجمهورية الصحراوية (البوليساريو) ثم شجب العرب جميعا وعرض الوحدة على دولة «بوركينافاسو» باعتبار ان دولة فاسو هى الوحيدة التى تحرص على مقررات قمة فاس ! وشجب اللقاء ايضا الزعيم ابو نضال وبعد ان شجب ثم شجب ثم شجب بالثلاثة اقسم براس سيدى المشجوب انه سيقتل كل من له علاقة بهذا اللقاء ، حتى الذين يشجبونه لان شجب اللقاء كاستحسانه .. وهو دليل على الاعتراف به ، وهى

جريمة يستحق مرتكبها الاعدام ، وشجب ايضا كل الاباء الطيبين ، ابو مطوة ، وابو مدفع ، وابو ميزر ، وابو طيارة ، وابو غواصة ، وابو دبابة ، وابو قضية ، وابو نكبة ، وابو كوارث ، وابو رجل مسلوخة ، وابو شجبان ! وبالطبع ستنتهى زويعة الشجوب بالفصحى . والشجويات بالبلدى ؟ وينفض المولد فى انتظار مناسبة اخرى لاستعراض المشجوبات العربية ، خصوصا ان هناك اصنافا جديدة من الشجب وارد بلاد بره ، وهى المعدل والمحسن كما ان هناك شجب خنزيرة وشجب تمساحة وشجب حلوفة وهى اخر صيحة فى صناعة الشجبات !! واغرب شىء اننى عدت الى لسان العرب المحيط لعمنا ابن منظور لاعرف معنى الشجب بالتحديد واكتشفت عجبا ، فالشجب يشجب فهو شاجب ، وشجب بمعنى حزن ، وهلك ، شجبه الله اى اهلكه . وفى الحديث الناس ثلاثة : شاجب ، وغانم ، وسالم ، فالشاجب الذى يتكلم بالردىء ، وقيل الناطق بالخنا ، والمعين على الظلم ، والغانم الذى يتكلم بالخير ، والسالم - الساكت ! وفى التهذيب قال : ابو عبيد : الشاجب هو الهالك الاثم ، وامرأة شجوب اى امرأة ذات هم ، والشجب العنت يصيب الانسان من مرض او قتال . وشجب الغراب نعق بالبين ، والمشجب هو الشماعة ، وبنو الشجب قبيلة من بنى كلب !! وأتساءل الان كيف وصل بنى شجب الجدد الى هذا المعنى الجديد للشجب ؟ حتى لغتكم يا ابناء الشجب أصبح لها معنى اخر غير الذى قصده الاجداد . ويبدو اننا فى حاجة الى مراجعة للغة المستعملة الان لنصل الى سبب الوجيعة وسر الخيبة التى نعانى منها هذه الايام نقول الصمود ونعنى الصموت «جمع صمت» نقول التصدى ونمارس التردى فى واقع الحال . نعلن اللاءات فى المؤتمرات وفى الممارسة تتحول اللا ءات الى نعمات ، او نعامات ونكتفى باخفاء رؤسنا فى الرمال ! نرفع شعار «امة واحدة ذات رسالة خالدة» ، ثم نتحالف مع الغريب ضد جزء من الامة التى هى واحدة وذات رسالة خالدة !! نقسم على التحرير من النهر الى البحر !! ثم نشرب من النهر مرة ومن البحر مرة ونعكف على التحرير فى جرائد مأجورة وصحف معروضة صفحاتها فى المزاد ! نرفع شعار البندقية وغصن الزيتون ، ثم نجعل غصن الزيتون من نصيب العدو والبندقية نصوبها الى قلب صحفى يكتب رأيه او سياسى يبذل جهده فى مجال الممكن والمتاح ! ونبتز الدول الغنية من اجل المعركة ، ثم نكتشف ان المعركة فى بيروت وليست فى تل ابيب ! وليس هناك تفسير لهذا كله إلا اننا نجهل لغتنا العربية ولا ندرك بالضبط معنى الكلمات . . وما احوجنا الان الى منظمة جديدة وليكن اسمها سيبوية وقائد من خريجى كلية اللغة العربية وليكن اسمه الحركى «ابو قاموس» وما كان اغنانا عن هذا كله ، لو هجمت جيوش سوريا ومعها فيالق ابو نضال وابو الزعيم وابو الغيط على اسرائيل ! وما كان اغنانا عن هذا الموقف المتردى لو اغارت اسراب الجو الليبية على الأرض الاسرائيلية وحطمت طائرات العدو وهى جاثمة على الأرض ، وقطعت خطوط مواصلاته ودمرت منشاته الاقتصادية و ما كان اغنانا

عن هذا الموقف العصيب لو ان أبو نضال أو أبو كفاح أو أبو قتال صوب مدفعه الرشاش الى قلب شامير أو شارون بدلا من قتل سليم اللوزى ورياض طه ومحاولة قتل احمد الجار الله لو حدث هذا او شيء من هذا لما كان هناك مبادرة ولا كان هناك اجتماع قمة بين مسئول عربي ورئيس وزراء العدو ! لانه في العلاقات بين الدول بعضها وبعض ، أما ان تحارب عدوك وأما ان تحاور عدوك ، ولم يذكر التاريخ لنا مثالا واحدا عن حروب الشجب ! ولكن يبدو ان السادة الافاضل قادة جيوش الشجب يفهمون لغة العرب اكثر مما يفهمها العبد لله وهو على حق باعتبار ان بنى يشجب هى قبيلة من بنى كلب ، وما الشجب الا مجرد «هوهوة» فى وجه العدو.. وهو اما يخاف ويهرب واما يضرب بنى كلب علقة سخنة كلما سنحت فرصة فنعود الى «هوهوة» اشد ! وختاما استنكر كل حرف جاء فى هذا المقال حتى لا يتعقبنى بنى كلاب وحتى لا يفرغ رصاص مدفعه فى قلبى الرفيق ابو زلومة أو الرفيق أبو قردان !!

يا عــمــال العــالم
« بــاى بــاى »

كان الله فى عون الرفاق الاوربيين فقد طلع نقبهم على شونة ، وانتهت احلامهم الى كوابيس وما تصوروه بأنها الجنة اتضح بانه شيء عادى مثل كل شيء على ظهر الارض ، وانه طريق آخر من طرق المعايش يمكن ان يؤدى إلى السلامة أو الندامة أو إلى حيث اللى يروح مايرجعش !

والعبد لله يعلم اننى بهذا الموضوع الشائك ساجر على نفسى المشاكل وساتهم من الرفاق المتطرفين بانى عميل امبريالى ، أما المعتدلين منهم فسيجزمون باننى مخبر نشيط فى المخابرات المركزية الامريكية ، أما الطيبين منهم فسيقولون هذا مجرد برجوازى صغير لم يستطع الصمود فاستسلم . ولكى اسهل الامر على الجميع اعترف لكم باننى عميل امبريالى كومبرادورى ، واننى مخبر مركزى ومربوط على درجة شاويش ، واننى برجوازى صغير وحقير ايضا ، وكل ما أرجوه ان يجيب الرفاق المصريين والعرب على سؤال واحد بسيط مع احترامى لهم واعترافى بانهم من أكثر الرفاق تضحية ومن اشدهم اخلاصا ، ما رأيكم ايها الرفاق دام فضلكم فيما يجرى الآن فى انحاء الكتلة الشرقية ؟ ولماذا يهرب الناس من هناك كما يهرب المسجون من زنزانته ؟ والاكادة ان كل الهاربين من طبقة البروليتاريا عمال وفلاحين وصغار موظفين ، شابات فى عمر الورد ، وشبان فى قوة تايسون ، وكلهم تحت الثلاثين ، اى انهم ولدوا ونشأوا وتربوا وتعلموا فى ظل النظام الثورى التقدمى الاشتراكى ، وليس من بينهم أحد له علاقة بالعهد (البائد) ولا أحد منهم من اصحاب الطين أو من رجال الاعمال الذين اضيرت مصالحهم .

اين جنة العمال التى كانوا يبشرون بها ؟ اين قلعة الطبقة العاملة ؟ واين شعار ياعمال العالم اتحدوا ، وهل كان المقصود ان يتحدوا للفرار من جنة العمال والهجرة الى جهنم الراسمالية والامبريالية والكمبورادورية ! لقد سألت بعض السادة المناضلين فى لندن وجينيف وباريس فأجابوا بان مايحدث الآن فى العالم الاشتراكى هى مؤامرة مدبرة من جانب المخابرات الامريكية . فهل تستطيع

المخابرات الامريكية أو المخابرات البلجيكية تجنيد الملايين ؟ وإذا استطاعت فهل تنجح في حقنهم بكل هذه الطاقة من الحماس ، وشحن قلوبهم بكل هذا الكم من الحقد ؟ وهل في استطاعه أي مخابرات على وجه الارض تجنيد شعب باكمله ؟ ان شعب بولندا ثار بأجمعه ضد الحزب الشيوعي واختار حكومة ليبرالية ، فهل هذا الاختيار من تدبير المخابرات الامريكية المركزية ؟ واذا كان الجواب بالايجاب ، فالمخابرات الامريكية على حق لان (امتى لاتجمع على ضلالة) ولايمكن ان تتحد كلمة شعب نتيجة تحريض من مخبر امريكى ، أو رشوة يدفعها بنك تشيس منهاتن . ولكن مايحدث الآن هو بالتأكيد نتيجة خلل في النظام الاشتراكي . لانه من المستحيل أن يثور شعب على نظامه بعد نحو نصف قرن خصوصا إذا كان النظام هو نظام العسل واللبن والسمن ، لابد أن الناس اكتشفت بعد نصف قرن ان المسألة كلها مجرد شعارات ، فاذا جاعوا قالوا لهم الخبز للجميع . وإذا صاعوا قالوا لهم العمل حق ، وإذا اشتاقوا إلى رحلة خارج الحدود قالوا لهم انتظروا حتى تنتصر الطبقة العاملة في انحاء الكرة الأرضية وعندئذ تصبح السياحة فرض على كل مواطن وبأقل التكاليف .

لقد كفر الناس بطوابير الخبز واللحم وطوابير السجائر ، أما طابور السيارات فهو لايقاس بالأمتار ولكن بالاعوام وبعض المواطنين ينتظرون للحصول على سيارة بعد قرن . والعبد لله لم يتشرف بزيارة أى دولة من الدول اياها عدا المانيا الشرقية وقد زرتها مع المرحوم الاستاذ حسن فؤاد والكاتب الكبير الاستاذ فيليب جلاب ، وهما ماركسيان نادران ويؤمنان بأن الوطنية هي أعلى مراحل الماركسية . وكنا معا في سيارة رفيق مصرى قديم يقيم في برلين الشرقية حين صرخت زوجته صرخة ولا صرخة هند زوجة أبى سفيان بعد معركة بدر . وضغط زوجها على الفرامل بطريقة كادت تؤدى إلى انقلاب السيارة ثم فتحت زوجته الباب وانطلقت باقصى سرعة ، وتصورت أنها رأت طفلها يعبر الشارع وسط زحام السيارات ثم اكتشفت ان عينها وقعت على خيار في دكان الفكهاني وكان قد مضى عليها سنوات طويلة لم تر شكل الخيار حتى اقتنعت انها لن تراه الا يوم القيامة على فرض انها ستكون من اهل الجنة !

واذكر ان العبد لله روى القصة امام رواد قهوة ايزافيتش القديمة في ميدان التحرير ، وكانوا شلة من الرفاق لهم جميعا شوارب ، الخالق الناطق شارب الرفيق ستالين وكانت السياسة مهنتهم والثقافة هوايتهم والنضال هو لعبتهم في اوقات الفراغ ! وقال احدهم معلقا على ماورويته واصفا زوجة صديقى بانها مجرد امراة برجوازية تافهة ! ولم ادرك حتى هذه اللحظة علاقة التفاهة بالطماطم والخيار . أما اذا كانت هناك علاقة فما اتفه الرفيق اياه الذى حكم بتفاهة زوجة الرفيق المصرى ، لأنه هو نفسه كان يبدو كالمجنون اذا اكتشف ان طبقه المفضل (عيش السرايا) قد اختفى من قهوة ايزافتش .

وما أتفه العبد لله ايضا لانني كنت على استعداد وانا نزيل سجن الواحات الخارجة ان ادفع خمس سنوات من عمرى مقابل ثمرة واحدة من الجوافة ، وادفع نصف عمرى مقابل طبق طرشي من معمل الحاج عبدالنبى الجيزاوى يرحمه الله !
ثم ماقيمة النظريات فى هذه الحياة إذا لم تستطع توفير الخيار والجوافة والطرشي ؟ وهل سياكل الناس بيانات وتحليلات وعبارات من نوع المد الثورى والزخم الشعبى والالتحام الجماهيرى والشحطبور الديناميكى لو ان هذه العبارات تطعم الناس لهاجر الجميع من اوطانهم الى هناك ولكن الذى حدث هو هجرة الناس من هناك وفرارهم الى غير وجهة وإلى غير مكان دليل على ان الشعب قد يخدع بالشعارات بعض الوقت . وقد تقتنع الجماهير بما يقال لهم فى الندوات وفى الاذاعات بعض الوقت ، ولكنها تنتفض ثائرة إذا اكتشفت ان الأمر مجرد رغى ولفلطة وكلام . والحمد لله لأن الرفاق العرب المخدوعين لم يشهدوا باعينهم منظر المهاجرين وهم يرقصون طربا لحظة خروجهم الى الحدود النمساوية الفرحة تغمرهم والسعادة تطفح من وجوه الجميع .

مساكين الرفاق العرب والرفاق المصريين المخدوعين فقد طلع نقبهم على شونة . واقول الرفاق العرب المخدوعين لأن بعضهم لم ينخدع على الاطلاق . على رأس هؤلاء الدكتور اسماعيل صبرى عبدالله . وهو احد المصريين الاقتصاديين القلائل الذين يستطيعون حل مشاكل كثيرة فى بلادنا لو منحوا الفرصة وتمكنوا من تطبيق علمهم على ارض الواقع . وهو مناضل ماركسى ثورى قديم عانى الاهوال وتعرض للتعذيب ولكنه لم يستسلم .. ووصل الى مركز الوزارة ولكنه لم يتغير . ولو اراد الدكتور اسماعيل صبرى عبدالله أن يصبح مليونيرا أو بنكيرا لكان له ما أراد .
الدكتور اسماعيل صبرى عبدالله تنبأ فى ندوة مجلة « المصور » بأن الاحزاب الشيوعية ستسقط فى دول أوربا الشرقية ، لأن الجيش الأحمر هو الذى فرضها على الناس ولم يلتف الناس حولها عن اقتناع .

وما تنبأ به الدكتور اسماعيل صبرى عبدالله بدأ يتحقق الآن . وعلى حدود المجر فى هذه اللحظة عشرات الالوف من المواطنين من ألمانيا الشرقية يستعدون للفرار إلى النمسا ومنها الى دول الغرب . البعض منهم تمكن من عبور الحدود بعد ان حصلوا على جوازات سفر من المانيا الغربية ، أما الذين مازالوا ينتظرون عند الحدود فهم سعداء بالرغم من انهم يسكنون الخيام ويأكلون الاطعمة الجافة ويعانون من البرد الشديد ، ولكنهم مصرون على اجتياز الحدود أو الموت عندها ، بينما يزحف على الطرق المؤدية إلى الحدود النمساوية مئات الالوف تركوا وراءهم كل شيء وخرجوا بهدومهم يتطلعون إلى حياة جديدة فى اوربا الغربية . وتليفزيونات العالم تذيع فى أنحاء الدنيا صور المهاجرين فى طوابير من جنة الدول الاشتراكية إلى نار الدول الغربية . والجميع يصفون الهجرة الجديدة بأنها اكبر هجرة فى تاريخ اوربا منذ الحرب الأخيرة .

والذى دفع العبد لله الى كتابة هذه السطور هى حالة الهستيريا التى سيطر على الذين تمكنوا من الفرار ووصلوا بالفعل إلى الأراضى النمساوية . لا اعتقد ان هناك فرحة تعادل فرحة هؤلاء الا فرحة مسجون تمكن من الهرب بسلام من زنزانته فى ليمان أبى زعبل . شاب فى حجم محمد على كلاى وقف امام الكاميرا يبكى وبقه مفتوح على طريقة المرحوم اسماعيل يس . وراح يردد كالمذهول عبارة واحدة . انا حر ، انا حر ! وبنت فى عمر الزهرة ، بيضاء كالقشطة ، حلوة كالمهلبية ، لم تستطع التعبير عن فرحتها فخلعت ملابسها وانطلقت تعدو أمام الكاميرا فى حالة جنون حقيقى خرج بالبنت الالمانية عن الشعور وعن الوعى . والآن ، ما الذى سوف تفعله التنظيمات الماركسية والاحزاب الشيوعية فى البلاد العربية ؟ هل ستستمر فى النضال وتعرض كوادرها للسجن والنفى وللاعدام ايضا ؟ من اجل تجنيد الانصار لاقامة النظام الاشتراكى الذى سيهرب منه الناس بعد نصف قرن !

اعتقد ان التجربة فشلت ، ولابد من اعادة البناء واعادة النظر ، وعلى الرفاق الآن ان يعيدوا النظر ، وان يراجعوا الأوراق . بعد ان ثبت بالدليل القاطع انه لم تخلق بعد النظرية الصحيحة على طوال الخط ، وان الاشتراكية الماركسية اللينينية - مثل غيرها فى الافكار - حاولت بقدر ما استطاعت ، واخذت فرصتها على الآخر ، حتى جاء جورباتشوف فاعلن ان النظرية تحتاج إلى مراجعة ، والأسلوب يحتاج الى تعديل . وكانت الخاتمة هى حركة الشعب فى المانيا الشرقية الذى انطلق منه عشرات الألوف وبأقصى سرعة هاربين من الجنة الموعودة إلى ارض المشاكل والمعاناة !!

وعليه العوض ومنه العوض عشرات السنين التى انفقها الرفاق فى النضال ، تجرعوا المر خلالها بين السجن والمنفى والنزول تحت الأرض حيث الجوع والخوف والظلام ورحمة الله على روح عمنا شعبان حافظ الذى مات فى سجن الواحات وهو فى الخامسة والسبعين من عمره ، وكان حلمه الوحيد ان يمتد به العمر حتى يرى دولة الفلاحين والعمال . لقد كان الرجل طيبا بلاشك لأنه مات قبل ان يرى بعينى رأسه تفكك دولة البروليتاريا وهروب الرفاق منها ، كما يهرب الأصحاء من مستعمرة للجذام !

اما شعار ياعمال العالم اتحدوا ! ، فقد تحول إلى ياعمال العالم استعدوا للفرار ، وليأخذ كل منكم ذيله فى اسنانه ويافكيك . وهات ياجرى بأقصى سرعة هروبا من الجنة الموعودة إلى حيث لاوجهة ولا مكان . وعند الحدود أرفعوا ايديكم وياجنة العمال .. باى باى !!

الكورة والعورة !

إنهالت على العبد لله خطابات القراء من كل صوب وحدب ـ وعلى رأى الشيخ طاهر ـ بسبب جمالى عن الشورت الشرعى . وقال فقهاء آخر الزمان (الا تعرف ايها الجاهل والامى ـ الذى هو حضرتنا ـ ان عورة الرجل من منتصف البطن حتى الركبة ؟) والمسألة التى يجهلها حضرات الفضيلة اياهم اننى اعرف عورة الرجل ومن اين تبدأ وإلى اين تنتهى ، ولكن المشكلة هى أننا لا نتصدر إلا فى الهايفة ، ولا نتوقف إلا عند الفارغة ، ولا نهتم إلا بالخرابيط !

وخطابات القراء التى نزلت ترف على العبد لله توحى بأن القيامة قامت ، وأن الدنيا تبعثرت وأن الجبال تناثرت . وان العالم على شفا حفرة من النار ، ليه ؟ لأن العبد لله تجرأ وتجاسر وهاجم الشورت الشرعى ! يا سخطة ! أهذا هو الموضوع ؟! من أجل هذا تحررت كل هذه الخطابات ، وانشغل سعاة البريد ، وازدحمت مكاتب البوستة من سيوط وإلى أمبوط ؟!

اكل البلاد أن تطلوا شواربكم على رأى سيدى وتاج راسى عمنا الشاعر المتنبى ؛ وقول هام لـ على رأى ستى بهانة يرحمها الله ـ لا يوجد شيء اسمه الشورت الشرعى والشورت الآخر الذى لا تنطبق عليه تعاليم السماء . ولكن هناك شورت طويل وشورت قصير ، واحتجاجى كان منصبا على وصف الحكم الدولى «محمد حسام الدين» للشورت الطويل بأنه الشورت الشرعى ! خصوصا أنه كان يتحدث فى التليفزيون وبلهجة ولا لهجة مفتى الديار المصرية الذى من حقه فرز الشورتات الشرعية من الشورتات التى ليست على دين الاسلام !

ثم تعالوا نتفاهم معا ، بدون شتائم ولا اتهامات ، اللاعب الذى يرتدى أى شورت نتفرج عليه غالبا فى التليفزيون بيننا وبينه اكثر من نصف كيلو متر . والعبد لله ـ سواء فى التليفزيون او فى الملعب ـ يتفرج على الكورة ، ولكن يبدو ان بعض المتفرجين يتفرجون على العورة !

وفى المباريات نحن نتابع الكورة فى اقدام اللاعبين ، واحيانا نلعب معهم

فترفس المقعد او الترابيزة او الحائط اما العورة (التى هى من السرة الى الركبة) فلا اعتقد انها موضع اهتمام احد إلا السادة الذين اشتغلوا بالافتاء فى اخر الزمان .

الكارثة الكبرى ان اغلب الذين ارسلوا خطابات الاحتجاج دكاترة ومهندسين وطلبة فى الجامعة ، وطالبة أرسلت للعبد لله تعاتبنى لاننى تركت الكتابة فى أمور (الشقاوة) الشقاوة ، وتفرغت لنقد الدين ! نقد الدين حتة واحدة !؟ وما علاقة الدين بالشورت الذى يرتديه لاعب كرة القدم ؟ وما علاقة الاسلام بكل هذه الخزعبلات التى انشغلنا بها وانشغل بها الشباب فى هذه الايام ؟

رحم الله أيام زمان عندما كان الاسلام فى عزه وفى مجده . بعد معركة القادسية ارسل «سعد بن ابى وقاص» الى الخليفة فى المدينة يسأله الرأى : من احق الناس بالحصول على ما تبقى من الغنائم ، هل هم حملة السيوف ام هم حفظة القرآن ؟

وجاء جواب الخليفة : وزعها على حملة السيوف ! الله الله يا خليفة المسلمين ويا اكبر رأس فى دولة الاسلام . ومن مثلك يعرف حقيقة الدين ؟

هؤلاء ـ حملة السيوف ـ هم جنود الاسلام وهم مشاعله الحقيقية . وهؤلاء هم المجاهدون الحقيقيون . والجهاد الصحيح أن تكسر عدوا من اعداء الاسلام ، او تكسب ارضا للاسلام ، أو تضم مؤمنين جددا فى صف الاسلام . هذا هو الجهاد الصحيح ، اما طول الثوب وما يظهر من وجه المرأة ، وما ينكشف من شورت اللاعب . فلم يكن من اهتمامات المسلمين الاوائل . كانوا مشغولين برايه يرفعونها من اجل الاسلام ، أو سيفا يشهرونه باسم الاسلام ضد اعداء الاسلام ، او غزوة ينضمون اليها فى سبيل الله . ولكن المسلمين فى عصور الانحطاط ينشغلون ـ للاسف الشديد ـ بالتافة من الأمور والهابط من الخلاف .

وبعد كسرة سلطان مصر المعظم «قنصوة الغورى» فى حلب ، ثم كسرة السلطان «طومان باى» على ابواب القاهرة ، وسقوط مصر فى قبضة «السلطان سليم بن عثمان» وبعد ان تحولت مصر من امبراطورية الى نيابة سلطنة وخضعت لسلطان الاتراك ، انشغل الناس وعلى مدىٰ عامين فى مسألة غاية فى الهيافة والانحطاط ، والذى حدث ان زوجا ضبط زوجته مع عشيقها فى حالة زنا ، واعترف الزانى والزانية فسيقا معا الى قاضى القضاة . وأما كبير القضاة فقد أقر بوقوع جريمة الزنا ، فأمر بتجريسهما فى المدينة ، فاركبوهما حمارين بالمقلوب وسار امامهما رجل بجرس كبير ينادى فى الاسواق ويسرد على الناس تفاصيل فعلتهما المهببة . وبعد ان انتهت الجرسة وعاد موكب الزانيين الى دار القاضى ، اعاد كبير القضاة استجوابهما للمرة الثالثة ، فانكرا ما نسب اليهما ، فامر بالافراج عنهما على الفور ، وتغريم كل منهما مائة دينار . أما الزانى فقد دفع المبلغ وعاد الى بيته فى المساء ، أما الزانية فاعتذرت عن الدفع ، فأمر القاضى باحضار زوجها وطالبه

بتسديد قيمة الغرامة ! ولكن الزوج رفض ان يدفع وصاح فى وجه القاضى : زوجتى تزنى وأنا أدفع الغرامة ؟! وعندئذ أمر القاضى باخلاء سبيل الزوجة ، وحبس الزوج حتى يقوم بتسديد المائة دينار . ونجح ابن الزوج فى الصعود الى القلعة ومقابلة نائب السلطان ، فاندهش النائب غاية الاندهاش وأمر باحضار قاضى القضاة وعندما سأله عن حقيقة الامر أيد القاضى ما جاء فى شكوى الابن ! فسأله نائب السلطان : وكيف تفرج عن الزانى والزانية وتأمر بحبس الزوج ؟ فأجابه القاضى : هذا هو الشرع !! وكان قاضى القضاة صادقا ، لان حد الزنا لا يقام إلا بعد استجواب يطرح خلاله السؤال ثلاث مرات على مرتكبى الجريمة . فاذا انكر الفاعل فى أى مرة من المرات الثلاث وجب اخلاء سبيله وعدم اقامة الحد ! ولكن نائب السلطان كان روميا ، ولم يكن محيطا باحكام الشريعة ، فاصدر امره بالافراج عن الزوج واعادة القبض على الزوجة وعشيقها ، واستدعى مشايخ المذاهب الاربعة بما فيهم قاضى القضاة وسألهم رأيهم فيما جرى ، فأجابوه جميعا : هذا هو الشرع . فهاج النائب وصرخ فى وجوههم : أى شرع هذا ؟ ثم نظر الى قاضى القضاة وقال له متهكما :

ارجو أن تعود الى منزلك الآن فتجد زوجتك فى احضان رجل اخر . ورد الشيخ العجوز :

نسأل الله الا يحيينا الى هذا اليوم ، وقبل ان يخرج المشايخ من حضرة النائب كان نائب السلطان قد اصدر امره بطردهم من مناصبهم ، وقام بتعيين غيرهم ، ثم أصدر فى اليوم التالى فرمانا بالا يدخل عليه احد منهم ، وأن يقبض على كل شيخ يشاهد فى الطريق بعد المغرب . وانشغلت مصر كلها بالحادثة ، وانقسم الناس حول القضية ، بعضهم يؤيد المشايخ ، وبعضهم يؤيد نائب السلطان . وتأسست فى مصر جمعيات سرية ، بعضها كان يهدف الى اغتيال نائب السلطان ، وبعد مرور عامين حسم نائب السلطان القضية ، فأمر بشنق الزانى والزانية ، وحكم بضرب المشايخ الاربعة علقة ساخنة بالفلقة ، وخرج الاربعة بعد العلقة من القلعة الى المنفى . احدهم الى «نواج» والاخر الى «البرارى» والثالث الى «دراو» أما قاضى القضاة فقد خرج من القلعة منفيا الى الواح (الواحات) وهكذا اسدل الستار على أسخف قصة فى تاريخ مصر الوسيط ، ولكن وقوعها فى ذلك العصر كان ضروريا بعد ان تحولت مصر من امبراطورية الى نيابة سلطنة ولم يكن ممكنا ظهور مثلها ايام «السلطان قطز» وفى عصر الملك الظاهر بيبرس ، وفى ايام السلطان برقوق وابنه السلطان فرج لانه لا وجود لهذه القصص الهايفة فى زمن الانجازات العظيمة والانتصارات الباهرة . ولكن فى ايام الانكسار ينشغل الناس بطول الذقن ، وعرض الزبيبة على الجبهة ، وطول ثوب المرأة ، ومواصفات شورت اللاعب ، ويستفتى الناس مشايخهم فى أمور من عينه :

هل الكلام فى التليفون حلال أم حرام !
وهل مشاهدة السينما من الكبائر ؟
وهل يدخل النار من ياكل المربى فى الصباح ؟
واذا كان الجزاء من جنس العمل ، فالمشاكل أيضا من جنس الحال ! عندما يكون المسلمون فى خير يتساءلون : هل الغنائم لحملة السيوف أم لحفظة القرآن ؟ وعندما يكون المسلمون فى غم يتساءلون : هل لحس التراب يؤدى الى الافطار ؟ ايام مجد المسلمين طلب البعض محاكمة خالد بن الوليد لانه قتل اسيرا لكى يتمكن من عقد قرانه على زوجته واستدعاه ابو بكر الصديق واستفسر منه عما حدث ونفى خالد ما نسب اليه . فاشار عليه بالسير على بركة الله بجيش المسلمين الى الشام . وعندما احتج البعض على السماح لخالد بالسير الى بر الشام على رأس الجيش قال ابو بكر : والله ما اغمد سيفا سله الله على اعدائه !

الله اكبر يا خليفة رسول الله وصديقه ، لو كنت معنا اليوم لطالبك السادة الذين اشتغلوا بالافتاء فى غفلة من الاسلام بنتف لحيته وتعليقه على شجرة فى ميدان التحرير ! ولكن لانك كنت على رأس خير أمة اخرجت للناس ، فقد أمرته بالسير على رأس الجيش الى الشام ، وبفضلك ، وفضل خالد بن الوليد ، وفضل رجال من هذا الطراز صار الاسلام اقوى امبراطورية عرفها تاريخ الانسان . ولكن لا جناح على السادة الذين اشتغلوا بالافتاء فى غفلة من الزمان ، ولا بأس عليهم باعتبار ان الحال من بعضه فجيوش المسلمين فى هذا الزمان اصابها الارهاق من قتال المسلمين وديار المسلمين تعانى الفاقة والحاجة والضياع ، وقدس الاقداس سقط اسيرا فى قبضة اليهود الاوساخ ! واكثر من شوال خطابات للعبد لله احتجاجا على مقال الشورت الشرعى . وكل (العلماء) يؤكدون ان للرجل عورة ، ولانهم (علماء جدا) فانهم يحددون مكان العورة من السرة وحتى الركبة ! هيه دى المشكلة ؟ طيب والقدس ؟ والحرب العراقية الايرانية ؟ والشعب الفلسطينى الذى يعانى المحنة والموت الزؤام ؟ والمجاعة التى تضرب المسلمين فى السودان وفى تشاد وبنجلاديش وفى الصومال ؟ وما رأيكم فى أحوال المسلمين التى تردت الى الدرك الاسفل ، بينما حتى عبدة الاوثان يعيشون فى بحبوحة وانسجام ؟ اى المشاكل اولى بالرعاية والعناية والاهتمام ؟

افتونى يا اصحاب الفضيلة (علماء) اخر الزمان !!
أما بالنسبة للحكم الدولى محمد حسام الدين ، وقد احتج اغلب اصحاب الخطابات على وصفه بمفتى الديار الكروية . فالعبد لله يعتذر ، خصوصا بعد ان ثبت بالدليل القاطع انه لا يشغل منصب مفتى الديار الكروية ، ولكنه يمارس مهام شيخ مشايخ الطرق الكروية ، والشرعية منها على وجه الخصوص !

توظيف الاقدام !

شكرا للسادة بتوع التليفزيون لانهم رطبوا حياتنا بمباريات كاس اوروبا ، حيث اللعب على طول ، والشوط على ودنه ، والعيال اللعيبة فى الرمح كالأحصنة . فى القوة كالثيران ، فى النفس كما قطار سكة حديد طوالى ، وحيث الحكام هم ملوك الملاعب صحيح ، وحيث الجمهور يستخدم حناجره فى التشجيع ولا يستخدم عضلاته ! ولكن واأسفاه على فريق المانيا بعد ان خلت قائمته من النجوم . اللعب عادى وان كان بالنسبة الى لعبنا غاية المراد من رب العباد . و .. واأسفاه على فريق ايطاليا بعد ان حصل له نفس الحصلان ، اللعب مضبوط ولكنه غير مبهج ، والعرض مش بطال ولكنه مش لذيذ ، دليل على ان الكورة الحلوة هى كورة نجوم ولذلك كانت المباريات التى يشترك فيها عبد الكريم صقر تختلف عن المباريات التى لا يشارك فيها . وكان الضيظوى يضيف مذاقا خاصا الى المباريات التى يلعبها ، وكان المرحوم رضا يضفى على المباريات بهجة شديدة ومتعة لاحد لها ، ونفس الشىء يصدق على المباريات التى كان يشترك فيها مصطفى رياض والشاذلى ورفعت الفناجيلى وعلى ابو جريشة . ونفس المتعة مضروبة فى الف اذا شاهدت مباراة يلعب فيها بيليه او مارادونا او بلاتينى اما مباريات الصحة والعافية واللياقة ، فهى مباريات حلوة اى نعم ولكنها ليست ممتعة ، وهى اشبه بالطعام المسلوق ، صحى ولكنه غير شهى ! وهذا الوصف ينطبق على فرق أوروبا التى بلا نجوم ، أما اللعب تبعنا فحدث ولا حرج ، عندنا لا صحة ولا نجوم ، لا فن ولا احصنة ، لا استعراض ولا خطة . ومنذ ان اعتزل محمود الخطيب وأنا لا اشعر برغبة فى مشاهدة المباريات . واندهش احيانا عندما يكون المعلق هو على زيور ، واسمعه يغنى امام الميكروفون (يا سلام ع الحلاوة) حلاوة !! فين هيه الحلاوة دى ؟ هذا العك الأزلى ، واللعب الهلس ، وهذه الانفاس المقطوعة ، والسيقان المخلوعة ، هل هذه هى الحلاوة ؟ طيب امال فين الوحاشة والدمامة ؟ واين يكون سوء الاداء وقلة الحيلة ، وهوان اللعيبة على الشبكة وعلى الأجوان ؟! ويصدع ادمغتنا بين الحين والحين بعض السادة المحرراتية فى الصحف القومية والحزبية ، وخصوصا عقب كل دورة افريقية او اوليمبية ، عن العروض التى انهالت على كباتن مصر العظام ، وكيف صرخ سمسار من فرنسا ، ارجوكم اعطونا جمال عبد الحميد . أو يا خرابى .. لا ابرح هذا المكان الا وفى يدى ربيع ياسين . ويكتبون عن عروض بمئات الالوف للكابتن حليمى ، وعرض اخر بملايين الفرنكات للكابتن فرهود ثم ينتهى المولد ولا حس ولا خبر ويحترف عيال المغرب وعيال تونس وعيال الجزائر ، ويلعب مائة لعيب افريقى فى نوادى اوروبا . ويبقى الكباتن تبعنا محلك سر ، لا احتراف فى الخارج ، ولا تواضع فى الدخال ! اخبار لعيبتنا فى الصحف عندنا كاخبار بعض الفنانات تعاقدت على فيلم مصرى هندى مشترك .

وقعت عقدا مع هوليود لدور البطولة امام روبرت تايلور (تايلور مات منذ عشرين عاما) ستلعب الدور الثانى فى فيلم بلجيكى ايرلندى مشترك !! وتمر السنون فلا تلمح اثرا للست الفنانة فى اى فيلم ، ولا حتى فيلما تليفزيونيا من انتاج عجمان ! على العموم شكرا لتليفزيون مصر لانه رطب حياتنا بمباريات بطولة اوروبا . واذا كانت النجوم غابت فى فريق المانيا وفريق ايطاليا ، فالنجوم على ودنه فى فرق الاتحاد السوفييتى وانجلترا والدانمرك وسنستمتع بالفرق التى تضم النجوم ، وسننفعل بالفرق التى تضم الخيول . وحبذا لو اذاع التليفزيون ايضا مباريات دورة نيوزلاندا وشكرا له لو اذاع مباريات دورة استراليا ، ويا سلام لو اذاع مباريات دورة جزر الارخبيل . فسيكون فى كل هذه الدورات كورة ممتعة ، او على الاقل مقنعة . وستكون عوضا لنا عن مباريات (حلق يسترك) التى نشاهدها فى ملاعبنا هذه الايام .

واقتراح من العبد لله لاتحاد الكورة ان يوقف مباريات الدورى لمدة عام ، وأن يضع قانونا لتنظيم اعمال النوادى اياها ، كما فعلنا مع شركات توظيف الأموال ، وباعتبار ان هذه النوادى فى حقيقة الأمر ، هى شركات لتوظيف الاقدام . اللهم لا نسألك الغاء الدورى ، ولكن نسألك التقليل من عدد المباريات !!

أخر خدمة الغز

يبدو ان الصحافة ليست مهنة البحث عن المتاعب ، ولكنها مهنة البحث عن المعاش ، والدليل على ذلك ان العبد لله يعمل فى بلاط صاحبة الجلالة منذ العام ١٩٤٤ ، وكنت طالبا فى مدرسة المعهد العلمى الثانوية ، وهى مدرسة تخرج فيها عشرات من المشاهير الاعلام الذين تركوا بصماتهم على تاريخ مصر الحديث . وكان ابرز هؤلاء زميلى عبدالسلام ، جارى فى تختة واحدة من سنة اولى الى سنة ثالثة رابع ، اذ كنا لحكمة لا يعلمها الا علام الغيوب ، تتدهور احوالنا وتنخفض درجاتنا كلما توغلنا فى بحر العلم . ويبدو ان عبد السلام قد اكتشف مبكرا ان طريق العلم ليس له نهاية ، فآثر الانسحاب واحتل مكان الوالد . وصار بعد فترة اكبر حانوتى فى القاهرة الكبرى ، واشهرهم فى العصر الحديث . ومن اعلام المدرسة ايضا زميلى (حنبلة) بتشديد اللام ، الذى هجر الدراسة وشق طريقة فى الحياة بمطواة قرن غزال ، واصبح فتوة الحبانية وسوق السلاح ، ومات شهيدا فى معركة تاريخية ضد فتوات حى بولاق .

أما العبد لله فقد اتجه الى الصحافة وأنا مازلت طالبا فى المدرسة ، عندما اصدر ناظرها مصطفى بك عبد الهادى مجلة اسبوعية اسمها نداء الوطن ، واستعان برئيس تحرير من اعضاء النقابة هو المرحوم مختار الغمراوى ، أما المحررون فقد اختارهم الناظر من بين التلاميذ الذين يقرضون الشعر ، ويلقون الخطب العصماء فى مظاهرات الطلبة ضد الانجليز ، وكان العبد لله واحدا من هؤلاء . وكان حى الزمالك هو محور اول موضوع صحفى دبجه قلم العبد لله . واقترحت على حكومة مصر وقتئذ ان تقيم منافذ جمركية ومكاتب لادارة الهجرة والجنسية على ابواب حى الزمالك ، بعد ان اصبح الحى دولة قائمة بذاتها . حيث ان جميع اليفط بالحى مكتوبة باللغة الانجليزية وتحمل اسماء غريبة ، بقالة لانكشاير ، مكوجى ليفربول ، جزارة كيتشز ، فكهانى هايدبارك ، كما كان الحى نفسه محرما دخوله على ابناء البلد ، اصحاب الجلابيب والطرابيش والشباشب الزحافى . باعتبار الحى المذكور منطقة محرمة الا للخواجات والبشوات والبكوات والستات الالماظيات المتالقات المتبلطات بفرو الذئاب وجلود الثعابين .

وبعد نشر الموضوع فى المجلة ، وظهور اسمى بحروف المطبعة ، اصابت العبد لله لوثة عقلية لاازال اعانى منها حتى الآن . قرأت الموضوع الف مرة ، وفرضت على جميع اصدقائى ان يقرأوه وان يعيدوا قراءته عدة مرات ، وأوهمت البعض منهم ان امتحان اخر العام سيكون فى هذا الموضوع بالذات ، وان النجاح سيكون من نصيب من يحفظ موضوعى عن ظهر قلب ، ويجيد شرحة ، ومعرفة ما بين السطور ! وبالرغم من ان المجلة لم تطبع اكثر من ثلاثة الاف نسخة ، وبالرغم من معرفتى بان المجلة لم تجد مشتريا واحدا فى السوق ، الا اننى اعتبرت نفسى واحدا من كبار الكتاب ، ليس فى مصر فقط ولكن فى العالم العربى

وبدأت اقارن نفسى بمحمد التابعى واحمد الصاوى محمد . وبدأت اخطط لاصدار مجلات جديدة وانشاء دور صحفية كبرى . ولكن مجلة نداء الوطن ماتت فجأة بالسكتة القلبية ، ولم يترك سقوطها اى رد فعل على الاطلاق الا عند اصحاب دكاكين اللب والفول السودانى ! ولكن الفترة القصيرة التى صدرت فيها نداء الوطن كانت كافية لتجعل الصحافة تسرى مع دمى فى عروقى . وتدخل مع انفاسى فى نخاشيشى ! ومنذ تلك اللحظة حملت قلمى على كتفى وسرحت فى مكاتب الصحف . ونشرت مقالات تكفى باعة اللب والفول السودانى فى عموم قارة افريقيا . وفى مجلات وصحف لم يقرأها احد ولم يسمع بها احد ، مجلة الخميس ، مجلة السحاب ، وجريدة الخبر ، ومجلة الأسبوع ، ومجلة بلادى ، ومجلة الرقيب ، ومجلة الحقيقة ، وجريدة الازهار ، وسر تسميتها بهذا الأسم ، هو ان صاحبها ورئيس تحريرها كان من سكان ميدان الازهار ، الذى عرف فيما بعد باسم ميدان باب اللوق ، وكانت اغرب الجرائد التى عملت فيها هى جريدة النيل ، وقد اشترك معى فى تحريرها كوكبة من الزملاء الذين اشتهروا فيما بعد ، من بينهم شيخ المصورين رشاد القوصى ، ورسام الكاريكاتير طوغان ، والكاتب الصحفى ضياء الدين بيبرس ، وكان الشرط الوحيد لمن يريد ان يعمل فى تلك الجريدة هو ان يشترى لنفسه مكتبا يجلس عليه . ولان العين كانت بصيرة والايد قصيرة ، فقد اشتغل اغلبنا محررين ورسامين ومصورين ع الواقف .

واخر مجلة اشتغلت فيها قبل الثورة هى مجلة الستار ، وكان يرأس تحريرها مأمون الشناوى وابراهيم الوردان ويعمل فيها ثلاثة الاف محرر ، ولكن على طريقة سيدنا عمر بن الخطاب حين ارسل مددا الى عمرو بن العاص وهو فى طريقه الى فتح مصر وكتب اليه يقول : ابعث اليك بمدد من اربعة الاف رجل على رأسهم اربعة رجال كل منهم بالف ، كان جيش المحررين الذى يعمل فى مجلة الستار يضم الاستاذ صلاح حافظ ، الاستاذ يوسف فكرى ، والعبد لله . وفى هذه المجلة وعنها سمعت أجمل واعمق وألذع نكته قيلت فى شأن المجلات البائرة والمجلات الميتة فى كل الأزمان فقد تساءل صاحب المجلة فى اجتماع التحرير الاسبوعى عن الوسيلة المثلى التى ترفع توزيع المجلة الى مائة الف نسخة كل اسبوع ، ورد

مأمون الشناوى على الفور : نحط سندويتش فول فى كل نسخة !

ولم تستقر احوال العبد لله فى بلاط صاحبة الجلالة الا بعد قيام الثورة وتنقلت على مدى ستة وثلاثين عاما فى ثلاث دور صحفية فقط لاغير ، واشتغلت لمدة عام فى جريدة القاهرة ، وخمسة اعوام فى جريدة الجمهورية ، وقضيت ثلاثين عاما فى مؤسسة روزاليوسف .

وبدأت محررا بالقطعة ، واول مرتب حصلت عليه كان عشرة جنيهات ، وانتهيت باعلى مرتب تسمح به قوانين الدولة .

وتوليت عدة مناصب فى بلاط صاحبة الجلالة ، رئيسا لقسم الشئون العربية ، ورئيسا لقسم الاخبار الداخلية ، ورئيسا للقسم الفنى ، وسكرتيرا للتحرير ، ورئيسا للتحرير ، وشرفنى زملائى فى السنوات الأخيرة من خدمتى باختيارى لعضوية مجلس الإدارة . وفى يوم ٢٠ نوفمبر الماضى آن للصحفى العجوز ان يسلم .. ليس القلم الذى يكتب به ، ولكن الدوسيه الذى يضم اوراقه ، فقد احيل الولد الشقى اخيرا الى المعاش ، والمعاش فى بلاط صاحبة الجلالة ، لا يعنى التوقف عن الكتابة او الكف عن ممارسة المهنة ، ولكن يعنى فقط ان السيد المحال الى المعاش ليس فى مقدوره ان يتولى مناصب رسمية ، ولا يحق له ان يجلس على مقعد فى مجلس الادارة ، ولكنه يستطيع بعد ذلك ان يصنع اى شىء وكل شىء فى بلاط صاحبة الجلالة .

وهكذا انضم صاحبكم الى النادى الذى يضم جلال الحمامصى ، ومصطفى امين ، وموسى صبرى ، ومحمد عودة ، وفتحى غانم ، ويوسف ادريس ، واحمد بهاء الدين ، وصلاح حافظ ، وكامل زهيرى ، واحمد الصاوى محمد ، وحافظ محمود ، وعشرات آخرين من الكتاب والفنانين والحق اقول ايها السادة ان العبد لله لم يذق طعم الاستقرار فى بلاط صاحبة الجلالة الصحافة الا بعد التأميم .

وقبل ثورة ٢٣ يوليو عملت فى صحف حزبية كثيرة ، بعضها لم يصرف مرتبى حتى الآن فى فترة من الفترات اشتغلت فى مجلة حزبية كان صاحبها يحمل البكوية الرسمية ، وينحدر من أصول شركسية ، ويمتلك عدة قرى فى ريف مصر ، ويشترك مع الانبياء فى صفة واحدة هى الامية ، وكان مرتبى فى هذه المجلة لايزيد عن عشرة جنيهات ، ولكنى اكتشفت بعد عام كامل قضيته فى مجلة البيك اياه باننى لم اتقاض سوى ثلاثين جنيها ، بواقع جنيهين ونصف جنيه شهريا ، وكنت أدبر أمرى بكتابة نصوص اذاعية لمحطة الشرق الادنى ، ولكنى لم انقطع يوما واحدا عن العمل فى المجلة .

ولم اتوقف اسبوعا واحدا عن الكتابة ولكن بعد الثورة استقرت امور الصحافة ، واصبح للصحفيين نقابة تدافع عن المحررين ولا تدافع عن اصحاب الاعمال .

ورغم اتهامى مرة بمحاولة قلب نظام الحكم ، ومرة بالخيانة العظمى (!) الا ان السلطة لم تستطع فصلى من نقابة الصحفيين ، وفصلنى رئيس نقابة عمال المؤسسة التى كنت اعمل فيها بعد ثلاث ساعات فقط من القاء القبض على ، دليل ان هذه النقابة ورئيسها من فصيلة العمال الملتزمين بميثاق الشرف العمالى ، ومن المناضلين الذين يستشهدون فى سبيل حقوق الاعضاء !!

والان اصبح لنا مجلس اعلى للصحافة ، وصار من حق الصحفيين امثالى ان يحصلوا على شهر مكافأة عن كل عام يقضونه فى خدمة الصحافة . وصار من حقهم ايضا ان يمدوا خدمتهم اذا شاءوا ، وان يقبضوا معاشهم من الدولة ، ويحصلوا على الفرق بين المعاش والمرتب من الجريدة وها انذا الحمد لله على المعاش منذ ثلاثة شهور ولكنى لا أحصل الا على الفرق فقط من المؤسسة التى اعمل فيها ، اما المعاش نفسه فقد ضاع يا ولداه بين استماره ٦ وقسيمة بند ٢ وملف ١٧/١ وصورة من القرار الوزارى رقم ٩ ، والقرار الجمهورى رقم ٦٨٥ لعام ١٩٧٤ المعدل بالقرار رقم ٩١٢ لعام ١٩٧٥ المتعلق بقانون تنظيم الصحافة رقم ٥٣/١٢/١٦ ج ، وهو القانون الخاص بالصحفيين اعضاء النقابة الذين بلغوا سن الستين ، والذى يجوز لهم فى حالة مد الخدمة ، احتساب مدة الخدمة السابقة على معدل الخدمة القادمة ، تاسيسا على ما جرى عليه العمل ، بالقوانين المرعية ، وبناء على ما استقر عليه رأى القضاة والقانون الادارى ومجلس الدولة ، من اجل ربط المعاش بطبيعة العمل المترتبة على التاسيس الجبرى ، حسب نص القانون رقم ١١٩ لسنة ٦٥٠ هجرية بشأن تنظيم ديوان الانشاء الذى صدر فى عهد السلطان برقوق ، مع مراعاة كل القوانين التى صدرت فيما بعد وأخرها الفرمان رقم ١٦ لعام ١٧٤٨ بشأن انشاء الوقائع المصرية ، وما ترتب عليها من حقوق لجميع المحررين والقراء !!

أما مكافأة نهاية الخدمة فقد ضاعت هى الأخرى فى بلاط المجلس الاعلى للصحافة ، ولكن وعلى رأى احسان عبد القدوس لاشىء يهم ، فالحصيلة لاباس بها والنتيجة خير على كل حال ، وكتبنا والحمد لله على مدى اكثر من اربعين عاما مئات الاطنان من المقالات ، استهلكت عشرات الاطنان من الورق ، استفاد بها تحالف قوى الشعب العامل من باعة اللب وباعة البلح الامهات ، وربات البيوت اللوات استخدمت مقالاتى فى مسح زجاج النوافذ ، وحكمة الله ان مقالاتى تمسح اكثر بياضا ، كما ان هناك فرق !! وثلاثون كتابا اولها (السماء السوداء) واخرها (رحلات بن عطوطة) . وخمس مسرحيات اولها فيضان النبع واخرها بين النهدين وعشرات المسلسلات الاذاعية والتليفزيونية فى مصر وفى العالم العربى وبلاد تركب الايرباص ، وتخلل هذا كله خمس مرات فصلا من الوظيفة ، وخمس سنوات سجنا على ثلاث فترات وفى ثلاثة عهود مختلفة وعشر سنوات صياعة خارج بر مصر .

ومع ذلك نحمد الله لان حرفتنا كانت هى نفسها هوايتنا ، وبقدر ما تعذبنا بقدر ما سعدنا ، وكانت روضتنا بقدر شهرتنا ، وكانت حياتنا فى بلاط صاحبة الجلالة بمثابة حرب عظمى خسرنا فيها معارك كثيرة ولكننا فى النهاية كسبنا الحرب !

أما المعاش ، وأما مكافاة نهاية الخدمة ، فهى كلها مسائل مادية ودنيوية ، ونحن والحمد لله من ابناء الطريق ومن أهل الله . والحمد لله لان حياتنا لم تضع سدى وجهدنا لم يذهب هدرا ، ويكفى اننا اكتشفنا فى نهاية الامر حكمة كانت غائبة عنا ، ولو اننا متنا قبل ان ندركها لحصل لنا نفس الشىء الذى حصل لكلبة يزيد .

وتسألنى وما الذى حدث لكلبة يزيد ؟ اجيبك باننى لا اعرف ولا يزيد ايضا ! ولكن يكفى اننا اكتشفنا فى نهاية الامر ، ان الصحافة ليست هى مهنة البحث من المتاعب ، وانما هى مهنة البحث عن المكافاة ، وفى قول آخر مهنة البحث عن المعاش .

وعاش المجلس الأعلى !!

مـــــارادونا
عـــبـــداللطيف !

إذا كان صحيحا دائما : ياميت ندامة على اللى حب ولا طالش . فاحيانا يكون صحيحا : ياميت ندامة على اللى حب وطال واقرب مثال على صحة هذا المثل المقلوب ، هو الفريق القومى المصرى لكرة القدم ومديره الخواجة سميث ومدربه شحتة ! فقد اثبت الجهاز الفنى الحالى ان اعضاءه يحبون الكرة ، واثبت "لعيبة" الفريق القومى انهم يحبون مصر ، ومع ذلك لم يسلم "اللعيبة" ولا الجهاز الفنى تبعهم من السنة واقلام البعض ، ولم يتورع بعض السادة إياهم عن وصفهم باحط الصفات ، والمطالبة بتسريح الكابتن شحتة ، والقبض على الخواجة سميث وترحيله الى لندن عن طريق الانتربول . وذهب البعض الى بعيد فطالبوا بمحاكمته فى القاهرة امام محكمة الثورة الكروية ، باعتباره اتى افعالا من شانها الإضرار بالأمن الكروى المصرى وذلك لانه خلال النصف الاول من شهر اغسطس علم الف وتسعمائة وسبعة وثمانين تآمر مع آخرين من بينهم مجدى عبدالغنى ومحمد رمضان وعماد سليمان وشوقى غريب على احراز بطولة دورة الالعاب الاوليمبية الافريقية فى غياب العبقرى طارق يحيى ، ومن وراء ظهر المايسترو علاء ميهوب !

وإذا كانت هذه الصورة الكاريكاتورية قد تعمدت رسمها لحضراتكم لكى ارسم ابتسامة على وجوهكم قبل ان تقرأوا ماهو قادم من السطور ، وهى سطور ستجلب الغم والهم الى نفوس حضراتكم ، وستحل الكآبة على وجوهكم محل الابتسام .

والحق اقول ياسادة ياكرام ان الدورات الاوليمبية ليست عبثا ، ولا هى مهرجانات للتسلية عن النفس ، كما انها ليست مباريات رياضية بين بعض الافراد الذين يحملون جنسيات مختلفة ، ولكنها فى الحقيقة منافسة بين دول ، وامتحان لمجتمعات ، واختبار عملى ومفيد لموازين القوة فى كل دولة ، كما انها مرآة تعكس حقيقة الأوضاع فى كل بلد ، وهى ايضا كشف حساب تقدمه الدول فى هذه المناسبة عن أوضاعها الراهنة فى التعليم وفى الصحة وفى الثراء . وهى فى

النهاية شهادة دولية معترف بها تحدد حجم كل دولة ووزنها الحقيقى ، وتضعها فى مكانها الصحيح والمناسب على هذا الكوكب المدهش المثير . ولذلك ولهذا ايضا لم تصبنى الدهشة لفوز مصر ببطولة الدورة الرابعة الافريقية ، فهذا هو مكان مصر الطبيعى ، وخلاف هذا الوضع يصبح فى الامر حاجة غلط ، ويكون هناك خلل لاشك .

فمصر هى أول دولة فى الدنيا وبالتالى هى أول دولة فى افريقيا . وفى العصر الحديث وعندما كنا نتنافس مع أوروبا ، كانت افريقيا .. تعيش خلف ستار حديدى ، ولم يكن مسموحا لاحد من سكان الشمال الافريقى برؤية افريقيا السوداء الا من خلال أفلام هوليود وعلى شاشة سينما مترو ! وهكذا ترون ايها السادة ان فوزنا ببطولة الدورة الافريقية هو مجرد عمل عادى وروتينى كما انه واجب وطنى ايضا . وان كان هذا لا يمنع من شكر الذين اشرفوا على اعداد الفرق المصرية ، ورعاية الابطال الذين رفعوا أسم مصر عاليا ، ودقوا طبولها فى غابات القارة السمراء ، خصوصا ابطال المصارعة والسباحة والجودو ورفع الاثقال الذين أدوا واجبهم برجولة واستبسلوا بفدائية ، وفازوا عن جدارة واستحقاق ! ولكن المعجزة الحقيقية هى النتيجة التى حققها فريق مصر القومى لكرة القدم ، لانه فى خلال ثلاث دورات أوليمبية افريقية خرج فريقنا الكروى مرة بالانسحاب ومرة بالفشل ، والمرة الثالثة حصل على الميدالية البرونزية بطلوع الروح . ولكنه فى هذه الدورة الأخيرة حصل على الذهبية وعلى البطولة ، وبالرغم من ذلك انهالت السكاكين على الخواجة سميث مدير الفريق وعلى الكابتن شحتة مدربه .

وهى مسالة غريبة ومريبة أيضا من جانب بعض السادة الذين لطموا الخدود وشقوا الجيوب لان الخواجة الانجليزى لم يستعن بالعبقرى الأوحد طارق يحيى ، وبعضهم طالب بفصل المدرب والمدير لانهما تجاهلا عمدا ومع سبق الاصرار الكابتن حمادة عبداللطيف الشقيق التوأم للكابتن مارادونا عبداللطيف ! وبعض الإداريين بالاشتراك مع بعض المطيباتية والهتيفة ارتكبوا عملا عدائيا ضد الفريق فى نيروبى وينبغى مساطتهم ومحاكمتهم ايضا ، إذا صح ما حملته الينا الانباء من هناك . فقد قيل ان البعض هرول بعد اصابة شوقى غريب الى اللجنة المنظمة للدورة ، والى طبيب مصرى يدير مستشفى نيروبى ونجح السادة المهرولون فى الحصول على إذن باستدعاء لاعب من القاهرة ، وتطوع السادة اياهم - مشكورين - بتحديد اسم اللاعب النابغة الذى حتما ولابد وهلبت سياتى بالديب من ديله ، وكان اللاعب المختار هو الكابتن طاهر أبوزيد .

وعلى عينى وراسى الكابتن طاهر أبوزيد ولا خلاف على نبوغه ، ولكن ما جدوى وجود المدرب ؟ وماهى وظيفة مدير الفريق ؟ ثم ماهو شان السادة الافاضل بفريق كرة قدم له مدير خواجة ومدرب وطنى ؟ وهما وحدهما المسئولان عن الفريق . افهم

أن ينتظر الجميع حتى تنتهى الدورة ، ثم بعد ذلك يبدأ الحساب وتبدأ المساءلة . وتصوروا ماذا سيكون عليه حال لاعبى الفريق القومى اذا اكتشفوا فجأة والدورة فى ذروتها اننا حكمنا عليهم بالفشل ، واستعنا بمدد كروى من القاهرة وعلى طريقة عمرو بن العاص حين طلب مددا من المدينة وهو على أهبة فتح مصر ، فأمده الخليفة بأربعة رجال كل رجل منهم بألف !

الغريب ان احدا من السادة الافاضل الذين ألحوا فى طلب المدد لم يسأل نفسه مرة واحدة عن الأثر الذى كان سيتركه هذا المدد فى نفوس اللاعبين . ولقد تضاعف احترامى للمدرب شحتة والمدير سميث لانهما تجاهلا هذه الاعمال الصغيرة فلم يرفضا صراحة ولم يستجيبا لها ، ومرا بها مر الكرام ! ويبدو ان البعض لا يزال يعيش فى أيام زمان ، عندما كان التغيير والتبديل يجرى عن طريق تليفون تم تركيبه خصيصا فى المقصورة ، لمواجهة اللحظات العصيبة والطارئة والتى تستدعى تدخل السادة الاكابر الذين لا علاقة لهم بكرة القدم الا من خلال الفرجة عليها من جهاز التليفزيون . وكان هؤلاء البعض لا يستحى من ذكر مثل هذه الوقائع باعتبار أن التغيير الذى أمر به الاكابر كان ضربا من ضروب العبقرية والالهام . كما أنه نصر من الله وفتح قريب .

البعض ايضا ملأ الدنيا صراخا وصياحا ، ليه ؟ لان الكابتن علاء ميهوب قلشوه من المنتخب ، وقلشه هو السر وراء كل الهزائم والنكبات . ياسلام !! طيب ، فريقنا القومى خرج من الدورات السابقة وقفاه (يقمر عيش) كما يقول المثل مع انه فى تلك الدورات الفاشلة كان يضم المايسترو والعازف والفلتة والمراوغ والساحر والفنان . ما الذى فعله هؤلاء فى تلك الدورات ؟ وما الذى فعله هذا الفريق "السكه" فى الدورة الافريقية الاخيرة ؟ الفريق "السكه" حصل على الميدالية الذهبية وعلى البطولة ، وفريق المايسترو والعازف وعجين الفلاحة ونوم العازب خرج من كل الدورات برضا الوالدين . ثم نحن احضرنا الخواجة لكى يختار ، وليس واردا بالطبع ان يكون الخواجة هو المدير ثم نترك الاختيار للسادة المشجعين الذين يجلسون فى المدرجات .

ثم تعالوا بنا نلقى نظرة على كشف الحساب . لقد جاء الخواجة سميث الى القاهرة وتسلم مهام منصبه مع شحتة ومصر على ابواب البطولة الافريقية ، ولأن الخواجة كان يتحسس طريقه ، ولأن شحتة كان يتهيب الموقف ، فقد لعبنا بمحمود الخطيب وطارق يحيى وعلاء ميهوب وانهزمنا فى أول مباراة أمام السنغال ، ولم يستطع العبقرى طارق يحيى ان يمر مرة واحدة من الظهير السنغالى ، ولم يسجل الخطيب شيئا ولا علاء ميهوب ، فى الوقت الذى كان فيه هداف مصر المرحوم حازم يجلس على الدكة يتفرج ، ومحمد رمضان يجلس فى بيته يشاهد المباراة فى التليفزيون . وفى المباراة الثانية أمام ساحل العاج ، ظلت النتيجة هى التعادل

حتى منتصف الشوط الثانى ، وانخلعت قلوب المصريين فى المدرجات وفى المنازل أمام أجهزة التليفزيون ، وفتح الله على شحتة فاشرك شوقى غريب فى المباراة ، وبعد دقائق سجل هدف مصر الاول وكان أول استفتاح على طريق البطولة الافريقية .

واشترك الفريق القومى بعد ذلك فى مباراة مع تنزانيا واحرز عشرة أهداف فى القاهرة وفى دار السلام ، ثم لعب الفريق مع كينيا وسجل سبعة أهداف ، ثم اشترك فى دورة كوريا وتعادل مع كوريا التى اشتركت فى كاس العالم ، وهزم امريكا التى تعادلنا معها فى دورة لوس انجلوس رغم اشتراك الخطير والمهيب والحبيب والعقيد والمختار . ولم تهزمنا استراليا الا بضربات الجزاء ثم كانت الدورة الافريقية فى نيروبى وفاز الفريق فيها بالميدالية الذهبية ، بالرغم من أن الفريق فقد فى أول مباراة شوقى غريب وعماد سليمان ، وهزمنا السنغال التى هزمتنا فى القاهرة ، وهزمنا ساحل العاج ، وهزمتنا مالاوى بهدف هو مسئولية حارس المرمى ولا أحد سواه . ومع ذلك فرب ضارة نافعة لأن هزيمة الفريق فى الدور التمهيدى افضل من هزيمته فى دور الأربعة . وتغلبنا على الكاميرون بضربات الجزاء ، وهى نفس النتيجة التى انتهت اليها مباراتنا معه فى القاهرة وامام مائة الف متفرج مصرى احتشدوا فى الاستاد ، ثم كانت المباراة النهائية وفزنا فيها على كينيا صاحبة الأرض وامام ستين الف متفرج كينى احتشدوا فى الملعب وهم يزأرون كاسود الغاب .

ماهى الجريمة اذن التى ارتكبها الخواجة سميث والكابتن شحتة ؟ وماهو المجد الذى كان يمكن أن يحققه العبقرى طارق يحيى أو اللوذعى علاء ميهوب ؟ لكنها عقدة الأهلى والزمالك ، والهزيمة بكباتن الأهلى والزمالك خير من النصر على يد كباتن الترسانة والاسماعيلى ، تماما كما ان الاستعمار على يد سعد خير من الاستقلال على يد عدلى ؟

ولكنى أقول للسادة أياهم إن هذا كان زمانا ومضى ، ولابد لنا الآن من اعطاء العيش لخبازينه ولو اكلوا نصفه . وهذا الفريق الذى صنعه شحتة والخواجة سميث هو أعظم فريق قومى شهدته مصر فى تاريخها الطويل ، لانه فريق بلا كوسة وبلا خواطر وبلا ضغوط . وميزة الخواجة سميث انه لا يعرف الأهلى ولا يعرف الزمالك ، وهو لا يعرف غير الكورة ، ولا يقدر غير الجهد الذى يبذله اللاعب اثناء المباراة . وهذا الفريق القومى الحالى هو أول فريق مصرى يلعب كرة جماعية ولا يعتمد على اللاعب الفرد الذى يلعب بالكعوب وطراطيف الاصابع والأهداب ، والذى لا يعنيه الا تأوهات الجماهير فى المدرجات ، اما احراز الاهداف أو الحصول على الميداليات فهذه ارادة السماء ، وليس للبنى آدم اللعيب ان يتدخل فيها بأى حال من الأحوال !!

وبعد ايها السادة لقد انتهى عصر اللاعب الأوحد والدليل على ذلك ما حدث اخيرا فى دورة امريكا اللاتينية ، فقد انهزمت الأرجنتين على ارضها وخرجت من الادوار التمهيدية ، والنجم الأوحد مارادونا على رأسها ، وانهزمت البرازيل ايضا فى الأدوار التمهيدية ، وكان يلعب ضمن صفوفها سقراط وافلاطون وسارتر وزكى نجيب محمود . ولعب المباراة النهائية فريقا شيلى وأورجواى وليس فى الفريقين لاعب واحد مشهور خارج حدود بلاده ، وفاز اوروجواى بكأس امريكا اللاتينية رغم انف العبقرى مارادونا الذى يلعب غالبا لمارادونا ولا يلعب للأرجنتين !

وصدقونى ايها السادة اذا قلت لحضراتكم ان هذا الفريق القومى بتشكيله الحالى تحت إدارة الخواجة سميث وشريكه شحتة ، هو الفريق الذى سيكون له شرف تمثيل مصر فى مسابقة كأس العالم المقبلة فى روما ، وأراهنكم بكل ما يملك سلطان برونو وعدنان خاشوقجى واشرف قاسم .. اقصد اشرف مروان .. هل من مراهن ؟

اللهم فاشهد ..
اللهـم قد راهنت !

ابـن الـدايـرة !

زمان .. إنخبطت فى عقلى ورشحت نفسى فى إنتخابات الاتحاد الاشتراكى فى دائرة قسم الجيزة . وكان عدد المرشحين فى الدائرة يكفى لانشاء فرقة تستطيع تحرير فلسطين بسهولة ، واكتشفت ان جميع المرشحين اشتراكيون قبل ظهور الاشتراكية ، وثوار قبل قيام الثورة ، وكلهم مع الكفاية والعدل وتذويب الفوارق بين الطبقات ، كلهم بحمد الله وبلا إستثناء ، وكان من بينهم مهرب العملة وتاجر السوق السوداء ، واغلبهم كان مرشحا عاما فى جميع الانتخابات التى شهدتها مصر منذ ثورة احمد عرابى وحتى الثورة الخضراء ! وكان من بينهم مرشح يحتفظ فى بيته بمئات المنشورات الكبيرة الحجم ، وكلها تحمل صورته فقط ، وكان يطل فيها على الجماهير وقد اسند ذقنه على كفه على طريقة الشاعر شوقى ، وفتح فمه عن ابتسامة ساحرة على طريقة الفنان محمد العربى . وكانت هوايته الوحيدة هى خوض جميع معارك الانتخابات التى تجرى فى الجيزة ، من اول إنتخابات مجلس الشعب إلى انتخابات مجلس إدارة جمعية دفن الموتى ، وكان يكتفى بلصق صوره بالحجم الطبيعى على الحوائط وجذوع الشجر وأعمدة النور ، وكان يطوف بسيارته اخر الليل يستعرض صوره وهو يطل على الجماهير وقد أسند راسه على كفه وإبتسم ، وكان يخسر التأمين دائما فى كل انتخابات يخوضها ، وكان يحصل على أقل من مائة صوت فى دائرة تعداد اصواتها ثلاثون ألفا .

ولكنه لم ييأس قط ولم يكف عن خوض المعارك الانتخابية ، ولم يتردد فى ترشيح نفسه مرة واحدة واكتشفت فى اول ايام الحملة الانتخابية ان على العبدلله ان يطوف بجميع المقاهى فى الجيزة ، وان يصافح جميع المارة فى الشارع ، الذين من أهل الجيزة والذين من غيرها ، وان يرفع شعارا واحدا يواجه به الجماهير . هو السلام عليكم ، فترد الجماهير وعليكم السلام .

وأدركت حكمة فيلسوف الشعب المرحوم عمر الجيزاوى فى منلوجه الشهير إتفضل شاى .. لا أنا متشكر ، وساعدنى إلمامى بالتراث فى الخروج من مأزق

اتفضل شاى (الناخبون هم الذين يعزمون على العبدلله) وكنت أرد لا أنا متشكر ، فإذا أعادوها كنت اقتبس رد عمر الجيزاوى أيضا مع فارق بسيط فأقول انا عندى جوله بينما المرحوم الجيزاوى كان يقول انا عندى قضية ! وهكذا صارت الجولات التى من هذا النوع ، هى قضيتى الاولى والاخيرة ، وفى يوم الانتخابات اكتسحت الدائرة اكتساحا رهيبا ، وقد اصابتنى الدهشة الشديدة لهذا الاكتساح الذى لم أعرف سببه حتى الآن . فأنا يشهد الله لم تتح لى فرصة الحديث مع أحد أو شرح برنامجى لاحد ، أو استعراض وجهة نظرى فى مشاكل الجيزة ، أو وسيلتى لحل مشاكل الجيزة ، لأن احدا لم يسألنى كما ان الظروف لم تتح لى فرصة للشرح والتفسير ، كانت المعركة هى السلام عليكم وعليكم السلام ، واتفضل شاى .. انا متشكر ، واتفضل شاى .. انا عندى جولة ! ويبدو ان الناخبين اقتنعوا بهذا البرنامج ، فما دمت أبدأ الناس بالسلام ، فأنا إذن رجل سلام ورجل حرب إذا اقتضت الظروف ، لأن الذى يسلم فى البداية ممكن ان يتعارك فى النهاية ، وأيضا ربما تصوروا ان شعارى هو يد تسلم ويد ترفع السلاح ، وبما اننى لا اقبل عزومات الشاى ، فأنا إذن رجل عفيف ونظيف وشريف ، كما اننى لابد وان اكون من الرجال الذين يسيرون على خط مستقيم ، فلا شاى ولا قهوة ، ولاسهر الليالى من أجل بلوغ المعالى ، ولكنه النوم البدرى والصحيان المبكر من أجل زيادة الانتاج ، ورفعة الاوطان ، وتيسير الاجراءات أمام المصدرين ! وايضا لاننى اصر عند تكرار العزومة على الرفض بحجة ان عندى جولة ، فهذا دليل اخر على اننى رجل مهام عظيمة فالجولة هى سفر قصير ، وفى الاسفار سبع فوائد ، لم أعرف منها الا فائدة واحدة حتى الآن ، هى الفرجة على مخاليق الله فى بلاد الله . ولكن فى تلك الانتخابات التى تورطت فيها ، كان لابد من التصعيد من القاعدة الى لجنة القسم ، ثم التصعيد من لجنة القسم الى لجنة المحافظة ومن لجنة المحافظة الى المؤتمر العام ، وخرجت من بحر الجماهير الى لجنة العشرة التى تنتخب مندوبيها الى لجنة القسم ، وكانت معركة ولا معركة الباسوس ، واكتشفت ان الانتخابات وسط القاعدة اسهل بكثير من الانتخابات وسط عشرة مندوبين ولكننى استطعت اجتياز هذه العقبة بفضل الترتيبات والتربيطات والكومبينات وشغل الثلاث ورقات الذى فرض نفسه على مجتمع المرشحين ، واكتشفت لحظة الاقتراع ان كل واحد من العشرة قد عقد إتفاقا مع العشرة ، وان الكل سينتخب الجميع ! وعند التصعيد الى لجنة المحافظة ، تساوت اصواتى مع اصوات مرشح اخر ، فتقرر إجراء قرعة ، واختارت القرعة الاكثر نضالا والاكثر اشتراكية والاكثر تضحية ، وفاز منافسى بالمقعد ، وذهب العبدلله فى الباى باى ! وثبت ان القرعة كانت على حق ، فقد ظل منافسى اشتراكيا ملتزما الى اخر يوم فى عمر الاشتراكية ، ثم انفتح مع الانفتاح ، فصار مليونيرا وبنكيرا ورجل أعمال يشار اليه بالشيكات ! ولفت نظرى خلال المعركة مئات الوعود بذلها عشرات المسئولين ، من أول المحافظ الى رئيس قسم النظافة ، وعد بشق طرق وإقامة مبان وغرس ثلاثين الف شجرة فى حوارى الجيزة ، وإقامة

اتفضل شاى (الناخبون هم الذين يعزمون على العبدلله) وكنت أرد لا أنا متشكر ، فإذا أعادوها كنت اقتبس رد عمر الجيزاوى أيضا مع فارق بسيط فأقول انا عندى جوله بينما المرحوم الجيزاوى كان يقول انا عندى قضية ! وهكذا صارت الجولات التى من هذا النوع ، هى قضيتى الاولى والاخيرة ، وفى يوم الانتخابات اكتسحت الدائرة اكتساحا رهيبا ، وقد اصابتنى الدهشة الشديدة لهذا الاكتساح الذى لم أعرف سببه حتى الآن . فأنا يشهد الله لم تتح لى فرصة الحديث مع أحد أو شرح برنامجى لاحد ، أو استعراض وجهة نظرى فى مشاكل الجيزة ، أو وسيلتى لحل مشاكل الجيزة ، لأن احدا لم يسألنى كما ان الظروف لم تتح لى فرصة للشرح والتفسير ، كانت المعركة هى السلام عليكم وعليكم السلام ، واتفضل شاى .. انا متشكر ، واتفضل شاى .. انا عندى جولة ! ويبدو ان الناخبين اقتنعوا بهذا البرنامج ، فما دمت أبدأ الناس بالسلام ، فأنا إذن رجل سلام ورجل حرب إذا اقتضت الظروف ، لأن الذى يسلم فى البداية ممكن ان يتعارك فى النهاية ، وأيضا ربما تصوروا ان شعارى هو يد تسلم ويد ترفع السلاح ، وبما اننى لا أقبل عزومات الشاى ، فأنا إذن رجل عفيف ونظيف وشريف ، كما اننى لابد وان اكون من الرجال الذين يسيرون على خط مستقيم ، فلا شاى ولا قهوة ، ولاسهر الليالى من أجل بلوغ المعالى ، ولكنه النوم البدرى والصحيان المبكر من أجل زيادة الانتاج ، ورفعة الاوطان ، وتيسير الاجراءات أمام المصدرين ! وايضا لأننى اصر عند تكرار العزومة على الرفض بحجة ان عندى جولة ، فهذا دليل اخر على اننى رجل مهام عظيمة فالجولة هى سفر قصير ، وفى الاسفار سبع فوائد ، لم أعرف منها الا فائدة واحدة حتى الآن ، هى الفرجة على مخاليق الله فى بلاد الله . ولكن فى تلك الانتخابات التى تورطت فيها ، كان لابد من التصعيد من القاعدة الى لجنة القسم ، ثم التصعيد من لجنة القسم الى لجنة المحافظة ومن لجنة المحافظة الى المؤتمر العام ، وخرجت من بحر الجماهير الى لجنة العشرة التى تنتخب مندوبيها الى لجنة القسم ، وكانت معركة ولا معركة الباسوس ، واكتشفت ان الانتخابات وسط القاعدة اسهل بكثير من الانتخابات وسط عشرة مندوبين ولكننى استطعت اجتياز هذه العقبة بفضل الترتيبات والتربيطات والكومبينات وشغل الثلاث ورقات الذى فرض نفسه على مجتمع المرشحين ، واكتشفت لحظة الاقتراع ان كل واحد من العشرة قد عقد إتفاقا مع العشرة ، وان الكل سينتخب الجميع ! وعند التصعيد الى لجنة المحافظة ، تساوت اصواتى مع اصوات مرشح اخر ، فتقرر إجراء قرعة ، واختارت القرعة الاكثر نضالا والاكثر اشتراكية والاكثر تضحية ، وفاز منافسى بالمقعد ، وذهب العبدلله فى الباى باى ! وثبت ان القرعة كانت على حق ، فقد ظل منافسى اشتراكيا ملتزما الى اخر يوم فى عمر الاشتراكية ، ثم انفتح مع الانفتاح ، فصار مليونيرا وبنكيرا ورجل أعمال يشار اليه بالشيكات ! ولفت نظرى خلال المعركة مئات الوعود بذلها عشرات المسئولين ، من أول المحافظ الى رئيس قسم النظافة ، وعد بشق طرق وإقامة مبان وغرس ثلاثين الف شجرة فى حوارى الجيزة ، وإقامة

ابن الحارة

ناطحات سحاب داخل حارة رابعة ، وإنشاء بلاجات على الشاطىء الشمالي لبحيرة النشع التي يقصدها وفود السياح الذين يأتون اليها خصيصا من بولاق الدكرور وعزبة ابو قتاده ! وبعضهم تبجبح اكثر فوعد بإرسال بعثات تعليمية من الجيزة الى الخارج .. أقصد الى بنها وديروط الشريف ! وإنشاء مفاعل ذرى لانتاج قنبلة ذرية بالجهود الذاتية ، وهى متوفرة والحمد لله بسبب نشاط الامعاء بعد وجبة كوارع وبصل مخلل ! ولكنهم جميعا والحق اقول كانوا فى غاية الواقعية .

فلم يعد احدهم بتبليط حوارى الجيزة المفحرة ، ولا ردم البرك والمستنقعات ، وان كان البعض قد وعد بجذب السياح الى شواطئها الجميلة ، اقول لم يعد احد من المسئولين الصغار بانجاز هذه الاعمال التافهة ، باعتبارها اشياء مستحيلة !

وكان بين المرشحين فى ذلك الزمان معارضة رغم وقوف الجميع تحت مظلة الاتحاد الاشتراكى . كان من بين المرشحين فلول من احزاب العهد الملكى السابق ، وكان هناك يساريون من بقايا تنظيمات قديمة انفرط عقدها بسبب المطاردة والتنكيل ، أما الفلول القديمة ، فاغرب شىء أنها وعدت الجماهير بجلاء المستعمر البريطانى مع ان المستعمر البريطانى كان قد حمل عصاه على كاهله ورحل منذ اثنى عشر عاما طويلة . احد هؤلاء وكان يقترب من السبعين كان يحمل فى يده دائما نسخة من صحيفة البلاغ التى اغلقت ابوابها منذ عشرين عاما ، وكان يتهم منافسيه بانهم على علاقة بالمندوب السامى ، وكان عندما ينفعل يصرخ متشنجا فليسقط قصر الدوبارة وكان يشيع بين الناس ان بريطانيا العظمى ارسلت بالقرب من شواطئنا فرقاطة للضغط على الحكومة من اجل اسقاطه ! اما فلول التنظيمات السرية القديمة فقد اعلنوا ان هدفهم من الترشيح ليس النجاح فى الانتخابات ولكن مخاطبة القاعدة العريضة ، ومن اجل هذا الهدف اكتفوا بعقد ندوة مسائية فى قهوة كتكوت فى ميدان سوق الاحد بالجيزة وتعاقبوا فى الحديث مع الجماهير عن الشواشى العليا للبرجوازية ، وعن بطولة الزمن الغابر والتفسيرات المرضية التى صاحبت ظهور البطل ، والوضع السالب فى النظرة للحياة ، وهى نظرة مستعادة ومستردة من هذا الزمن السرمدى ، مع توهج الوعى وتأججه من خلال الشرور المحيطة والآثار المدمرة لتحركات الاسطول السادس وحلف بغداد ومؤامرات حلف الاطلنطى واستغلال العائلات الخمس لعرق الكادحين من اجل شروق شمس الحرية على وادى العرقانين من اجل ثراء لانظير له وسعادة لاحد لها ، حيث يستطيع ان يغترف الجميع من مخازن لاينفد مافيها وعلى طول المدى ! ويبدو ان رواد الندوة قد طالتهم هذه السعادة الابدية بالفعل ، لأنهم انسجموا واندمجوا الى حد انهم لم يستطيعوا مغادرة اماكنهم للاشتراك فى التصويت ، حتى المرشحون الذين كانوا يتعاقبون على الحديث فى الندوة ، لم يظهر لهم اى اثر فى مراكز الاقتراع ولم اكتشف السر الا بعد ذلك بسنوات طويلة .

فقد علمت ان المعلم كتكوت انتهز فرصة عقد الندوة السياسية فى المقهى كل مساء فاقام ندوته الخاصة داخل المقهى واهتم بالرص والتكريس من اجل تعاظم انسجام طبقة الشغيلة وتعمير امخاخ الشقيانين والذين على باب الله ! وكان المعلم كتكوت ذكيا ولماحا ، فقد قدر ان المباحث لن تهجم على القهوة اثناء الندوة السياسية لان معنى ذلك ان الديمقراطية فى خطر ، والحرية فى مهب الريح ، ومستقبل الوطن على كف عفريت . وسيهرع الف محام ليرفعوا الف قضية ضد ممارسات الحكومة القمعية واجهزتها الدكتاتورية ! وكان من بين المعارضين نوع ثالث مختلف ، وكان يرى ان الناس نوعان .. نوع يطلق لحيته ونوع يطلق غرائزه . نوع يستجيب للسلف الصالح ، ونوع يسير على خطى الخلف الطالح . وكانوا يعدون الناس فى حالة نجاحهم بتحرير القدس وتحرير الاندلس ، فقط بشرط العودة الى نهج القعقاع واتباع سلوك عبدالله بن شمروخ ، وبارتداء القصير من الثياب واكل الخشن من الطعام والحرص على صلاة الجماعة ، لان صلاة الجماعة يضاعف الله حسناتها يوم القيامة . اما التليفزيون وبطولة الامم الافريقية وكأس العالم ومعرض القاهرة الدولى للكتاب وفندق شيت ووادى عبقر ومسرح خفاجى فكلها بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار ! اما الجيزة وبلاويها والناس ومشاكلهم اما الغذاء والكساء ونقص البيوت وقلة الاجور فهذه اشياء يمكن حلها على طريقة المرجئة ، اى إرجاء النظر فيها الى يوم الموقف العظيم ، باعتبارها اشياء دنيوية ، والدنيا فانية ودار غرور وطوبى لمن يصبر ، ومن يصبر ينول ! وانتهت الانتخابات وفاز من فاز وان كان الجميع قد حرصوا على الاحتفاظ بلقب ابن الدايرة مع ان بعضهم لم يكن له سابق علاقة بالدايرة الا ورق الترشيح . وخلت شوارع الجيزة من الجولات والقعدات ، ولم يعد احد يسير فى شوارع الجيزة رافعا شعار السلام عليكم ، واختفى هتاف اتفضل شاى ، وحل محله هتاف اتفضل فقط ! لأن الشاى للمرشح فقط ، اما عابر السبيل ، فليس هناك مناسبة لشرب الشاى .. والدعوة هنا مجرد سد خانة ، لانه لن يتفضل ، واذا تفضل فلن يجد ترحيبا من احد ! وتوالت الانتخابات بعد ذلك وجاء اكثر من مجلس امة واكثر من مجلس شعب واكثر من مجلس شورى وجاء مجلس محلى ومجلس محافظة ومجلس انس ، وتغيرت اشياء كثيرة ، حتى الزمن نفسه تغير ، ولكن لم يتغير شىء فى الجيزة على الاطلاق . صحيح حدث بعض التغيير ولكن الى الأسوأ ، برك المجارى ازدادت اتساعا ، وحفر الطريق ازدادت عمقا ، وتلال الزبالة ازدادت ارتفاعا وصار الحصول على تصريح بناء اصعب من الحصول على مفتاح لدخول الجنة ، وانقرض عهد الادارة فى الجيزة فلم يعد هناك ضابط ولا رابط ، ملاهى تفتح ابوابها حتى الصباح مع ان موعد الاغلاق الرسمى هو الثانية صباحا ، وكل من لديه مخلفات بناء يلقى بها فى عرض الشارع ، حتى صار عدد الشوارع السالكة اقل من عدد الشوارع المسدودة ولان الجيزة فى مهرجان دائم ، فقد تبارت

ميكروفونات الجوامع مع ميكروفونات المأتم مع ميكروفونات الافراح مع ميكروفونات الباحث عن عيل تأيه .. ياولاد الحلال !

وندوة قهوة المعلم كتكت البعيدة عن الثورية وغير السياسية اتسعت وامتدت ، والاشجار القليلة التى كانت موجودة فى الشوارع اقتلعت وانتزعت ولكن الحياة تسير سيرها المعتاد المحافظة موجودة والناس موجودة الزحام زاد والخير قل ، والدولار اصابه سعار والجنيه المصرى انكمش من شدة البرد ، ومشاكل المصدرين فى طريقها لحل ، وبعض الناس زعلانة لان اسماءهم لم تظهر فى القائمة وبعضهم زعلان لان اسمه جاء فى ذيل القائمة فكل المرشحين ، والذين كان فى نيتهم الترشيح ، كلهم مجندون من اجل مصر وخدمة مصر ورخاء مصر وكلهم مستعدون للبذل والتضحية والفداء وكلهم على مستوى المرحلة ، وكلهم يرفع شعار السلام عليكم ، وكلهم ممتنون اذا ردت الجماهير وعليكم السلام ، اما الشاى فلا حاجة له الان ، فقد يكون من النوع الملوث ، وقد يقضى على المرشح قبل ان يحقق امنيته ويصل الى باب البرلمان ، انها صورة من دفاترى القديمة عن انتخابات جرت زمان . ولقد كان فى نية العبد لله ان يكتب عن الانتخابات الحالية ، لولا اننى على سفر .. وايضا لاننى مطمئن الى صلاحية المرشحين وطيبة الناخبين .. ولذلك استأذنكم فى السفر وأقول للجميع السلام عليكم فيرد الجميع وعليكم السلام ، واتفضل شاى لا متشكر ، اتفضل شاى .. انا على سفر .. ومن كان منكم على سفر ، ففى الف سلامة ، والمركب اللى تودى ، وعند الانتخابات يستكرد الناخب أو يهان ! و .. السلام عليكم . وعليكم السلام .

عفوا مولانا الشيخ !

اكاد ـ استغفر الله ـ اشق الجيوب والطم الخدود كما كانت تفعل النساء فى الجاهلية الاولى ! وليس سبب حزنى وبلائى الا القحط الشديد الذى اصاب دولة التلاوة بعد ان كانت اخصب بقعة فى غيط الفن العظيم فى الثلاثينات وحتى الخمسينات من هذا القرن ، كانت مائدة التلاوة دسمة ومترامية الاطراف وعليها من كل بستان زهرة .

كان الشيخ محمد رفعت هو قيثارة السماء ، كان صوته اشبه بخلطة ربانية من مزامير داود وهديل الحمام . وصوت الكروان الشارد فى سماء الله فى الليل الحزين .

وكانت خامة صوته من معدن نفيس قراراته ناعمة كالحرير وجواباته سليمة ومتقنة ومقتدرة وشامخة كاعلام فرقة من الجند فى طريقها الى غزوة فى سبيل الله . وكان مع الشيخ محمد رفعت عدد من المشايخ الموهوبين ، على راسهم الشيخ مصطفى اسماعيل صاحب أعذب واجمل وارق صوت أنجبته أمة محمد وكان هناك الشيخ عبدالفتاح الشعشاعى صاحب الصوت القوى والنبرات الواضحة والفن العظيم ، وكان هناك الشيخ عبدالعظيم زاهر ، وصوته الذى كان علامة رمضان المميزة وفاكهة رمضان المحببة الى النفوس ، وكان هناك عبقرى النغم والتلاوة الشيخ على محمود ، أعظم صوت رفع الأذان فى تاريخ الأمة بعد صوت مؤذن الرسول سيدنا بلال والى جانب هؤلاء كان هناك عشرات من "المقرئين" المبدعين ، الذين تجاوزت شهرتهم حدود مصر الى الخارج ، فى وقت لم يكن العالم قد عرف من وسائل الاتصالات إلا التلغراف . الشيخ الفيشاوى والشيخ القهاوى والشيخ منصور بدار ، الذى اختاره الخليفة العثمانى ليكون قارىء الخلافة ، وشهد فترة من بزوغها وعاش حتى شهد سقوطها ، وعاد الى مصر ، وكان مأتم الزعيم سعد زغلول هو آخر مناسبة شعبية تربع فيها الشيخ بدار على دكة "المقرئين" ولكن كان هذا زمان ومضى ، وخلت الساحة الآن إلا من قلة قليلة لا تتجاوز اصابع اليد الواحدة ، وهذه القلة الموهوبة هى التى حفظت دولة التلاوة

من الزوال ، الشيخ عبدالباسط عبدالصمد والشيخ الطبلاوى والشيخ مصطفى غلوش ، وسيصيبك الاجهاد حتما لو حاولت البحث عن آخرين لتضمهم الى قائمة الموهوبين وسط هذا الكم الهائل من "المقرئين" الذين تزدحم بهم مصر هذه الايام . والصوت الجميل فى دولة التلاوة ليس ترفا ، ولكنه شرط اساسى لابد أن يتوافر فى كل من يتصدى لهذا الفن الجليل . وحتى رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سمع موسى الاشعرى وكان حسن الصوت يقرأ القرآن ، فاعجبه ، فقال له : لقد اوتيت مزمارا من مزامير آل داود ، لو رايتنى وأنا اسمع قراءتك البارحة !! وعن رسول الله ايضا ، ان رجلا من الصحابة جاء اليه بعد الانتهاء من بناء المسجد ، وقال له يارسول الله ، لقد رايت فيما يرى النائم اننى اصعد على ظهر المسجد فادعو الناس الى الصلاة قائلا الله اكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد ان محمدا رسول الله ، حى على الصلاة حى على الفلاح ، لا إله إلا الله ، فقال له رسول الله نعم ما رايت ، فهرول الرجل يريد الصعود الى سطح المسجد ليؤذن للصلاة ، فاستوقفه الرسول وقال له : دع بلالا يؤذن ، فانه اندى منك صوتا . باللقيادة الحكيمة الجليلة ، التى تضع الرجل المناسب فى المكان المناسب . لقد انتهت مهمة الرجل ، فرأى فيما يرى النائم حلما . ولكن دوره توقف عند هذا الحد . أما تنفيذ الحلم فى الواقع ، فسيعهد به الى رجل اخر اصلح فى تنفيذه من الرجل الذى رأى فى المنام . ليه ؟ ليس لانه صاحب سلطة أو صاحب نفوذ ، أو من الانصار المقربين ، ولكن لانه اندى صوتا . الصلاحية هنا للموهبة والعمل لمن يستطيع القيام به ، والشرف لمن يستحقه . وهكذا صار سيدنا بلال هو مؤذن الرسول ، لا لشىء ولا لسبب الا انه كان أندى صوتا . لم يعد الان فى الساحة من هذا الصنف العظيم الذى هو اندى صوتا ، الا عمنا الشيخ عبدالباسط عبدالصمد ، نسأل الله أن يخفف عنه وطأة مرض السكر ، والشيخ الطبلاوى الذى لم تشهد دولة التلاوة مثيلا له من قبل ، والشيخ مصطفى غلوش الذى استطاع ان يتخلص تماما من تاثير الشيخ مصطفى اسماعيل ، واتخذ لنفسه مدارا خاصا ، وصار بذلك واحدا من اقمار دولة التلاوة وحجز لنفسه مكانا مع عباقرة المقرئين .

ولكن الصورة بعد ذلك لا تسر عدوا ولا حبيبا مقرئون اخطأوا طريقهم الى حلبات الملاكمة واشتغلوا بالترتيل ، باعتباره أحسن من كافة شىء يغضب الرحمن الرحيم ومقرئون لا يعرفون الف باء علم القراءات احدهم ـ وقد تدخل الازهر فمنعه من القراءة ـ مع انه صاحب صوت جميل ولو كان الشيخ اياه على دراية بفن القراءة ، لكان له الآن شأن آخر . الشيخ اياه ـ ولا داعى لذكر الاسم ـ تصور ان القراءة بالسبعة هى تكرار الاية سبع مرات ، وكل مرة بلون مختلف ولانه فهم السبعة على هذا النحو ، فقد خرج بقراءته عن الشكل السليم ، وتصرف فى كلام الله بما لايتفق مع الاصول .. ولا يليق !! استمعت اخيرا الى شريط من اشرطته التى يتداولها الناس فى السوق سرا وبلا رقيب كان حريصا على قراءة الاية سبع مرات ، باعتبار ان هذه هى القراءات السبع حسب فهمه لها وليس حسب القواعد والأصول وقد

أرعش حاجبى صوته الجميل وهو يقول : "اذ قال ابراهيم ربى اجعل هذا البلد امنا" كررها سبع مرات . مرة اذ قال إبراهيم ، ومرة اذ قال ابراهام ، ومرة اذ قال برهيم ، ومرة اذ قال برهوم . ولاداعى لذكر الباقى ، لان ناقل الكفر كافر ، ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم ، والقراءات السبع لفضيلة الشيخ اياه ولغيره من المشايخ الذين اشتغلوا بالقراءة من باب اكل العيش ، وباعتبار ان الحنجرة البطالة نجسه ، واعمل بخمسة وحاسب البطال ! اقول لهؤلاء جميعا ان القراءات السبع علم يجب على المقرئين ان يتعلموه . وكتاب القراءات السبع لمؤلفه أبى بكر أحمد بن موسى بن العباسى بن مجاهد التميمى البغدادى المتوفى سنة ٣٢٤ هجرية . وقد اعتمد القواعد التى قرأ بها سبعة من كبار القراء ، وهم أبو عمرو من أهل البصرة ، وحمزة وعاصم من أهل الكوفة وسوادها والكسائى من أهل العراق . وابن كثير من أهل مكة ، وابن عامر من أهل الشام ، ونافع من أهل المدينة وكل منهم كما وصفه ابن مجاهد فى مقدمة الكتاب المعرب العالم بوجوه الاعراب والقراءات العارف باللغات ومعانى الكلام ، البصير بعيب القراءات المنتقد للاثار وفى تعريف الديماطى البنا لعلم القراءات علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم فى الحذف والاثبات ، والتحريك والتسكين والفصل والوصل ، وغير ذلك من هيئة النطق والابدال وغيره من حيث السماع . وببساطة وبدون حذلقة سأحاول أن اشرح للقارىء باختصار وعلى قدر الطاقة نماذج من التعديل والتبديل والحذف وكما يسمح علم القراءات ..

خذ مثلا بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين تقرأ (مالك يوم الدين) ويجوز ايضا (ملك يوم الدين) ومثلا (ويضيق صدرى) يجوز قراءتها برفع يضيق ويجوز نصبها ايضا ومثلا (انظر الى العظام كيف ننشزها) وتقرأ (ننشزها) بالزاى المعجمة ، وتقرأ ايضا ننشرها بالراء المهملة ، ومثل (وزادكم فى الخلق بسطة) بالسين المهملة وتقرأ ايضا (بصطة) بالصاد المهملة .. و(طلع منضود) وتقرأ ايضا (وطلح) بالحاء المهملة و(جاءت سكرة الموت بالحق) وتقرأ ايضا (وجاءت سكرة الحق بالموت) و(ما عملت ايديهم) وتقرأ ايضا (وما عملته ايديهم) و(ان الله هو الغنى الحميد) وتقرأ ايضا (ان الله الغنى الحميد) ومن معالم القراءات ايضا الاظهار والادغام والاشمام والتفخيم والترقيق والمد والقصر والامالة والفتح والتحقيق والتسهيل والابدال والنقل هذه كلها اوجه اختلاف فى علم القراءات وليس من بينها طبعا بدعة تغيير اسماء الإعلام فننطق مرة إبراهيم ومرة ابراهام ، ومرة برهيم ، ومرة برهوم . كما فى قراءة الشيخ اياه ! ولكن مصيبة هذا الشيخ ارحم من مصيبة غيره ، لان هذا الشيخ لو تعلم اصول القراءات لكسبنا به نجما ساطعا فى دولة التلاوة فصوته جميل وقوى ، وهو يشبه قيثارة فى يد عازف مبسوط ! أما مصيبة الاخرين ، فهى

مصيبة نسأل الله ان يرفعها عن كاهلنا وان ينجينا من شرها فكلهم بلا صوت ، وبعضهم بلا دراسة . استمع الى احدهم احيانا فادرك فوائد ان يصاب الإنسان بالصمم والغريب ان اغلبهم مواهب تفتحت بعد الاوان ! فبعضهم يدور حول الستين أو فوقها ، وأسماؤهم عجيبة كأصواتهم .. الكرداسى والباسوسى والسويسى والجاموسى والبرقاشى والاسماعيلى ولعلنا نسمع قريبا عن الاوليمبى اعوذ بالله ! وهناك بين المقرئين فى الساحة من كنت اتوقع له خيرا فى قادم الايام ، ولكنهم توقفوا عند الحد الذى وصلوا اليه ولم يتقدموا خطوة واحدة بعد ذلك ، كالشيخ احمد الرزيقى ، وهناك من درس علم القراءات ولكن امكانياته الصوتية ليست على مستوى علمه ، فتفرغ فى نقد اصحاب المواهب على طريقة مدرس النحو العربى عندما يتفرغ لنقد الموهوبين من الشعراء كما الاستاذ الشيخ أحمد شعبان ! ثم لا شىء بعد ذلك فى دولة التلاوة الا حناجر مبحوحة واصوات مشروخة ، وافتح اذنى على كثير ولكن لا اسمع أحدا . والسؤال الان هل عقمت مصر ؟ هل جفت ينابيع المواهب ؟ هل ذبلت شجرة التلاوة ؟. الجواب لا بالطبع لان مصر ولادة والارض التى انجبت محمد رفعت وانجبت من قبل أحمد ندا ، ومنصور بدار وعلى محمود وانجبت بعدهم الشعشاعى وشعيشع وأحمد سليمان السعدنى وهريدى الشوربجى والسنديونى والبنا والمنشاوى والدروى وعبدالعزيز على فرج والطوخى والفيومى والبهتيمى والنقشبندى والفشنى وعبدالسميع بيومى . هذه الأرض الطيبة قادرة على العطاء والانجاب فى كل وقت . واذا كانت بعض العواصم العربية قد اغراها فترة القحط الحالية التى اصابت دولة التلاوة ، فخرجت على الناس بمزاعم عن مدارس بغدادية فى التلاوة ومدارس دمشقية ، فهى كلها مزاعم ولا اساس لها من الصحة . واحيانا استمع الى بعض المقرئين فى تلك البلاد فيزداد ايمانى بالحكمة الشعبية (تشوف بلاوى الناس ، تهون عليك بلوتك) والعبد لله ـ والحمد لله ـ سميع قرآن قديم ، وتشرفت بمعرفة الشيخ محمد رفعت قبل موته ، وسعدت بصداقة الشيخ الصيفى والشيخ الشعشاعى والبنا والشيخ محمد سلامة والشيخ مصطفى اسماعيل والعبد لله دراسة عن فن تلاوة القرآن صدرت منذ ثلاثين عاما فى كتاب بعنوان "الحان السماء" ولكن هؤلاء الذين كتبت عنهم فى الحان السماء مضى اغلبهم الى رحاب الله . ولكن من نعم الدهر علينا اننا فقدناهم باجسامهم بينما أصواتهم لا تزال بين ايدينا فى اشرطة بعضها صالح وبعضها لا باس به وفى هذا الشهر الفضيل شهر رمضان المبارك ، أرجو أن تستعين اجهزة الإعلام بأصوات العباقرة الذين انتقلوا الى رحمة الله ، فهذا اجدر وأنفع عند الله والناس . أما البقرى والجاموسى والبنى سويفى والدهشورى والاطفيحى فاتركوهم يحلون عن قفانا ويسرحون فى بلاد الله وخلق الله ورحم الله

الشيخ محمد رفعت عمدة المقرئين فى زمانه وفى كل الأزمان ، والذى عاش حياته كلها فى حى البغالة والذى كان يستخدم الترام والاتوبيس والتاكسى احيانا فى مواصلاته ، والذى لم يحدد تسعيرة لنفسه كما يفعل كل مشايخ هذه الايام ، والذى جمع فى حياته كلها من قراءة القرآن اقل مما يحصل عليه الشيخ الدهشورى - اى دهشورى - فى ليلة واحدة ! وياعمنا الكبير الشيخ محمد رفعت فى هذا الشهر الفضيل شهر رمضان المبارك اقرأ الفاتحة على روحك وبالنيابة عن جميع المقرئين اعتذر لك !

والحساب يجمع

هل انت مديون ؟ هل يطاردك البواب والبقال والجزار وموظفو الضرائب والعسكر والمحضرون ؟ هل تعانى الهم فى الليل والذل فى النهار والقلق فى كل الاوقات ؟ اذا كنت كذلك فانت غلطان وعبيط وجاهل باصول علم الاقتصاد الجديد ولا تعرف قواعد المال فى العصر الحديث . ونصيحتى لك الآن أن تنسى همك وتتخلص من قلقك وتمضى فى طريقك منشرح الصدر . مرتاح الفؤاد !!

فالمديون الآن هو سيد الموقف وكلما غرقت فى الديون أصبحت فى أحسن حال .. أما الهم والذل والقلق والغضب والتفكير فى الانتحار فهو من نصيب الدائن ، الذى اراد أن يستثمر أمواله للحصول على مزيد من الاموال فاقرضها لامثالك من المفلسين !!

ومن الآن فصاعدا .. اقترض ولا تهتم .. وانفق ما تقترضه ولا تعمل حساب الغد ، الغد فى علم الغيب ، ومهما يكن حال الغد ، فانت الاقوى وأنت فى الوضع الافضل ، وانت السيد ، وانت صاحب الأمر والنهى، بينما الدائن هو الذى يبكى ويلطم ويصرخ ، لانه هو الذى تعرض للنصب ، وتعرضت فلوسه "للهبر" وما عليك الآن الا ان تنام ، وعلى الدائن أن يبقى ساهرا يضرب أخماسا فى أسداس ، واذا كان هذا الحال بين المديون والدائن فى دنيا الناس ، فالحال أسوأ بين المديون والدائن فى دنيا الدول والحكومات فالدول الدائنة تعد على اصابع الكفين بينما الدول المديونة هى بقية دول الأرض .

واصل الحكاية ان الدول الغنية إياها كانت تستعمر الدول الفقيرة إياها وخلال فترة استعمارها نزحت خيراتها ومصمصت عظامها وقضت على الاخضر واليابس ، وعندما رحلت الدول الغنية لم تترك على أرض الدول الفقيرة الا عدة كيلو مترات من الاسلاك الشائكة ، وعددا من العملاء ومجموعة من مقابر الشهداء ! ولكن لان الدول الغنية اياها قلبها كبير ونفسها حلوه ونواياها طيبة ، فقد مدت يدها للدول الفقيرة فاقرضتها على النوتة . والحساب يجمع . وعام بعد عام رحبت الدول

الفقيرة بالديون فاقبلت عليها ، وهات يالقتراض وهات يافلوس ، بفوائد كانت ضئيلة فى البداية فلما تأخرت فى السداد تضاعفت الفوائد ، فلما تلكأت فى السداد تضاعفت الفوائد ، ثم ظلت تتضاعف بعد ذلك والدول الفقيرة تقترض ، والفوائد تتضاعف والفقراء يأخذون ، والاغنياء يدفعون وكله على النوتة .. والحساب يجمع !

ولأن الدول المقترضة كانت فى الاصل مظلومة ومحرومة ، آخر فقر ، وآخر غلب ، فقد اهتمت بالمظاهر والمباهج ، وانفقت القروض على شوارع وكبارى ومطارات ومحطات إذاعة ومحطات تليفزيون وشبكات تليفون ، وصارت مثل الاقرع النزهى ، لا ثروات حققت ، ولا مصانع اقامت ، ولا عائد استفادت وخرجت فى نهاية الامر بديون كثيرة وفوائد اكثر ، وعجز كامل عن السداد .

وكان هذا هو الموقف بالضبط فى بداية الثمانينات . دول دائنة ودول مديونة ، وبنك دولى يقوم بين الاثنين بمهمة الحكم فى مباريات كرة القدم . والحكام - خصوصا فى كرة القدم - اشكال على ألوان . هناك حكم موالى ، وهناك حكم مدالس وهناك حكم بهواه مع فريق ضد فريق ، وهناك حكم قابض ومتفق ، ونتيجة المباراة فى جيبه قبل ان يطلق صفارة البداية . اما البنك الدولى فقد كان من النوع الموالى والمدالس والذى يميل مع هواه ومتفق وقابض ويضع فى جيبه نتيجة المباراة . وعندما شعرت الدول المديونة بالغبن من ظلم الحكم تململت ثم شكت ثم هتفت ضد الحكم ، ثم ضد الحكم والفريق الخصم ، ثم زعقت وصرخت ، ثم تركت مقاعدها واقتحمت اسوار الملعب وهات ياتحطيم فى المقاعد وياتكسير فى المدرجات ، وياضرب فى المتفرجين واللاعبين والحكام .

وفى البداية اهتدت الدول المديونة الى حل هو فى الاصل من اختراع الدول صاحبة الديون ، وصار جدولة الديون هو شعار المرحلة وأنت تجدول الديون ، اى انت تؤجل سدادها ، وانت تؤجل سدادها فانت تدفع مزيدا من الفوائد ليس على الديون فقط هذه المرة ، ولكن عليك أن تدفع على الديون وعلى الفوائد ايضا . وهى نظرية اقتصادية من اختراع الخواجة شلهوب . وهى اشبه بالنظرية المصرية الشهيرة التى وضعتها عالمة الاقتصاد زوبة الكلوباتية فى القرن الماضى خشبة حبشى . حبشى مين ؟ صاحب الخشبة !!

.فانت تقترض وتظل تقترض ، وتدفع الفوائد فقط ثم تقترض ثم تظل تقترض فاذا عجزت عن دفع الفوائد فلا مانع من ان تقترض وتظل تقترض وتستطيع جدولة الديون فتؤجل الدفع ثم تقترض وتظل تقترض ثم تقترض وتظل تقترض ثم تظل تقترض .. على رأى فؤاد المهندس حتى تعجز تماما عن الدفع وعن الاقتراض وعن الحياة .

وكان هذا هو الذى حدث بالضبط والعالم على ابواب العام ١٩٨٥ واتضح للدول

المديونة ان الجدولة هى شىء مثل "الكروته" ، لا تحل وتربط ، ولا تشبع ولا تسمن ولا تغنى من جوع . وكان لابد من حل آخر واهتدت دولة من كبار المديونيين الى الحل الامثل والممكن الوحيد : اشهرت البرازيل افلاسها واعلنت العصيان فلا تسديد ولا جدولة ولا يحزنون .. وكانت قنبلة اقوى الف مرة من قنبلة هيروشيما وافتك الف مرة من قنبلة ناجازاكى ووقعت الدول الدائنة فى حيص بيص هددت فى البداية واستعرضت عضلاتها فى البر والبحر وفى الجو ايضا وعقدت الدول الغنية الكبرى فى كندا اجتماعا خاصا وهددت فيها بالويل والثبور وعظائم الامور ، وصرح واحد من اقطابهم نظام النقد العالمى فى خطر وان النظام المصرفى الحالى على وشك الانهيار ، وان العالم كله ذاهب الى كارثة .. وردت الارجنتين ومال له .. وماذا يضير الشاة سلخها بعد ذبحها ؟

وكانت تصريحات عبيطة فى الواقع ، كانت اشبه بصرخة رجل مقتدر اكول يلتهم خروفا فى كل وجبة .. ويحلى بتكعيبة عنب ويحبس بجردل شاى ثم يضجع ليدخن صندوق سيجار هافانا من صنف المونتكريستو ، وقف يخاطب قطيعا من المسئولين والجياع ويهددهم بان اللحوم ستختفى والفواكه ستصبح شحيحة فى الاسواق ، وسيجار "المونت كريستو" لن يسمح باستيراده من خارج الحدود .

وتمخض الجبل فولد فأرا ، واعلنت الدول الدائنة عن فترة سماح للدول المديونة لكى تدبر امورها ، وتطور شئونها ، وتتقشف من أجل دفع ديونها ، وهى على كل حال تستطيع أن تستدين وكله على النوتة والحساب يجمع !!

وعادت ريما لعادتها القديمة الفقراء يستدينون والاغنياء يدفعون ، وخيم صمت مريب على الجميع ، انتقلت المسألة من عصر الجدولة ، ومن عصر السماح الى عصر السكوت عن الكلام المباح ، فلا حس ولا خبر ، ولكن الطريقة البرازيلية وجدت لها مريدين ودراويش وانصارا ، الارجنتين صارت على الطريق ، والمكسيك اصبحت عضوا فى حلقة الذكر ، وانتظمت دول امريكا اللاتينية كلها فى باقة واحدة ، وغطرست وصهينت عن دفع الديون ، ومنين اجيب ناس لمعناة الكلام يتلوه !

آسيا هى الاخرى ضربت بومبه وهددت دولها باعلان افلاسها علنا وعلى مشهد من الجميع اما افريقيا الغلبانة المكسورة فلم تستطع حتى أن ترفع صوتها بالاحتجاج ، فالمجاعة تخيم على القارة السمراء ، والايدز يأكل احشاءها والديون تضغط على رقبتها وهى ديون لاتحتملها افريقيا ، ولا تستطيع سدادها ولافى الف عام .

فى المقابل بدأت ردود الفعل فى الجانب الدائن .. استبد القلق بالدول الغنية ، وسيطر الخوف على البنوك العالمية ، وانبعثت أول اشارة من بنك "ميدلاند"

البريطانى . اعلن ان ديونه لدى دول العالم الثالث بلغت الفى مليون جنيه استرلينى وقال ان الامل ضعيف فى استرداد هذه الملايين بسبب الاحوال الاقتصادية المتردية وعجز الحكومات المدينة وقام بخطوة عملية فباع كل فروع البنك فى اسكتلندا واضاف انه فى سبيل اتخاذ خطوات اخرى مماثلة .

البنوك الاخرى اتخذت تدابير اخرى وان كانت لم تعلن عن ذلك ولكن العليمون ببواطن الفلوس يؤكدون ان سوق المال يقف الآن على ابواب ازمة لا يعلم مداها الا الله .. ولقد بدات المشاكل تهل على سوق المال خلال هذا العام ، البورصة تنهار فى يوم وليلة ، السندات تفقد تسعة اعشار قيمتها فى لحظة ، الاسهم ذهبت مع الريح وتطايرت فى الفضاءة والدولار راح يهوى ثم يهوى ، ماعدا فى مصر المحروسة فقد راح يعلو ثم يعلو بدون منطق وبلا اسباب .

والموقف الآن فى سوق المال العالمى مضحك للغاية . الناس اللى تحت ـ المديونيون ـ ينامون براحتهم وياكلون ارزا مع الملائكة ويحلمون احلاما وردية . والناس اللى فوق الدائنون يمشون على الشوك وينامون على المسامير ، ويلطمون الخدود ويشقون الجيوب ، كما كانت تفعل ستى بهانة فى ايام الجاهلية .

ويقول الخبراء ـ وأنا لست منهم ـ ان العالم الغنى على ابواب كارثة حقيقية ، وانه ليس امامه الا طريقان ، طريق السلامة وطريق الندامة ، ومفتاح الحل فى يده وعليه ان يختار فاما يركب راسه ويطالب بديونه ويقاضى الدول المديونة أو يحارب من اجلها . والنتيجة فى هذه الحالة هى انهيار سوق النقد العالمى وانهيار النظام الراسمالى كله .. أو بمعنى آخر انهيار الدول الغنية وحدها ، وخراب الدول الغنية ليس الا .. لان الدول الفقيرة تفتقر والدول الخربانه لن يطولها الخراب .. وإيش يأخذ الريح من البلاط ؟

الحل الثانى هو ان تتنازل الدول الكبرى عن ديونها وتستطيع ان تكذب وتدعى انها تقدم الديون مجرد هدية متواضعة الى الدول التعبانة والدول الغلبانة وتبدأ من جديد فى فتح النوتة وتسجيل القروض .. والحساب يجمع ! ويقف العالم الآن فى مفترق الطريق فاما الى سكة الندامة بالنسبة الى الدول الغنية وإما الى سكة السلامة بالنسبة للجميع ولا احد يعرف على وجه التحديد ، فى أى اتجاه ستمضى الدول الغنية .

ولكن يبدو للعبد لله ان هذه الدول لانها غنية فهى ايضا مفترية ولذلك فكل الدلائل تشير الى انها ستركب الطريق الصعب وتحفر قبرها بيدها فدول السوق الاوروبية مثلا تخلصت من ملايين الاطنان من القمح والزبد بالقائها فى البحر حتى تحافظ على استقرار الاسعار تصوروا مئات الملايين من القمح والزبد تذهب الى البحر ومئات الالوف من ابناء افريقيا يذهبون ضحية المجاعة الى القبر والاكاده ان

أجهزة الإعلام فى أوروبا تقيم كل ليلة سرادقا للعزاء فى مأتم افريقيا وتدعو المواطنين !! الى التبرع لانقاذ ضحايا افريقيا .

هل رأيتم مثل هذا من قبل ؟ يتبرعون بالقروض لضحايا افريقيا ويلقون الى البحر بملايين الاطنان من القمح والزبد .. وملعون ابو افريقيا وعلى راى الشاعر .. ليتها لم تزن ولم تتصدق .

ومهما يكن الامر وسواء اختارت الدول الغنية سكة السلامة أو سكة الندامة فلا خوف على من استلف ولا جناح على من بات مديونا فما الذى سيخسره الذين خسروا كل شيء ؟ سيخسر فقط الذين احتكروا خيرات العالم والذين نهبوا كنوز الاخرين والذين امتصوا عرق جميع الاجناس من أجل ان يصبح جنسهم هو سيد العالم ، الآن أن للسيد ان يتنازل عن ديونه او يتنازل عن وجوده .. وأن للمديون أن ينام ويتمطع ويتثاءب وان ينهض وينطلق خفيفا لطيفا آخر روافة وآخر انسجام .

وهذا المقال ليس بقلم العبد لله ، ولكنه بأسلوب العبد لله فأنا فى علم الاقتصاد كخالتى نفيسة فى علم الفضاء . والمعلومات التى وردت هنا هى ترجمة امينة لمناقشات دارت بين العبد لله وبعض العالمين ببواطن الفلوس فى لندن . خلاصة القول ان المعلومات من عند الخبراء .. والاسلوب من عندى وكله على النوتة .. والحساب يجمع !

إنشـــالله مــــهندس !

لا اعرف ما الذى جرى اخيرا للمصريين لم نعد نحتمل الحر . وبيوتنا صارت ماوى لأجهزة التكييف واجهزة التبريد . والعبد لله شخصيا اصبح يصيبه الدوار فى الحر ، ووقتى كله اقضيه الى جانب جهاز التكييف ، واحيانا اتمنى لو اننى كسرت الجهاز ودخلت فيه . ولا اعتقد ان الجو اختلف الان عن زمان ، ولكننا ايام زمان كنا نحتمل الحر ، ونعانى الفقر ، دون شكوى او احتجاج .

فى حقبة الاربعينات كنت لا اتصور وجود ملابس صيفية واخرى للشتاء .. كانت البدلة واحدة لكل الفصول . وكان الحذاء الذى يصنعه الاسطى أمين الجب لاينخلع من قدمى على مدار العام .. وكان المصيف المختار للعبد لله فى قريتى على شاطىء النيل فى الدلتا . وكانت ترعة سبك هى حمام السباحة المفضل للبلبطة والغوص فى الأعماق . ولم أذهب الى الاسكندرية فى صباى المبكر الا مرة واحدة وفى ظروف رهيبة ، ووقفت عند الشاطىء أحدق فى الافق البعيد على أمل أن أشاهد أوروبا . وعدت من هناك بقصص كثيرة عن اليونان التى رأيتها من شاطىء الإسكندرية ، والعجيب انهم جميعا صدقونى ، لأن احدا منهم لم يكن قد رأى الإسكندرية بعد ! وفى تلك الأيام البعيدة كان استاذنا زكريا الحجاوى يملك بدلة واحدة ، وكان نوع قماشها كفيل بجلب السخونة لطابور عسكرى يقاتل فى صحراء سيبيريا ! وكانت هذه البدلة هى عدة زكريا الحجاوى لمواجهة الحر فى شهور الصيف . وكان يحلم دائما بظل شجرة فى الريف وقلة قناوى ليرتشف منها الماء البارد على مهله وبصوت مسموع ، وبطريقة تسمح لقطرات الماء بالتسلل الى وجهه ورقبته . وكان يبدو أسعد من الملك فاروق وهو يجلس فى أمسيات الصيف على رصيف قهوة عبدالله وقد ارتدى الطقم كاملا ـ البدلة والكرافتة والطربوش ـ بينما نسمة هواء صايعة متسكعة تضرب رصيف القهوة بين الحين والحين !

ولم أشاهد زكريا الحجاوى فى غير القاهرة فى أى صيف خلال تلك الأيام . وكان صديقى وصديقنا الشيخ عبدالحميد قطامش المحامى الشرعى يرتدى جبة من الصوف الثقيل ، وقفطانا من التيل المصرى ، ويضع على رأسه عمامة من النوع الملفوف بعناية على طريقة أبناء طائفة السيخ !

وكان الشيخ قطامش زعيما لحركة المشائين ، وكان يعتقد أن وسائل المواصلات هى رجس من عمل الشيطان ، ووسيلة لمفرتة الحياة لاتليق بالبنى آدمين ! وكان يحضر الى القهوة ساعة المغربية عرقه مرقه كما يقولون ، ثم يطلب لنفسه واحد شاى ساخن جدا ، وكانت هذه هى طريقته فى التكيف مع الحر ، والحصول على درجة عالية من التبريد ! وكان صديقى المرحوم احمد العبادى المنجد (ابو حسن) يرتدى فى شهر اغسطس الجلباب البلدى الصوف وبالطو كشمير من ايام العز القديم ، وسروال صوف يصل حتى الكعبين ، وفانلة صوف باكمام طويلة ، ويضع على راسه (طربوش) ماركة نسر ، ولكنه كان حريصا على وضع منديل محلاوى تحت الطربوش ! وكانت كلمته الابدية (اللى يمنع البرد يمنع الحر ياأستاذ) ! ويبدو أنها حقيقة علمية ، وهذه الملابس الثقيلة توفر للجسم درجة حرارة لطيفة تجعله يحس بأنه على شاطىء كان ! وكان صديقى الحاج ابراهيم نافع فلاح الجيزة يذهب نيابة عن عائلته لتشييع جنازات المعارف والاصدقاء ، ويسير على قدميه خلف الجنازة حتى مقابر الامام الشافعى ، بينما هو يرتدى فى شهر يوليو جلبابه الصوف وعليه عباءة صوف ، وبالرغم من ذلك لم يكن يشعر بأى ضيق ، ولم يكن يدرك أنه فى نفس اللحظة يوجد ناس آخرون ينامون عرايا زلط ملط على شواطىء البحار ! وزمان ايضا كنت اسعى مع الرسام الفنان طوغان لنشر انتاجنا على صفحات الصحف ، وكنا نخرج من الجيزة فى الصباح فلا نعود اليها الا بعد منتصف الليل ، وأحيانا كثيرة كنا نعود مشيا على الاقدام ، أحيانا قليلة لعدم وجود مواصلات ، وأحيانا كثيرة لعدم وجود فلوس .. وكنا فى اوقات كثيرة نقطع الوقت من العتبة الخضراء للجيزة فى استعراض مشاكلنا ، ولم يكن من بينها أبدا الضيق من حرارة الجو ، أو الشكوى من قسوة المناخ !

ما الذى حدث للمصريين اذن ؟ وما الذى جرى لهم هذه الأيام ؟ والله يرحم زمان أيام زمان ، عندما كان الصعيدى البطل يتولى وضع أساس العمارات الضخمة قبل اختراع الالات الحديثة . وكان يلف جسده بشوال ، ويلف قدميه بعدة خرق ، ويمسك فى يده (بازمة) يدق بها الارض ، ويستغرق العمل فى هذه العملية عدة أسابيع ، وربما عدة شهور ! وكان الصعيدى البطل هو الذى يرفع عشرات الأطنان من الزلط والطوب والاسمنت ويصعد بها على السقالة الى الدور العاشر ، فى حركة دائبة مستمرة من الصباح الباكر وحتى مغيب الشمس . أين هذه النماذج الأن ؟ وأين ضاعت الهمة والمروة والقدرة على الاحتمال ؟..

والله يرحم زمان وأيام زمان ، كنت اكتب أحيانا خمس مقالات فى اسبوع واحد ، وأكتب سلسلة كاملة لإذاعة صوت العرب فى خمسة أيام ! ومع ذلك لم اتخلف ليلة واحدة عن السهر مع شلة الأصدقاء فى كازينو الكوبرى ، ولم اتخلف مرة واحدة عن الحضور الى الجريدة فى الميعاد ! وعندما توليت رئاسة تحرير مجلة اسبوعية فى الخليج طلبت من محرر شاب أن يكتب لى موضوعا معينا على

وجه السرعة ، فوعدني بأن يبذل كل جهده وحدد موعدا لكتابة الموضوع بعد أسبوع !..

هل ياترى ، ماهو السبب فيما جرى للمصريين فى هذا الزمان ؟ هل هو ارتفاع مستوى المعيشة ؟ لاشك أن مستوى المعيشة ارتفع بشكل ملحوظ هذه الايام . وبعض المصريين الذين كان ركوب الترام بالنسبة لهم ترفا شديدا ، اصبحوا يملكون سيارات خاصة الآن ! وبعض الناس الذين كانوا يعرفون شكل اللحم من النظر اليها فى معرض الجزار ، صاروا ياكلون اللحم الآن بانتظام . ومصريون كثيرون كان السفر الى بنها بالنسبة لهم مغامرة تستحق الدراسة ، سافروا الى بلاد شتى فى العالم العربى وفى أوروبا ، وبعضهم سافر الى امريكا نفسها ، ورايت بعضهم فى العام الماضى فى مؤتمر (المستثمرين) ! ولكن من قال ان ارتفاع مستوى المعيشة يفقد الإنسان الهمة والمروة والقدرة على الاحتمال ؟ الالمانى ارتفع مستواه بعد الحرب مباشرة من الحضيض الى الفضاء ومع ذلك يشتغل كالنملة ، وينتج كالنحلة ، وبضاعته حاضرة وضاربة السوق فى كل مكان ! واليابانى ارتفع مستواه من تحت الحضيض الى كوكب الزهرة ، ومع ذلك يعرق اليابانى بشدة ، ويكدح بذمة ، وبضاعته هى الأولى وتزاحم فى داخل امريكا نفسها بضاعة الامريكان ! ونفس الشيء ينطبق على الصينى وعلى الكورى وعلى شعب تايلاند الذى كان أغلب من الغلب ، وافقر من الفقر ، واشقى من الشقاء . والعبد لله زار تايلاند فى عام ١٩٦٧ ، وكانت الشوارع بطيئة والسياح كثيرون ، ولكن المتسولين كانوا اكثر من السياح .. وزرتها فى العام الماضى ، فإذا بها دولة اخرى مختلفة ، السياح تضاعفوا والمتسولون اختفوا ، الشوارع صارت كشوارع لندن والعمارات كعمارات باريس ، والفنادق كفنادق اسبانيا ، والانتاج على ودنه وفى كل مجال ، لدرجة ان تايلاند صارت تصدر الارز والسمك لليابان والصين ، واصبحت الدولة رقم ٧ فى تصدير الغذاء على مستوى العالم كله !..

أنا أرجو مخلصا انشاء مجلس قومى بعيدا عن المجالس القومية المتخصصة ، لدراسة هذه الظاهرة الغريبة . وليكن هدف المجلس اياه معرفة الأسباب التى ادت بالمصريين الى هذه الحالة الغريبة نريد بضائع حاضرة وجاهزة ولكننا نرفض الاشتراك فى أى انتاج نستسهل الاستيراد ونحجم عن اى انتاج بأيدينا .. نريد سيارات ركوب وتليفزيونات ملونة وثلاجات عشرة أبواب ، وبعضنا يعمل فى اليوم ساعة واحدة ، وبعضنا لا يعمل على الاطلاق ! نريد عقد عمل فى الخارج ، بشرط أن يكون المرتب مجزيا ، والسكن مريحا ، والسيارة مع البنزين ، ثم لا يهم بعد ذلك ان نجيد هذا العمل أو لا نجيده ! واحد بلدياتى زارنى منذ اسبوعين ، ومعه شحط ـ اللهم صلى على سيدنا النبى ـ وتوسل الى العبد لله أن يجد لهذا الشحط ابنه عملاً فى الكويت (عند أحمد الجار الله أو عند غيره هوه انت يعنى هتغلب) ؟

وعندما سألت بلدياتي عن نوع العمل الذي يمكن للمحروس أن يؤدية ، أجابني بثقة شديدة (أي حاجة ، انشالله مهندس أو دكتور) واكتشفت من خلال المناقشة انه يفك الخط بصعوبة ، وأنه يقرأ الجريدة اليومية بالقدرة ، وأنه لم يمارس أي عمل في حياته على الاطلاق . وعندما سألت الوالد : ولا الزراعة ؟ قال : هي العيال بتوع الأيام دي لهم تقل ع الزراعة ؟ ماشاء الله . انشالله مهندس أو دكتور . وماله ياخويا على راى الدكتور شديد بتاع زمان . وليس هناك اى سبب للبحث عن عمل للمحروس اياه الا انه يريد الزواج ، ويطمع في الحصول على شقة ، وشراء سيارة ، وماله ؟ ماه كل اللى راحوا الكويت انعدل حالهم وبقوا تمام !!

وأخشى ما اخشاه أن يبرز لي واحد من إياهم ، فيخطب خطبة عصماء في وجه العبد لله ، وقد يرجع أسباب خيبتنا الى ابتعاد الناس عن طريق الدين ، وقد يعيد على مسامعي الحديث اياه بتاع (وأن يزني الرجل بامه في حجر الكعبة أهون عند الله من فوائد البنوك) وانصح الاخ إياه بان يوفر على نفسه عناء مثل هذه الخطبة ، لانني موافق على أن البعد عن طريق الدين سيىء للغاية ، ولكنه ليس السبب في وكستنا العريضة وخيبتنا التي ليس لها مثيل . وايضا لان اليابان والصين وكوريا وتايلاند ليس لها اى دين ، فالصين شيوعية كما نعلم ، والدول الاخرى تدين بالبوذية ، والبوذية ليست من الاديان وبوذا نفسه لم يكن نبيا ، ولكنه كان رجلا طيبا وابن حلال وعلى باب الكريم . هناك سبب آخر في رأى العبد لله وقد لا يكون هو السبب الوحيد . هذا السبب افرزته مرحلة الانفتاح التهليبي ، حيث صار من المألوف ظهور عشرات من (رجال الأعمال وسيدات الاعمال) كانوا في الأصل مجرد أرقام في دنيا الناس ، وارتفعوا بطرق ليس ما بينها العمل أو الانتاج أو العبقرية في أي فرع من فروع الحياة .. والأمثلة كثيرة من أول عصمت السادات الى توفيق عبدالحى الى رشاد عثمان الى الست الفولاذية الى الحاج محمد لطفي الى نصاب الإسكندرية . وأعرف اشخاصا كانت كل مهنتهم بيع الكوارع ولحمة الرأس ، فإذا بهم فجأة يملكون الملايين ، وبعضهم ينفق عشرات الالوف كل ليلة في شم الكوكايين . وأعرف واحدا من إياهم يتاجر في الملابس المهربة ، ويستاجر شاليه في فندق كبير على حمام السباحة ويدعو كل ليلة عشرات من أبناء المجتمع المخمل ، وينفق في الليلة مبالغ تتراوح بين عشرين ألفا وثلاثين الف جنيه . واعرف واعرف حكايات مثل حكاوى الف ليلة وليلة ، عن مليونيرات ومليارديرات لم ينتج احد منهم سلعة ، ولم ينشىء احد منهم مصنعا ، ولم يشيد احد منهم جسرا ، ومع ذلك يعيشون عيشة الملوك وملك الملوك اذا وهب ، لا تسألن عن السبب ، فالله يعطى ما يشاء ، فقف على حد الأدب !! وهي كلمة يؤمن بها مليونيرات هذا الزمن الغريب العجيب . واذا كانت هذه هي النماذج وهؤلاء هم القدوة فكيف ندعو الناس الى العمل ؟ ولماذا العمل ؟ والثراء وقف على مثل هؤلاء

الناس ! واذا كان هذا هو السبب فى رأى العبد لله ، فانا لا ادعى انه هو السبب الوحيد ، هناك اسباب كثيرة ، سياسية واقتصادية واجتماعية ايضا ، على المجلس القومى الذى اقترحه ان يبحث عن اصول المشكلة وعن جذورها ايضا . فالناس لم يعد لديها جهد على العمل ، واغلبنا لم يعد يحتمل حر الصيف ، ونحن لا نصنع الا القليل ونريد الحصول على كل شىء . نريد العيش فى مستوى اليابانى وانتاجنا فى مستوى بوركينا فاسو . نطمع فى بحبوحة الالمانى وايدينا فى العمل أقصر من أيادى مواطنى تشاد . نحلم بحياة فرنسية وسوق العمل عندنا وخمان كسوق العمل فى بنها . معادلة صعبة للغاية ولابد إن نجد لها حلا . وإلا .. فاننا اذا اهملناها أو تركناها ، فالحل سياتى وحده . ولكنه سيكون حلا عسيرا على رأى بيرم التونسى . فى الربط نربط بسهولة والحل عسير !! عسير .. عسير .. عسير .. ياولدى !

وآخــر الزمــان ســيــعــود

كل عصر وله موضة ، وموضة هذا العصر هى كتابة المذكرات ، وحكمة الله أن كل المذكرات عاصرت ٢٣ يوليو ! ومن الصدف العجيبة ، ان كل الذين كتبوا المذكرات ، هم الذين أشعلوا شرارتها وصلبوا عودها ، وسندوها حتى وقفت على الأقدام ! كلهم كانوا ذلك الرجل ، ومهما كانت مواقعهم ، سواء فى مجلس قيادة الثورة ، أو كانوا من سكان البيت الذى يقع مباشرة فى مواجهة مجلس قيادة الثورة ، أو كانوا من رواد القهوة التى على يسار مجلس قيادة الثورة ! وكل منهم حريص على شرح كفاحه وجهاده ، ودائما فى سبيل مصر ، وفى خدمة شعبها ! وبعضهم تأخذه الجلالة فيحكى كيف وقف فى وجه محمد نجيب ؟ وكيف صفع عبدالناصر على وجهه ؟ وكيف وضع المسدس فى ظهر أنور السادات ؟ وكيف خطف الملك فاروق من قصره ؟ وكيف كان هو الوحيد الذى يختلى به عبدالناصر ويثرثر له بأخطر الأسرار !

فلا أحد غيره يعرف أن طائرة الرئيس كنيدى هبطت ذات مساء فى مطار الجيزة ، وكيف اجتمع كنيدى مع عبدالناصر على قهوة المعلم كتكوت خلف مستشفى أم المصريين ، وحتى لايلفت اجتماعهما نظر المراسلين الأجانب ! ولم يكن عبدالناصر وكنيدى وحدهما ، ولكن كان معهما السيد كعبورة كاتب المذكرات !

ويتجحبح السيد كعبورة أكثر ، فيحكى كيف بدا الغم على وجه كنيدى عندما انهزم فى الطاولة ، وحدق فى عبدالناصر طويلا ، وقال بلهجة لاتخفى على اللبيب : انت كسبت فى الطاولة ياسيادة الرئيس ، ولكن أنا ساكسب الحرب ! ولم يبلع عبدالناصر الاهانة ، ولكنه قفز كالنمر ، وضرب المائدة بقبضة يده ، فدلق الشاى على بدلة كنيدى الصوف المقلمة .. وقال لكنيدى فى ثبات : اذن هيا الى الحرب . وعلى الفور نشبت حرب اليمن التى قادها السيد كعبورة ، بينما كان عبدالحكيم عامر يتلقى أخبارها وهو قابع فى منزله بالجيزة ، فى الوقت الذى كان فيه عبدالناصر يختبىء خلف مكتبه فى منشية البكرى . وعندما وقع الجنرال دولار فى قبضة السيد كعبورة بعد معركة حامية على جبال اليمن ، قام بتكتيفه ونقله على

طائرته الخاصة ، ونزل به فى مطار حلوان ولم يكن فى انتظاره بالمطار الا جمال عبدالناصر ، وكم فوجىء السيد كمبورة بأن عبدالناصر يرتعش من عواقب هذا العمل ، وكيف توسل للسيد كمبورة ان يطلق سراح الجنرال دولار ، وكفى الله المتحاربين شر البنك الدولى ، ولكن السيد كمبورة لم يصغ لعبدالناصر ، ولم يلن امام كل الشفاعات والتوسلات ، وأطلق النار على الجنرال دولار ، وقطع رأسه ، وأرسلها فى خطاب الى كنيدى المغرور فى بيته الأبيض ! حكايات كثيرة من هذا النوع ، رواها السادة أصحاب المذكرات ، وفى أسلوب اشبه بأسلوب الحكايات الرخيصة التى ابتدعها بعض الناشرين السكة خلال فترة الحرب العالمية الأخيرة ، عن المرأة التى اكلت دراع جوزها ، واللحمة التى تكلمت فى الحلة ! وكانت تجد رواجا شديدا فى ذلك الزمان . ولقد أعجبنى مقالا كتبه الأستاذ حمد السعيدان ونشره فى جريدة السياسة الكويتية ، وأراد أن يسخر به من جميع الأبطال الذين كتبوا المذكرات عن دورهم فى ثورة ٢٣ يوليو فكتب هو الآخر عند دوره فى الثورة المصرية ، مع انه وقت قيام الثورة كان يقيم فى الكويت ، وكان فى العاشرة من عمره ، ولكن ماذا يهم ؟ مادام باب الاجتهاد مفتوحا ، وباب النشر مضمونا أيضا . كتب حمد السعيدان (فى يوم الثورة أمرت عبدالناصرر المذعور بالبقاء فى المكتب ، وأمرت محمد نجيب المنهار بالذهاب الى القشلاق ، وأرسلت انور السادات الخنوع لشراء خضار ولحمة من المذبح ، أما الطماطم فقد كلفت بها عبداللطيف البغدادى . وبعد ان تغديت ونمت فى البيت ، ركبت الدبابة واقتحمت بها مبنى القيادة ، وألقيت القبض على الملك فاروق وضيفه الملك زوغو ، ثم أرسلت جميع الحاشية الى مستشفى قصر العينى ، ثم قمت بتأمين القاهرة ، ثم اعلنت الجمهورية ، ثم اقمت الوحدة ، ثم اممت قناة السويس ، وقمت باختطاف مستر ايدن من منزله فى (قلب لندن) وما كتبه الاستاذ حمد السعيدان من باب التريقة لايفترق كثيرا عما يكتبه بعض الأبطال من شهود ثورة ٢٣ يوليو ، و٢٤ مارس ، و٢٥ يونية ، و٢٧ أغسطس فالعالم العربى الحمد لله عامر بالثورات والمذكرات أحد هؤلاء الابطال كتب فى مذكراته انه قام بتقييد جمال عبدالناصر وصفعه بالقلم ، ولم يطلق سراحه الا بعد ان استعطفه عبدالناصر وكتب له استرحاما ليعفوا عن سوأته ويغفر له خطاياه ! وهو قول لا يصدر الا من كاتب مذكرات طيب ، ويعتقد فى الوقت نفسه ان القراء من صنف الحمير الحصاوى .. اخر لياقة واحتمال ! لان عبدالناصر كما أجمع أعداءه قبل أصدقاؤه كان حاكما له هيبة وصاحب حضور ، وكان مجرد ظهوره فى اى مجال وفى اى مكان كفيل باسكات كل الالسنة ، وربما ارتعاش كل الجلود ، وربما انحناء كل الظهور ! والادهى أيها السادة القراء أن فى الطريق الينا مذكرات السيد حسن التهامى ، وهو قطب من اقطاب ثورة ٢٣ يوليو بدون شك ، فقد كان عضوا فى الخلية الأولى التى اسسها جمال عبدالناصر فى تنظيم الضباط الاحرار ، وكان أمينا لرئاسة الجمهورية فى آخر أيام عبدالناصر

التى عاشها معنا فى الحياة . وهى مذكرات ينتظرها الجميع على نار ، لان السيد حسن التهامى سبق ان افصح عن رايه فى جمال عبدالناصر وكيف انه كان جاسوسا لاسرائيل وعميلا من عملاء المخابرات الامريكية . وقد ترددت كثيرا فى التعرض من بعيد أو قريب للسيد حسن التهامى ، خصوصا بعد تهديده الذى تضمنه رده على الأستاذ أحمد بهاء الدين وهدد فيه جميع الكتاب وجميع الصحفيين الذين يتعرضون له بالمطارق والمناجل والكرابيج السودانى المنقوعة فى الخل والزيت ! ولكنى عدلت عن ترددى ، عندما اكد فى رده .. على ان مطارقه ادبية ومناجلة كلامية وكرابيجه لغوية ومن فصيلة سيبوية . ولان العبد لله يتمتع بجلد سميك ، ومن النوع الذى يتحمل الف جلدة كلامية ، والف مطرقة لغوية ، ولكنه لايتحمل اى لسعة من خرزانة لهلوبة ، او اى طرقعة من كرباج سودانى أصيل ! وعجبى على العسكرى المجند الذى كان يحرس باب القيادة ليلة قيام الثورة ، والذى رأى كل شىء ووقف على كل شىء ، لماذا لم يكتب مذكراته حتى هذه اللحظة ؟ وأين مذكرات عامل التليفون الذى كان ساهرا فى مجلس قيادة الثورة فى تلك الليلة ؟ والذى قام بالدور الاكبر فى الاتصال بالقادة واستدعاء رجال القيادة ، لماذا لم يكتب مذكراته هو الاخر حتى الآن ؟ وهو أمر ليس غريبا على كل حال ، فقد سبق أن كتبت بديعة مصابنى مذكراتها عن الحرب العالمية الاخيرة ، شأنها شأن روميل ومونتجمرى وفون ورنشتيد وجنرال ديجول ! ولكن بديعة مصابنى كانت امينة فى مذكراتها ، فلم تكتب الا تجربتها الخاصة مع عساكر الحلفاء فى غرف النوم وفى البارات ! أما عسكرى المرور ومنادى السيارات وباعة البطاطا والطعمية الذين كانوا ينتشرون حول القيادة العامة ليلة قيام الثورة ، فسيكتبون مذكراتهم عن ثورة ٢٣ يوليو ، وعن دورهم التاريخى فى اشعالها ! وعن الحوار الذى دار بينهم وبين الملك فاروق قبل ان يوقع باسمه على وثيقة تنازله عن العرش ! ولقد كان للعبد لله تجربة شخصية . فقد اشتركت ذات يوم فى مشروع كبير ، واشترك معى اساتذة لهم شأن ، ورجال افاضل لهم تأثير ، ولكن الذى كتب مذكراته عن (دوره) فى هذا العمل ، كان ـ لسوء الحظ ـ يتولى اخطر الأعمال فى المشروع اياه فقد كان يتولى اعداد القهوة والشاى بالنهار ، وكنس الغرف وترتيب المكاتب وتنظيف دورات المياه بالليل ! ولو انه كتب معاناته وشقائه وعرقه أثناء قيامه بهذا العمل الشريف ، لانجز عملا كبيرا ، ولكنه ـ ويا للغرابة ـ كتب عن دوره فى قيادة المشروع ، وتحدث عن نفسه كزعيم صاحب رسالة ، وكسياسى صاحب رأى ، وكفيلسوف صاحب فكر ! ونشر المناضل الفراش عشرات الصفحات ، ولم يتوقف قط ! وهى حالة مشروعة على اية حال ، وهى تنتاب بعض الذين قاموا بأدوار هامشية فى أعمال كبيرة ، ويتصورون انهم يصبحون كبارا اذا قلدوا الكبار ! ويصبح لهم وزن اذا ماتعرضوا لاصحاب الأوزان ! ولايدرى هؤلاء بانهم بأعمالهم هذه يؤدون خدمة جليلة للكبار . لأن التقليد ـ كما يقول أوسكار وايلد ـ هو تحية

العوام للعبقرية ، الشيء الوحيد الذى شعرت به بعد قراءة مذكرات الأبطال ايامهم ، والزعماء ايامهم ، هؤلاء الذين كتبوا عن ثورة ٢٣ يوليو وماقبلها ومابعدها ومابينها هو اننى وددت لو اقذف من الشباك كل كتب الجبرتى وتاريخ ابن اياس وخطط المقريزى واعيان مصر ووفيات الاعيان لعمنا ابن خل كان . فما الذى يمنع ان يكون كل هؤلاء قد كتبوا مذكراتهم على نفس الوتيرة وبنفس القياس ؟ وما الذى يضمن للعبد لله ان الحاكم بامر الله كان مجنونا أو معتوها ؟ وما أدرانى أن الملك المظفر بيبرس كان خائنا قتل صديقه السلطان قطز ، ورشق سيفه فى ظهره اثناء رحلة صيد فى الصحراء ؟ وما الذى يثبت ان خابر بك خان معلمه واستاذه قنصوه الغورى فى معركته الحاسمة مع سلطان بنى عثمان ؟ ومن يضمن أن أحمد باشا الجزار والى عكا هو الذى انتصر على نابليون ؟ ومن يستطيع أن يحكم ان محمد بك ابوالدهب هو الذى دس السم فى جراح أستاذه على بك الكبير ؟ ولماذا لايكون أحد الخدم أو الحراس ؟ ومن الذى يقدر على التأكيد بأن القرامطة هم الذين اعتدوا والذين خربوا فى البلاد ؟ ولماذا لايكونوا هم الذين تعرضوا للهجوم والعدوان ؟ من الذى يستطيع ان يحسم أو يحدد حقيقة الامور فى حوادث جرت وقائعها منذ نحو الف عام ؟ اذا كنا لانستطيع ان نعرف ما الذى جرى على وجه التحديد فى أحداث وقعت فى زماننا ؟ وشاهدناها بأعيننا ، واشتركنا فى بعض فصولها بالفرجة والمشاهدة والاتصال ! ما الذى حدث فى ثورة ٢٣ بالضبط من قائد الثورة على وجه التحديد ؟ وهل هو جمال عبدالناصر ؟ أم محمد نجيب ؟ أم انور السادات ؟ أم السيد حسن التهامى ؟ أم حسن ابراهيم ؟ ومن يدرى من كثرة الخلط والمزع الذى حفلت به مذكرات هؤلاء الأبطال . ربما كان كل هؤلاء مجرد أقنعه ، وربما كان القائد الحقيقى هو حضرة الصول أبو سريع ، الذى عهدوا اليه فى ليلة ثورة ٢٣ يوليو بتشحيم جنازير الدبابات ونفخ عجلات السيارات . ربما كان هذا هو البطل الحقيقى لثورة ٢٣ يوليو ، وربما حياء منه وتواضعا أيضا آثر الصمت والانزواء ، وربما رأى أن المذكرات قد هانت ، وان أصحابها قد تبحبحوا كثيرا ، وانهم ذهبوا الى ابعد مدى ، فلم يعد هناك مزيد ! ربما ، وربما ، فأى شيء جائز ، وكل شيء ايضا ، لكن الاكيد والمفيد أن الأجيال التى ستأتى من بعدنا ، ستدوخ دوخة الأرملة القلبانة ، اذا أرادوا دراسة ثورة ٢٣ يوليو وتحديد هويتها على وجه اليقين ! وقد تنشأ مدارس متناقضة ، وفرق متعارضة ، وتنظيمات متحاربة ، وقد يرفع البعض مذكرات عبدالناصر ويستشهد بها على انها التاريخ الوحيد والاكيد ، وقد يرفع بعضها مذكرات حضرة الصول عبدالرشيد على انها الوثيقة الوحيدة والفريدة وما عداها باطل وقبض الريح ، وقد تقوم الحرب الأهلية بين الفرق المتحاربة حول من الذى اشعل الشرارة الأولى فى الثورة ؟ وهل هو عبدالرشيد ؟ أم عبدالمجيد ؟ أم عبدالحميد ؟ وقد يقيم المتحاربون حواجز على امتداد الشوارع العربية ، وقد يصير القتل على الهوية ، وقد نسمع قريبا عن منظمة سالم وعامر

وبغدادى والشافعى وعلى صبرى والسادات وصبرى الخولى وحمروش ومحمد نجيب والصول هريدى عبدالعال أبوحديد ! وقد ترفع كل فئة من هذه الفئات صورة زعيمها ، فلا زعيم غيره ، ولا قائد سواه . أما المأزق الوحيد ، هو أن منظمة الصول هريدى عبدالعال أبوحديد لن تجد صورته ، لأن حضرة الصول لم يكن من هواة التصوير ! وقد تلجأ المنظمة عندئذ الى رسام ، فترسم أى شكل وفى أى صورة ، وقد تكون هذه الصورة من عوامل نصرها على الجميع ، باعتبار ان الصول هريدى هو القائد الغائب والثائر المختفى ! وانه رفع الى دور ٤ فى ليمان طره ، ولكنه حتما وفى اخر الزمان سيعود !

حكاية على سحلول !

العبد لله له فى ذمة وزير خارجية السودان الجديد على سحلول مبلغا وقدره عشرون جنيها سودانيا فقط لا غير . وأصل الحكاية اننى تعرفت على الوزير سحلول وهو ملحق بالخارجية ، والحق أقول انه كان شديد اللماحية عميق الذكاء واسع المعرفة بأحوال العالم وخصوصا المنطقة العربية . وتوطدت أواصر الصداقة بيننا خلال الايام الاولى لانتفاضة الشعب السودانى الكريم ضد الفريق عبود .

كنا تلك الايام فى شبابنا الذى ولى .. لا أقول قبل الأوان ولكنه ولى والسلام ، وتنبأت للسيد على سحلول بأنه ـ يوما ما ـ سيصبح وزيرا للخارجية . وبدت الدهشة على وجه الشاب على سحلول ، وقال وهو يضحك ضحكة صافية من الاعماق . طيب ما تقولش الكلام ده قدام الوزير محجوب خلينا عايشين فى حالنا !

وكان الشاعر الكبير والدبلوماسى الشهير والسياسى الخبير السيد محمد أحمد محجوب هو وزير خارجية السودان فى تلك الايام وقلت للسيد على سحلول : طيب تراهنى ولم ينطق الأخ سحلول فاستطردت قائلا : عشرين جنيه لعشرين جنيه ومضت سنوات طويلة بعد ذلك التقيت فيها بالاخ على سحلول مرات قليلة ، وفى كل مرة كنت اكتشف انه قطع خطوات واسعة على الطريق الى المركز الذى راهنته عليه . ثم علمت من صديق مشترك هو الدكتور عبد الحميد عبد الرحمن أن على سحلول صار رئيسا لوفد بلاده الى الامم المتحدة . وقلت فى نفسى لم يبق الا زقة واحدة واحصل على قيمة الرهان الذى راهنته عليه . ولكن .. ليس كل ما تاتى به الرياح من الصنف الذى تشتهيه السفن على رأى المثل فقد وقع حادث غريب ومريب راح ضحيته على سحلول . موقف لا يحدث مثله غالبا الا فى افلام سمير عبد العليم ومسلسلات عبد العليم سمير . واصل الحكاية ان قضية افغانستان كانت مطروحة للتصويت على الجمعية العمومية . واحتشدت الدول الاسلامية والعربية للوقوف مع حق الشعب الافغانى ضد الحكومة التى استأثرت بالسلطة فى كابول تحت حماية الجيش السوفييتى ولكن مندوب حكومة السودان العربية لم

يحضر الجلسة ، ونشرت بعض وكالات الانباء انه لم يحضر متعمدا ، ولم يكن هذا صحيحا على الاطلاق اما السبب الحقيقى وراء غياب مندوب السودان ، فهو الفساد الادارى فى عهد النميرى ، وهو العهد الذى شغل نفسه بعناوين ليست لها اية مضامين على الاطلاق ، وتنقل كالطائر الضال من الاشتراكية الى الراسمالية الى الشريعة فى نهاية المطاف ، كانت الحقيقة المرة التى منعت مندوب السودان من حضور الجلسة هو عدم تسديد اشتراك الامم المتحدة ولان حكومة السودان لم تسدد الاشتراك فقد سقط حقها فى التصويت !

ولم يكن على سحلول مسئولا عن شيء مما حدث فقد ارسل الى الوزارة خطابات وتلكسات وبرقيات بطول المسافة بين نيويورك والخرطوم ، ثم لفت نظرها اكثر من مرة ، وحذرها من ان الموعد المحدد سينتهى بعد ايام . ولكن الوزارة لم ترد ولم تسدد . وربما لم يهتم احد بقراءة الخطابات والتلكسات والبرقيات الواردة من رئيس البعثة السودانية فى الأمم المتحدة . ولأن النميرى كان رئيس حكومة من النوع الذى لا يخطيء على الاطلاق ، واذا اخطأت فلابد ان المسئول احدا من خارج الحكومة . لذلك اصدر النميرى قرارا بسحب رئيس البعثة من نيويورك ، وطلب من على سحلول ضرورة العودة بسرعة الى الخرطوم ، ولكن على سحلول رفض العودة ، وركب اول طائرة واتجه راسا الى الكويت .

فخاف النميرى الفضيحة اذا فتح على سحلول فمه وكشف عن الأسباب التى ادت الى عدم اشتراك السودان فى التصويت خصوصا وأن المبلغ الذى كان مطلوبا « دفعه » يساوى ثمن الشاى والقهوة والسجاير التى تقدم لضيوف مكتب الوزير خلال ثلاثة ايام ومعنى ذلك ان عدم تسديد الاشتراك لم يكن نتيجة عجز ، ولكن نتيجة سوء الادارة وانهيار الادارة الحكومية فى عهد النميرى وكما لم يحدث فى تاريخ السودان من قبل . وكان الخوف من الفضيحة هو الذى دفع النميرى الى تعيين على سحلول سفيرا للسودان فى الكويت . ليس هذا هو السبب فقط بالطبع ، ولكنها كانت حيلة ذكية ايضا لادخال الطمأنينة فى نفس على ، ولكى يضع فى بطنة بطيخة صيفى تمكنهم من استدراجة الى الخرطوم . ويبدو ان على سحلول حصل له اطمئنان ، فقد حدث ان التقيت به فى الخرطوم وسهرت فى شقته مع عدد من الاصدقاء ، وقضينا الليلة كلها نستمع الى تفاصيل القصة التى ادت الى ما جرى من تطورات ، ثم سمعت بعد ذلك باسابيع انهم استدعوا السفير الى الخرطوم لأمر هام ، ثم سمعت انهم اعتقلوه فور نزوله ارض المطار . ولا اعرف على وجه التحديد ما الذى جرى لعلى سحلول بعد ذلك . فقد انقطعت اخباره فلم اسمع عنه شيئا اخيرا سمعت خبرا وشرح صدرى وطمأننى على مسيرة الثورة الجديدة فى السودان . لقد اختاروا على سحلول وزيرا للخارجية فى النظام الجديد ، وتحقق ما تنبأ به العبد لله منذ خمسة وعشرين عاما على وجه التحديد وامام شاهدين احدهما

هو الشيخ مهدى رحمة الله عليه والآخر هو الدكتور عبدالحميد عبد الرحمن وهو بالتاكيد حى ، وان كنت لا استطيع ان اقطع اذا ما كان حيا يرزق ، ام حيا فقط بسبب الأزمة الاقتصادية التى خلقها النظام الاقتصادى الهمايونى فى عهد الصادق شهوى ، والذى كان اعظم منجزاته هى الرفض واهم صادراته هى بيانات الشجب والاستنكار . على العموم ، مبروك للثورة السودانية وزير خارجيتها على سحلول . فهو فى محله ، وهو تطبيق عملى بشريعة الرجل المناسب فى المكان المناسب ، وليس الرجل اللى مناسب ، وهى النظرية السائدة فى اغلب بلاد العالم العربى ، بقى ان يسدد السيد الوزير على سحلول ما فى ذمته للعبد لله . وهو مبلغ عشرون جنيها سودانيا فقط لاغير ، طبعا الفوائد والحلوان !

وبالمناسبة ، عنوان حضرتنا هو : محمود السعدنى ، الكرة الارضية وشكرا لساعى البريد .

ملحوظة :

استخدمت حكومة الامام الترابى الذى هو اية الله حجة الله استغفر الله ، اخونا الطيب على سحلول عدة اشهر ، ثم القت به من حالق وكشفت عن وجهها القبيح !

أدعو له بالنصر!

لو ان العبد لله كسب البريمو فى يانصيب روما ، لو ضربة حظ صادفتنى وظهر لى عم ثرى امثل مات فجاة فى البرازيل عن ثروة تقدر بمائة مليون دولار امريكى لو كانت وصلتنى دعوة لزيارة القمر على متن مركبة الفضاء العربية التى ستنطلق من مركز ابحاث الفضاء العربى بامارة الفجيرة لو حدث لى شىء من هذا ما شعرت بالفرحة التى غمرتنى عندما سمعت انباء زيادة فيضان النيل هذا العام خصوصا وانها جاءت بعد ثمانية اعوام من الجفاف ، كانت اسوأ من السنوات السبع العجاف التى مرت على مصر فى زمن سيدنا يوسف . ولكن رحمة الله هى التى خففت المأساة وهى التى حالت دون حدوث الكارثة . والفضل الله اولا وللسد العالى الذى طالبت بعض احزاب المعارضة بهدمه ، ولبحيرة ناصر التى سدت النقص على مدى السنوات العجاف الماضية ولولا ذلك .. فمن يدرى ؟ ربما كنا نواجه الان كارثة لا يعلم مداها إلا الله . وعندما اقول . كارثة لا يعلم مداها إلا الله فهى ليست عبارة إنشائية فخيمة هدفها التأثير على القارىء ليهتف بحياة السد العالى ، ولكنها حالة رهيبة سبق لمصر ان عانت منها فى العصر الوسيط عندما كان النيل يجرى بلا ضابط ولا رابط إذا جاء الفيضان اغرق البلاد وإذا تاخر الفيضان أهلك العباد .

ولمجرد الذكرى وعلى سبيل الايضاح أسوق لحضراتكم عدة سطور كتبها عمنا ابن إياس فى كتابه الممتع (بدائع الزهور فى وقائع الدهور) عن الأحوال التى سادت بر مصر بعد نقص الفيضان وانتشار المجاعة فى زمن الخليفة الفاطمى المنتصر بالله . يقول ابن إياس بالحرف الواحد :

"ثم انهبط النيل فجاة فشرقت البلاد وحصل على الناس مالا خير فيه ، ووقع الغلاء العظيم . فكان يعادل الغلاء الذى وقع فى زمن يوسف عليه السلام . واستمر هذا الغلاء سبع سنين متوالية ، فاكل الناس بعضهم بعضا حتى بلغ سعر اردب القمح ٨٠ دينارا كل أردب . ثم اشتد الامر حتى وصل سعر الاردب الى ١٢٠ دينارا

ثم اشتد الامر حتى بلغ سعر الرغيف فى زقاق القناديل ١٥ دينارا واكلت الناس الميتة والكلاب والقطط حتى قيل ارع سعر الكلب بلغ ٥ دنانير ، وسعر القط ٣ دنانير وقيل ان الكلب كان يدخل الدار فياكل الطفل وهو فى المهد ، وامه وابوه ينظران اليه فلا يستطيعان ان ينهضا لدفع الكلب عن ولدهما من شدة الجوع . ثم اشتد الامر حتى صار الرجل ياخذ ابن جاره فيذبحه وياكله ولا ينكر عليه ذلك بين الناس ثم اشتد الامر حتى صار الناس اذا مروا فى الطرقات يتعرض القوى للضعيف فيذبحة وياكله جهارا وصارت طائفة من العوام يجلسون على السقائف ، وبأيديهم حبال فيها كلاليب . فاذا مر بهم أحد من الناس القوا عليه الحبال ، ونشلوه بالكلاليب فى أسرع وقت ، فاذا صار عندهم ذبحوه فى الحال وأكلوه بعظامه ، وقيل إن الوزير ركب يوما على بغله وتوجه الى دار الخلافة ، فلما نزل عن البغلة ، أخذت واكلت فى الحال فامسكوا الذين فعلوا ذلك وشنقوهم . وعلقوهم على الخشب فلما باتوا اصبحوا فلم يجدوا أحدا من المشانيق . فقد أخذوا واكلوا من على الخشب .

وكان بمدينة الفسطاط حارة تسمى حارة الطبق ، وكان فيها نحو عشرين دارا كل دار تساوى فى الثمن الف دينار فبيعت الحارة كلها بطبق خبز فسميت من يومئذ حارة الطبق" .

وعن ابن الجوزى انه قال بلغنى ان امراة خرجت من مدينة الفسطاط ومعها عقد من اللؤلؤ وقالت من ياخذ منى هذا العقد من اللؤلؤ ويعطينى عوضه قمحا ؟ فلم تجد من يأخذه منها فلما أعيت من الطلب القته على الارض وقالت ان لم تنفعنى وقت الحاجة فلا حاجة الى بك وتركته ومضت فاقام مرميا على الارض ثلاثة أيام ولم يجد من يلتقطه من الناس وقال الشيخ تاج الدين ابن المتوج : ان امراة من ذوى البيوت اخذت عقدا من الجوهر قيمته الف دينار فعرضته على جماعة من الناس بان يعطوها عوضه دقيقا فلم تجد من يعطه به دقيقا ثم ان بعض الناس عطف عليها . واعطاها بذلك العقد دقيقا فى جراب ومشت به من مدينة الفسطاط الى باب زويلة فلما علم الناس ان معها دقيقا تكاثروا عليها وانتهبوه منها . فلم يبق الا ملء يديها . فلما وصلت به الى بيتها عجنته وخبزته رغيفا . ثم اخذته على جريده وتوجهت به الى قصر الزمرد . ونادت باعلى صوتها يا أهل القاهرة ومصر . ادعوا للخليفة المستنصر بالنصر ، الذى اكلنا الرغيف فى أيامه بالف دينار !

فلما سمع المستنصر بالله ذلك تاثر منه ، واحضر الوزير والحاجب وهددهما بالشنق اذا لم يظهر الخبز فى الاسواق ثم اعقب هذا الغلاء فناء عظيم . حتى فنى من أهل مصر نحو الثلث . فكان الامير يتوجه بنفسه وينزل بلده ويزرع الارض وذلك لعدم وجود فلاحين واستمر هذا الفناء يعمل فى الناس نحو عشرة اشهر . حتى قيل ان الرجل كان يمشى من جامع ابن طولون الى باب زويلة فلم يرى فى وجهه إنسانا يمشى فى الطرقات . فلما تعطلت البلاد من عدم وجود فلاحين تعذر

صرف جوامك الجند . فكان المستنصر بالله الخليفة يخرج من الخزائن السلاح والقماش والتحف ويقيمها على الجند من جوامكهم بقدر معلوم واضطرته الظروف فباع قطعة من الجوهر والياقوت وباع خمسة وسبعين الف شقة حرير مرقومة بالذهب . وباع عشرين الف سيف مسقطة بالذهب . وباع احدى وعشرين دارا وعزبة . حتى باع رخام قبور اجداده ولم يبق عنده من اثار النعمة سوى سجادة رومى يقعد عليها وقبقاب فى رجله ، وكانت اخته ترسل اليه كل يوم زبدية فيها طعام . وكان ياكل مرة واحدة فى اليوم ولم يبق عنده خدم ولاعيال ثم بعد ذلك تراجع الامر قليلا ، قليلا وارتفع النيل ، وانصلحت الأحوال ، وانحط سعر القمح ، ووقع الرخاء ورجع الماء الى مجاريه ، وحسمت الاوقات ، أو كما قيل فى المعنى .

الدهر لا يبقى على حاله
لابد ان يقبل او يدبرا
فـان تلقـاك بمكـروهـــه
فاصبر فان الدهر لن يصبرا

والحمد لله لاننا لم نحضر عصر المستنصر بالله . ولم نكن من ضحايا عصر المجاعة ونقص النيل . الحمد لله لان العبد لله كان سينفد صبره قبل ان ينفد صبر الدهر وحتى ولو كان صبرى اقوى من صبر الدهر ، فان مصير العبد لله كان سينتهى حتما الى حبل من حبال الكلاليب . واغلب الظن ان جثة العبد لله ستكون هى الطبق المفضل على مائدة فتوة من فتوات حى باب زويلة أو حى ابن طولون ! الحمد لله الذى كتب علينا الحياة فى هذا العصر الذى لايزال فيه رغيف الخبز بقرشين رغم ثمانى سنوات عجاف ، نقص فيها النيل الى حد المجاعة والجفاف ولو انا من وزير الثقافة لدعوت الشعب المصرى الى الاحتفال هذا العام بعيد وفاء النيل ، وليكن الاحتفال لائقا بالمناسبة ولنفتح ابواب الحدائق والمسارح ودور السينما بالمجان للجماهير ، وليقيم الناس صلاة الشكر فى المساجد والكنائس ، وليرقص الناس طربا على شواطىء النهر وفى الشوارع ، وليكن يوما مشهودا فى تاريخ مصر ، فقد جاء النيل والبحر زاد ، فاض ع البلاد ، عوف الليل .

وكما قال المتنبى !

انشرح قلب العبد لله على الآخر ، واطمأنت نفسي وارتاح بالي ، بعد ان قرأت تصريحات قائد احدى الميليشيات التي تخوض حربا طاحنة في جنوب لبنان ، واصراره على مواصلة القتال حتى اخر طلقة ، وتأكيده على إنه لن يكون هنك وقف لاطلاق النار . وزاد من سروري وحبوري اكتشافي ان الحرب الدائرة هي بين ميليشيات عربية وميليشيات اخرى عربية ، وان اسرائيل ـ الحمد لله ـ ليست طرفا في الموضوع . وتضاعف سروري وحبوري بعد اطلاعي على كشف الخسائر ، فإذا بعدد القتلى في معركة واحدة زاد عددهم عن ستين قتيلا . والجرحى جاوزوا الخمسمائة ، والاسرى نحو الالف . وكدت أطير فرحا عندما تأكدت ان الجميع عربا من صلب اعراب والحمد لله !

وسبب انشراح قلب العبد لله بسيط للغاية ، هو ان هذه الحرب العربية العربية هي التدريب العملي الوحيد تمهيدا لخوض المعركة الكبرى ضد اسرائيل . تماما كما يحدث في الكورة ، عندما تجرى تقسيمة بين الفريق القومي ، فينقسم الفريق الى فريقين .. احمر وابيض وتجرى المباراة بينهما حامية وسريعة وخشنة ايضا وبالرغم من انها مباراة حبية إلا أنه يحدث أحيانا لفرط الحماس ان يصاب بعض اللاعبين بكسور ، وقد ينتقل بعضهم بسيارة الاسعاف الى مستشفى قصر العيني . ولكن كل شيء يهون في سبيل الاستعداد للمعركة الفاصلة مع الفريق المنافس . وكل مايرجوه العبد لله ان يستمر التدريب العملي الجاد بين الميليشيات العربية ، ولاتتوقف الحرب لأى سبب من الاسباب . حتى لو تدخلت الامم المتحدة ، وصدر قرار من مؤتمر للقمة . فكفانا هزلا طوال السنين الماضية وكفانا استرخاء ، ولابد من مواجهة الأمر الواقع بجدية اكثر وحزم أشد . وحتى على فرض ان الابادة هي مصير الميليشيات العربية المتحاربة ، فلا شيء ـ يهم ـ على رأى عمنا احسان عبدالقدوس شفاه الله ـ فالبركة في الميليشيات العربية الأخرى ـ وما اكثرها ـ وهي قطعا ستستفيد من معارك التدريب الدائرة في الوقت الحاضر . كما انها ـ بالقطع ـ ستخرج بدروس مستفادة ، وسيصبح لديها خبرة تستخدمها

فى معارك المستقبل . المهم ان تستمر حرب التدريب بين الميليشيات العربية حتى تستوعب الاسلحة الحديثة ، ولكى ندخل الحرب ضد اسرائيل ـ فى المشمش ـ ونحن جاهزين ومستعدين وفى « الفورمة » كما يقول بترع الكورة !

هناك شىء اخر اكدته هذه الحرب بين الميليشيات العربية هو الاصالة ، اصالة هذه الميليشيات وعراقتها ، وأنها لاتزال متمسكة بتقاليدنا الاصيلة المنبثقة من ترابنا ، والنابعة من ارضنا لانه من مأثوراتنا المتوارثة (الاقربون أولى بالمعروف) ومن امثالنا الشعبية الجديدة (اللى يحتاجه البيت يحرم على الجامع) وهذه الميليشيات العربية المتحاربة تمشى على هدى السلف الصالح ، وتتعايش مع واقعنا . فمادام لدينا سلاح وذخيرة ، فالأقربون أولى بالمعروف ، وصدور العرب أولى برصاص العرب ! ولدى الميليشيات العربية دبابات ـ والحمد لله ـ وارض العرب اولى بالحرث . وبيوت العرب أولى بالهدم . وحقول العرب أولى بالحرق ، باعتبار انه .. ماهدم بيتك مثل دبابتك . وأحسن مايحرقها عدو غاضب ، أو تحترق خلال عدوان غادر لئيم ! على الأقل عدوان العرب على العرب ، عدوان سخى كريم ، وحرق العرب لديار العرب ، هو بالضبط وبالتمام والكمال مثل .. ضرب الحبيب زى اكل الزبيب !

ثم ان هذه الحرب العربية العربية تنفى عن العرب صفة الخمول والتواكل كما انها ترد بشكل عملى وفعال على الاحصائية الاستعمارية المريبة التى صدرت اخيرا فى الغرب ، والتى تزعم كذبا ان العربى يعمل ساعة واحدة فى اليوم بينما الأوربى يعمل سبع ساعات والياباني يعمل ثمانى ساعات والامريكى يعمل تسع ساعات متواصلة .. وهى مقولة استعمارية غربية هدفها الوحيد الحط من شأن العرب وأظهارهم امام العالم آخر وخم وآخر كسل .. والحقيقة اننا ـ نحن العرب ـ اذا كنا لانعمل إلا ساعة واحدة . فنحن نحارب عشر ساعات . والحرب جزء من العمل . وليس اكثر دليلا على حبنا للعمل . اننا اذا لم نجد من نحاربه حاربنا انفسنا ، وحاربنا بعضنا البعض . المهم ان نحارب وان نستمر فى الحرب . ولدينا فى الأمة العربية شعار ! يد تبنى ويد تحمل السلاح ! ولكنه احيانا ومن شدة غيرتنا وشدة حماسنا ، ننسى الشطر الأول فلا نعمل شيئا ونتفرغ للضرب ، ونواصل الضرب ، ونستمر فى الضرب ، ونظل نضرب ونضرب ، حتى نتبين الخيط الابيض من الخيط الأسود ، وأحيانا عندما تحين اللحظة المناسبة التى ينبغى علينا فيها ان نتوقف لنتبين الخيوط بعضها من بعض ، نفاجأ بأن العمى الحيسى قد أصابنا بسبب الشظايا المتناثرة والزخات المتبادلة ، والنتيجة اننا نواصل الضرب عميانى الى ماشاء الله !

وبعد .. ماذا اقول ؟ هل هذه مناسبة تصلح للسخرية او الهزل ؟ ولكن ـ صدقونى ـ لم اجد الا السخرية لمعالجة موقف مثل هذا هو اكثر مسخرة من اى

سخرية على ظهر الارض . وعلى مدى اسبوع كامل والجرائد العربية تصف لنا بالتفصيل أنباء المعارك الضارية بين ميليشيات أمل وميليشيات حزب الله . والمعركة على ودنه ، والقتلى بالعشرات ، والجرحى بالمئات والاسرى بالالوف ، والحرب بينهما بكل انواع الاسلحة ، مدافع ميدان ومدافع شوارع ، ومدافع حوارى ، دبابات ومصفحات ومجنزرات . ولا اعرف لماذا لم تستخدم الطائرات حتى الآن ؟ لعل المانع خير باذن الله ! وقاذفات لهب وباسقات نار وديناميت وقنابل يدوية والغام .

والاكادة ان كل فريق يحارب باسم العروبة ويهتف باسم الله وليس فى العالم كله هزل على هذا النحو ، وليس فى التاريخ كله مسخرة على هذا المستوى ولكنها مسخرة مفيدة وهزل طيب على كل حال . مدام الهدف الوحيد والاكيد والشديد . هو تحرير فلسطين من النهر الى البحر ، ومن البر الى الور . اما ماهو الور ، فارجو الا تسألنى .. أولا لاننى لا أعرف ، وثانيا لان معارك الهول بين العرب والعرب ، جعلت مخى يسبح ورأسى تطيح ، فلم اعد أدرى يمينى من يسارى ، ولا دماغى من حذائى .

ويا آمة ضحكت .. على رأى عمنا المتنبى !

وحش الجبال !

مامون وحش الجبال كان فتوة شارع البحر الاعظم بالجيزة . وكان مصريا صميما وسنيا مؤمنا بالله وبرسوله . ولم يكن له علاقة من اى نوع بالدولة الايرانية . كما انه مات قبل ان تنشب حرب الخليج بسنوات طويلة . وبالرغم من ذلك تذكرت مامون وحش الجبال فجاة فى نفس اللحظة التى اعلن فيها حجة الإسلام رافسنجانى قبول وقف اطلاق النار واعلن رفسنجانى فى نفس الوقت ان ايران ستوقع اشد انواع الانتظام بالسعودية ودول الخليج ليه ؟ لا احد يعرف . هل اشتركت السعودية ودول الخليج فى القتال الدائر فى الخليج ؟ هل شاركت السعودية فى تحرير الفاو ؟ هل اشتركت جيوش الامارات العربية المتحدة فى تحرير جزر مجنون ؟ لا شىء حدث من هذا على الاطلاق . ولكنه اسلوب عمنا مامون وحش الجبال طيب الله ثراه .

فقد كان مامون وحش الجبال دائم العراك مع غيره من الفتوات فى الجيزة ، ابراهيم عبد البر ومصطفى لطفى وعبده الانجليزى ونصر الجزار . واحيانا كان ينتصر فى المارك ، واحيانا كان يلقى الهزائم وكان من عادة مأمون وحش الجبال اذا انهزم فى معركة ضد فتوة من الفتوات ، النهوض على قدميه ، ثم نفض التراب عن هدومه . ثم الاعتداء بضراوة على اول عابر سبيل !

وكان أهل الجيزة يهرعون عندئذ لنجدة عابر السبيل الطيب . ومعلهش يا معلم مأمون ، انت برضه الكبير يا حاج مأمون . والمسامح كريم ياسى مأمون . وكان مامون وحش الجبال يعفو عن الرجل الطيب استجابة لوساطة الجماهير وتوسلاتهم . وكان الجميع يتسابقون لتقبيل رأس المعلم مأمون والبعض ينافقه بمعسول الكلام قبل ان تهدأ نفسه وينصرف ، ويا بخت من قدر وسامح ! وكانت هذه هى خطة المعلم مأمون وحش الجبال . كلما تلقى الهزيمة فى معركة ضد أحد الفتوات . إفتعل خناقة لا أصل لها مع عابر سبيل طيب وفى حاله وليس له علاقة بالمعركة التى كانت ناشبة بينه وبين الفتوة الذى ضربه أمام الناس ومرمغ به التراب ، ولكن هذه المعركة الهزلية المفتعلة كانت تكفى لتغيير الصورة فى عيون

اهل الجيزة الذين حضروا المعركة الاولى وشاهدوا المعلم مامون وحش الجبال وهو يتدحرج بين الحجارة والتراب وكانت العادة ان ينصرف بعد المعركة الثانية وبعد سيل من الشفاعات والتوسلات . وكان مامون وحش الجبال يقبلها فى تواضع مزيف وفى سماحة هو منها برىء براءة الذئب من دم يوسف .

وبالرغم من وفاة مامون وحش الجبال وبقية السادة الفتوات منذ اكثر من ربع قرن ، إلا أننى تذكرته لحظة إعلان ايران قبولها وقف اطلاق النار . لقد انتهت معركة الفتوة ايران مع العراق وستبدأ المعركة الثانية مع عابرى السبيل من الناس الطيبين لعل الفتوة المهزوم يخرج فى النهاية منتصرا ! ولكن يخطىء عمنا الفتوة رافسنجانى اذا تصور انه الفتوة مامون وحش الجبال ويخطىء اكثر لو تصور ان دول الخليج ستكون لقمة سائغة . او انها ستكون وحدها فى المعركة وخيرا للاخ رافسنجانى ان يقبل قرار مجلس الامن وان يضعه فورا موضع التنفيذ وخيرا له وللجميع ان يضع حدا لهذه الحرب المجنونة التى اكلت من الرجال حتى شبعت وشربت من الدماء حتى ارتوت . ولم يستفد احد منها إلا أعداء العروبة وأعداء الإسلام ومن مصلحة ايران والعرب والمنطقة كلها ايضا ان ينسى الملالى حلمهم القديم الذى راودهم يوما ما . بإقامة الامبراطورية الإسلامية تحت عباءة الامام . فزمن السلطان سليم ابن عثمان مضى الى غير رجعة . وتركيبه العصر الحديث لا تسمح بتكرار التجربة كما ان الدولة العربية ليست كيانات هشة يمكن اجتياحها ببساطة وطريق القدس لايمر من بغداد الا بموافقة بغداد ورضاها . وما كان أسهل علينا استرجاع القدس وتحرير عكا وحيفا . لو تضافرت كل الجهود وزحفت كل الجيوش عربية وايرانية الى حدود فلسطين ولكن المؤامرة استغلت الحلم الايرانى واستثمرته لمصلحة اسرائيل وعلى الملالى ان يدركوا هذه الحقيقة الان وان يطفئوا نار الحرب قبل فوات الأوان .

والله يرحمه ويحسن اليه عمنا مامون وحش الجبال فتوة شارع البحر الاعظم بالجيزة . الذى تذكرته فجأة فى أحد أيام الاسبوع الماضى الله يرحم اسلوبه فى فن العراك . لقد مات اسلوبه ودفن معه .. ولم يعد هذا الاسلوب يشفع الآن فى تغطية هزيمة أو تغيير نتيجة حسمتها دماء المحاربين فى ميدان القتال . وعلى العرب والايرانيين الان ان ينهضوا على اقدامهم وقوفا من تحت الانقاض . وان يعوضوا ما تناقض من جهدهم وثروتهم وان يحاولوا العيش فى كرامة جنبا الى جنب فى عالم القرن الواحد والعشرين ، حيث البشرية على ابواب دنيا جديدة ومختلفة وإما ان نلحق بها . او نبقى فى اماكننا الرى ذكريات معركة الجمل . وقد ننتهى الى نفس المصير الذى انتهى اليه خوارج معركة صفين .

والله يرحمه ويحسن اليه عمنا مامون وحش الجبال فتوة شارع البحر الاعظم بالجيزة . فلو كان حيا بيننا اليوم ، لطالب بحق الأداء العلنى لان ما فعله

رافسنجانى عندما هدد السعودية والخليج باشد انواع الانتقام هو سرقة فنية ، وهو اقتباس غير مشروع لاغنية قديمة وشائعة . وسبق تسجيلها فى الشهر العقارى باسم مأمون وحش الجبال . وحق التأليف والتلحين .. كما هو معروف - للمؤلف الاصلى مأمون وحش الجبال . اما المعلم رافسنجانى فهو مجرد مؤلف مبتدىء وغير موهوب ويعتمد على السرقة الادبية والاقتباس ، ولذلك لن يصدقه احد ، ولن يستمع اليه احد ولن يخاف منه احد ! والفتوة الحقيقى هو الذى يحسم المعركة فى الميدان ، او ينصرف بعدها - ومهما كانت النتيجة - ويمضى فى سلام ».

أحلام العبد لله !

كنت اتمنى ان اصبح بحارا اجوب واطوف حول العالم عدة مرات . مرة خرجت منها وكنت اقضى الساعات افكر فى صديقى واحيانا اقع فى غرام الخادمة التى تنتظرنى تحت السلم وانظر فى عيون البنت هى الاخرى تتلفت حولها انا خيفة يامحسن وكان محسن سرحان !

وكان قلبى يسقط فى كعوب قدمى اذ كنت اتصور انها خائفة لان احدا فاجأنا ونحن معا تحت السلم وعندما كنت اسألها عن سبب خوفها كانت تجيب فى دلع شديد ، انا خايفة على حبى !!

وبين الخامسة عشرة والعشرين حلمت بان اكون كابتن كرة قدم ، وكان مثلى الاعلى هو الضيظوى كابتن مصر وواحدا من المع نجومها وكنت اقلده اذا مشيت ، واقلده اذا لعبت الكرة ، واقلده عندما احرز هدفا فى مرمى فريق الاسد المرعب ! ولكن حدث اننى التقيت بالضيظوى شخصيا فى احد مقاهى بورسعيد وكان يشكو الحاجة من الزمان ومن الناس وبدا شديد القلب والفلس خايب الامل والرجاء ، فاقلعت عن تقليد الضيظوى وتبخرت احلامى التى راودتنى يوما ما ان اصبح ضيظوى جديدا !!

وعندما بدأت الكتابة فى الصحف ، وظهر أول توقيع لى فى جريدة "السحاب" لصاحبها كامل بريقع ، تصورت نفسى واحدا من كتّاب هذا الزمان ، وحلمت ان اكون مثل محمد التابعى ، مقالاتى تسقط الوزارات وتسير المظاهرات ، وتقلب نظام الكون ! ويبدو ان احلام اليقظة اختلطت عندى باحلام النوم ، فذهبت الى محمد التابعى فى منزله بالزمالك وكان اشهر واكبر كاتب صحفى فى ذلك الزمان وعندما طرقت بابه ، برز لى رجل نوبى فى حجم حارس مرمى الكاميرون وسألنى عما اريد فاجبته ببساطة محمد التابعى . وهكذا حاف وبلا رتب ولا القاب ، فسألنى عمن اكون ، فاجبته بثقة زائدة محمود السعدنى هكذا ايضا بلا احم ولا دستور ، وكأن اسمى ماركة مسجلة ، او كأننى زعيم حزب المحافظين ولا احتاج الى تعريف وغاب

الرجل لحظات فى الداخل ثم عاد ليقول لى .. "البيه مش موجود" !!

وشعرت بالغيظ وبالضآلة فى نفس الوقت ، واخرجت من جيبى ورقا وقلما وكتبت رسالة للكاتب الكبير قلت فيها بالحرف الواحد ياتابعى ان لى قلما كقلمك ولكنه ارفع وانفع ، وعندما يحين الوقت المناسب ساكتب للناس قصة الذين يسكنون الزمالك ويكتبون عن سكان حوش بردق وعشش الترجمان !!

وطارت أحلامى فى ان اصبح "تابعى" آخر وعندما صدر لى أول كتاب وهو "السماء السوداء" يضم مجموعة قصص قصيرة تصورت نفسى جى دى موباسان ، أو تشيكوف ، وبالقليل تصورت نفسى محمود كامل المحامى ، وهو رجل ابن ذوات كان يشتغل احيانا بكتابة القصص القصيرة ، وينشر صورته معها وهو يشرب فنجان القهوة ويدخن سيجارا فاخرا فى طول المزمار . لكن اهمال السادة النقاد "التقدميين" لقصصى واهتمامهم الشديد بكاتب قصة يدعى على برعى نشروا وترجموا قصصه للروسية والصينية والماتوسيانيةجعلنى اكف عن كتابة القصة واتجه الى الشعر قانعا بالقليل الذى اكتبه .

وخلال حرب ١٩٥١ وعلمونى كيف اضغط على الزناد تصورت نفسى احارب ضد التتار وأقف مع الجزار والى عكا ، وانتى مبعوث العناية الالهية لتحرير الاوطان ولكن انتشلنى من احلامى انطلاق مدفع ثقيل بالقرب منى جعل قلبى ينزل فى ركبى ، وبعدها أمنت اننى لا اصلح لميدان القتال !

وعندما عرضت لى أول مسرحية تصورت اننى ابسن العرب او اننى شيكسبير المسلمين ، ثم الفت خمس مسرحيات اخرى حقق بعضها نجاحا كبيرا بالرغم من عدم رضاء الدكتور على الراعى لانها لم تكن متفقة مع الخط الواقعى الاشتراكى المندراكى المشكحورى والمندكورو ماتوا سنبله آك سورى اكوانى !! وهى لغة يفهمها الدكاترة وحدهم ولا يعرفها السادة الجهال امثالنا . المهم ان حماسى فتر بالنسبة للمسرح وخبت جذور الدراما فى اعماقى ! وعندما كتبت رواية طويلة بعنوان "حتى يعود القمر" تصورت أننى ديستوفسكى وحلمت بمكان فى التاريخ على الاقل مثل مكان شتاينبك او تنسى ويليامز أو حتى مثل امين يوسف غراب !! ولكنى صدمت عندما اكتشفت وان موهبة العلاقات العامة اهم من موهبة التاليف وأنه يجب ان تعرف كيف توطد صلتك بالنقاد جيدا ، وعندئذ فتر حماسى للروايات .

وضاعت احلامى فى الفوز بمقعد تولستوى فى التاريخ !!

وعندما قمت بأول رحلة لى الى أوروبا وكتبت "الموكوس فى بلاد الفلوس" تصورت اننى ساكون جون جنتر العرب أو لودفيج مصر أو بالميت خالص ساكون الرحالة محمد ثابت الذى فرضوا علينا كتبه فى المدارس . رحلة داخل افريقيا ، رحلة داخل آسيا رحلة داخل مش عارف ايه والذى وصف كنافة نابلس فى كتابه

داخل دكان حلاوة ، أسف ، أقصد داخل المشرق العربى !! واصدرت بعد ذلك خمسة كتب رحلات ثم تبخر حماسى وحلمى فى ان اصبح اى شىء فكففت عن كتابة الرحلات ، وتفرغت لكتابة المقالات وقلت لعل وعسى ان اصبح محمد زكى عبدالقادر الذى كتب عموده "نحو النور" لمدة خمسين عاما متصلة لم يتخلف يوما ولم ينقطع عن الكتابة يوما ، حتى توفاه الله وقلت اذا لم اصبح مثل زكى عبدالقادر فبالميت اكون مثل سيد عبده وقد تسألنى ومن يكون سيد عبده ؟! اقول لك لقد اصبح عددهم كبيرا كتّاب المقالات هذه الايام ، لدرجة ان سيد عبده صار واحدا من هؤلاء ولكن يبدو ان احلامى فى هذا المجال اخذت تتبخر ايضا .

فأنا مشغول هذه الأيام بآلام المعدة ووجع المفاصل وآلام الروماتيزم المزمن ، وأوجاع الكلى ، ومشاكل الجهاز التنفسى وانطفاء النور فى العيون التى كانت مبحلقة وطقطقة عظام الظهر الذى كان مستويا كلوح خشب لطزان . تضاءلت احلامى الشخصية واحلامى العامة ايضا .

وبدلا من الوحدة اللى ما يغلبها غلاب وعوضا عن الدولة الواحدة من المحيط الى الخليج ، اصبحت اسأل الله لتبقى الاحوال على ماهى عليه فلا ينقسم لبنان الى اربع دويلات ولا تتمزق سوريا الى جبل للعلوليين وجبل للدروز وجبل للسنياح ، وأن يحفظ الله علينا سيناء بالقوة المتعددة الجنسيات وان يحمى الله عراقنا من اخطبوط ايران وان تظل احوالنا كما هى متردية ولا تزداد انهيارا على رأى عمنا الشاعر المتنبى وحسب المنايا ان يكن امانيا ! اى حسب الكوارث والدواهى والمصائب ان يكن امنيات !!

ويبدو ان عصر المتنبى هو بالضبط مثل عصرنا ، خيبة بالويبة وحوادث وكوارث ومصائب ونوائب ربما الفرق الوحيد ان عصر المتنبى كان يواجه الروم ، ونحن هنا نواجه اليهود ، تغيرت الاجناس التى ضدنا ولكن بقى الهدف واحدا ، وهو القضاء علينا وعلى صنفنا بينما نحن مشغولون باصدار القوانين وتوعية الجماهير وتأجير الاقلام وتجنيد الانصار ، وتأليف احزاب الكهرباء اما احلامى الشخصية فقد اصابها ما اصاب احلامى العامة هل تعرفون ماهى احلامى الخاصة الان ؟ ان تسكن اوضاع ضروسى ، وان تنجح أمعائى فى طحن الطعام ، وان تتيسر احوالى فى الحمام !

وسبحان مغير الاحوال !

الفـهـرس